الكتاب المقدّس والقرآن

محاولة توفيق ميؤوس منها

هذا الكتاب للخدَّام وليس للكرازة بين المسلمين.
هو محاولة لوضع النقاط على الحروف ردًا على محاولة
ماهر فايز البائسة بإمكانية وجود عبادة مشتركة تجمع بين
المسيحيين والمسلمين

بقلم

مِسْكويني الطرابلسي



معلومات عن الكتاب

اسم الكتاب: بين الكتاب المقدَّس والقرآن

محاولة توفيق ميؤوس منها

الكاتب: مسكويني الطرابلسي

الناشر: ماء وحياة

للتواصل:

misckweeny@gmail.com



الإهداء

إلى خادم الرب الأمين

الأخ رشيد المغربي

الخادم الأمين الذي اعتاد أن يدفع ثمن اتّباعه لسيّده.
وأوّل من دفع الثمن ضد المناداة بالصوفية،
فاستقال من قناة الحياة

لك أهدي هذا الكتاب أخي الحبيب

مسكويني

الفهرست

قصة كتاب لم يُنشر!

كَتبتُ المُسوَّدة الأولى لهذا الكتاب في بدية عام ١٩٩٤م، بعد عيد الميلاد المجيد مباشرة، وانتهيتُ منه في خلال ستة أشهر، ثم أعطيتهُ لأستاذي الفاضل الدكتور القس منيس عبد النور لمراجعته وإبداء الرأي فيه.

كان الكتاب عبارة عن مقالات متفرِّقة لتوضيح الاختلافات بين الكتاب المقدَّس والقرآن متجنِّبًا ما سبق أن كُتب في سلسلة كتب «الهداية» للرد على كتابيّ «إظهار الحق» و«السيف الحميدي الصقيل» حتى لا يكون الكتاب مُكرَّرًا، كما كنا نخطِّط لوضعه داخل كتاب «تعليقات على القرآن» وهو العدد الرابع من سلسلة الهداية. لكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فتوقَّفتْ دار النشر بألمانيا عن طباعة أي كتب جديدة.

وكان رأي القس منيس أن فكرة البحث جيدة وتستحق أن تكون كتابًا، لكن الظروف التي مرَّت بها دار النشر في ألمانيا وظروف دراستي الجامعية، وظروف الملاحقات الأمنية من قِبَل مباحث أمن الدولة، ومن بعدها الهجرة خارج مصر... وسط كل هذه الأمور ضاعت أوراق المسوَّدة الأولى وسط ركام مكتبتي! وعند أول زيارة لي لمصر بعد عشر سنوات متغرِّبًا، وجدتُ أوراق هذا البحث وسط أشيائي القديمة، فالتقطتُهُ ونفضت التراب من عليه وأخذت أقرأ فيه مرة أخرى، وأخذته معي حيث أعيش خارج مصر.

لم يكن في مُخْيِلَتي أن أقوم بنشره أوأفكِّر في طباعته خاصة أن نسبة كبيرة جدًا من المسيحيين الآن بعد انتشار الفضائيات والإنترنت أصبحت تعرف الكثير جدًا عن الإسلام والقرآن أكثر من أي وقت مضى.

والسبب الآخر هو ماذا يمكن أن يقدِّم شخص فقير مثلي للقارئ الذي اعتاد سماع أعلام كبار مثل الأخ رشيد، والأخ وحيد، والقمص زكريا بطرس ومن قبلهم خدَّام الرب المصريين والمستشرقين الذين كتبوا لنا كتبًا في بداية القرن السابق مازال علماء الإسلام يصرخون من وطأتها، وأفرزت لنا أمهات الكتب مثل «مصادر الإسلام»، «الهداية»، «مقالة في الإسلام» و«ميزان الحق» ... إلخ

لكن، منذ عام ٢٠١٧ ظهرت بدعة داخل الكنيسة في مصر تنادي بأنة يمكن للمسلمين والمسيحيين أن يتعبدوا سويًا جنبًا إلى جنب! والمؤسف أنَّ مَن نادى بهذه البدعة هو مرنم مشهور، سبق له وأن كتب أجمل الترانيم عن يسوع المخلِّص وعن الصليب، لكنه نادى في آخر أيامه بهذا العبث الديني، وللأسف الشديد تسابَقَ عدد ليس بقليل من قسوس كنائسنا الأفاضل في الدفاع عنه بل وأن يَحْذُوا حُذْوَهُ! فمنهم مَنْ أقام مأدبة إفطار للمسلمين في رمضان وسمح للمسلمين بالصلاة داخل الكنيسة، بل تبجَّح ونشر الصور على وسائل التواصل الاجتماعي مُحَرِّفًا آية وردت في العهد الجديد «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ما أعدَّه الله للمسلمين والمسيحيين في كنيسة كفر العلو»! أهكذا يكون استخدام آيات الكتاب المقدَّس للكرازة؟ هل هذا ما

تعلَّموه في كليات اللاهوت؟

وعلى الجانب الآخر وجدنا كاهنًا أرثوذوكسيًا يخطب في الحاضرين أنَّ الإسلام دين سماوي حق وأنَّ محمدًا رسول حق أُرسل من الله لهداية البشرية بدين سماوي لا ريب فيه، وهناك كاهنٌ آخر رفع الآذان بصوته داخل الكنيسة ناطقًا بالشهادتين! ما هذا العَتَهْ والهُرَاء والنِّفاق! إنَّ هذا لَهُو إنكارٌ صريح للمسيح وخروج عن الإيمان المسيحي.

لم أتحمَّل أن أشاهد أكثر من هذا وأقف مكتوف الأيدي غير مُبَالٍ بما يحدث في الكنيسة التي انحدر خدامها والقائمين على تعليم الشعب فيها إلى هذا الحضيض. أمَّا بخصوص فِكْرِ ماهر فايز الذي صاغه في مقالاته المُسَمَّاة ب «لاهوت المحبة الحُرّ»، فقد قام على تفنيدها والرد عليها القس أشرف نادي حبيب مشكورًا في كتابه «بدعة لاهوت المحبة الحُرّ». وأنا هنا لا أناقش البدعة التي جاء بها في المقالات والتي ترى فيها الحرب سجالًا على صفحات التواصل الاجتماعي بين القسوس والخدام بين مؤيِد ومعارض عن احتمال وجود طرق أخرى للخلاص غير المسيح المصلوب، فهو صراع أجدر بأن يحسمه القسوس وأساتذة اللاهوت.

فماهر فايز وجميع المؤيدين له يُرَاوِغون، ويكذبون علينا وعلى أنفسهم، ويَلِفُّون ويدورون ويُمَيّعون القضايا بِرَمْي الكرة في ملعب آخر ألا وهو مصير الذين لم تصلهم بشارة الإنجيل والخبر عن يسوع المصلوب، ويستشهدون بكتاب «علم اللاهوت النظامي» لجيمس أَنِس ومراجعة القس منيس عبد النور.

أولًا: وقبل أي شئ ولكي نُسْقِط مسألة حُسن النوايا من الموضوع ونكون واضحين، فإن الذين لم تصلهم البشارة بالإنجيل ليسوا في واقع الحال هم الهدف target الذين يُنْشِد وسطهم ماهر فايز بترانيمه الصوفية. فلم نرَ ماهر فايز مثلا يرنم وسط قبائل منعزلة ومعزولة في أحراش أفريقيا أو قبيلة ميشكو بيرو في أدغال الأمازون! إنَّما هو يُنْشِد وسط مسلمين في وسط العاصمة المصرية، فعبارة «الذين لم تصلهم بشارة الخلاص» مُقْحَمَة بدون داعي والمراد منها إمَّا تمرير هذه البدعة داخل الكنيسة أو خروج آمن له من هذه الورطة دون التوبة والرجوع بعد أن أحدث بلبلة في الكنيسة شقَّت صَفَّ المؤمنين.

ثانيًا: كتاب «علم اللاهوت النظامي» ل جيمس أنس (James Shepard Dennis) الأصلي طُبع سنة ١٨٧٠م، أي بعد خمس سنوات من صدور ترجمة ڤاندايك. أي أنَّهُ قبل خمس سنوات من هذا التاريخ لم يكن للمسيحيين العرب –وهم أمة كبيرة في قلب العالَم- ترجمة كاملة ودقيقة للكتاب المقدَّس، وكان العمل المرسلي في أَوْج قوَّته، فواردٌ جدًا في هذا الوقت أن يكون أمم وقبائل بل وبلدان لم يصل إليها المرسلون والمبشِّرون للتبشير ونشر وترجمة الكلمة إلى لغات هذه الأمم! فطبيعي أن يُناقش موضوع مثل خلاص الذين لم تصلهم بشارة الخلاص في كتاب مثل هذا. لكن أن نفترض وجود هذا سنة ٢٠١٨م في عالم أصبح قرية صغيرة بفضل تكنولوجيا الإعلام ووسائل الاتصال، فهذا عبث ومناقشته إهدار للوقت. كما أن مؤلف كتاب «علم اللاهوت النظامي» كتب أيضًا كتابًا عن الإسلام والإرساليات

المسيحية Islam And Christian Missions ورأيه في الإسلام كديانة معروف، والقس منيس عبد النور رأيه في الإسلام معروف ومناقض على خط مستقيم لفكر ماهر فايز، ومن حُسن حظ القارئ أن خاتمة هذا الكتاب هي من تأليف القس منيس عبد النور شخصيًا كتبها سنة ١٩٩٤م وكأنَّه كان يرى المستقبل القريب بروح النبوَّة! إذًا إقحام الذين لم تصلهم البشارة هو نوع من المراوغة لاستهلاك طاقة القارئ أشبه بطريقة دسّ السُّم في العسل.

هذا عن ماهر فايز، وهو قارئ جيد في نظري، لكن تنقصه -كما ينقصني أنا أيضًا- الخلفية اللاهوتية، والعلم اللاهوتي. لكن ماذا عن القسوس الذين ذهبوا وراءهُ؟ والقسوس والخدام الذين أصابهم الخرس والبُكْم تجاه هذه البدعة؟ أعتقد أنَّ هؤلاء تنقصهم الأمانة في الخدمة كما تنقصهم الدعوة الحقيقية من سيدهم لخدمته، فهم مدعوون إمَّا من أنفسهم أو من الناس، لكنني أعلم علم اليقين أنَّ مَنْ يدعوه السيد الرَّب لخدمته يكون ولاؤه الأول والأخير للرب سيّده وسيّد الكنيسة، لكنَّنا اكتشفنا مؤخرًا أنَّ ولاء هؤلاء كان لماهر فايز وليس للسيد! وهُم مَنْ هُم وقد كانوا يملأون الدنيا صخبًا وضجيجًا بمناسبة وغير مناسبة عن دعوة الله لهم للخدمة لنجد أنَّ رئيس طائفتهم يوزع مصاحف في مأدبة إفطار في شهر رمضان قائلًا للمدعوين: «لم نجد أفضل من كتاب الله هدية لكم»! وأفضل ردّ منّي له ولأمثاله هو ما جاء في ذلك الكتاب «ربنا لا تؤاخذنا بما يفعل السُّفهاء منَّا».

يرحمنا الرب من ضلالة الارتداد التي ستكون بداية لمجيء الرب الثاني.

لماذا هذا الكتاب؟

أقولها مُقَدَّمًا: ليس بيني وبين المُنْشِد الصوفي المسيحي – كما يجب أن يدعو نفسه- ماهر فايز أيّة عداوة مُسَبَّقَة من أي نوع، فأنا لستُ راعيًا لكنيسة قمتُ بتوجيه دعوة له لعمل نهضة انتعاشية فرفض بسبب زحمة الطلب عليه، أو لكون كنيستي صغيرة فأخذتُ منه موقفًا، كما أنّي لستُ راعيًا لكنيسة دَعَتْهُ إليها فامتلأت بالحاضرين خلال الأيام القليلة التي أمضاها عندي فوقعتُ أسيرًا لجميل وفضلٍ له عليَّ، لذلك جاء الدور عليَّ لرد الجميل حتى ولو على حساب الحقّ الكتابي والأمانة في الخدمة. ولكي يطمئن قلب القارئ الكريم فأنا لستُ خادمًا متفرِّغًا، ولا أرعى كنيسة، فسبب كتابة كتابي هذا هو إعلان الحق الكتابي فقط لا غير، وبسبب هذا الحق أمضينا سنوات نعاني من الملاحقات الأمنية في مكاتب مباحث أمن الدولة بمصر، وحتى لا يتفتَّق ذهن المدافعين عنه بأني أريد الشهرة لتعرُّضي لشخص مشهور مثله، فقد كتبتُ الكتاب باسم مستعار.

إنني هنا –عزيزي القاريء- لا أناقش عقيدة «التصوُّف» ولا «المقالات العشرة» للمنشد ماهر فايز فقد فعل ذلك القس أشرف نادي حبيب في كتابه «بدعة لاهوت المحبَّة الحر» والذي نفذت آلاف النُّسخ منه فور خروجه من المطبعة، لكن هدف هذا الكتاب هو أن يُسَجِّل موقف اعتراض وصوت صارخ ضد حركة شيطانية ووباء عالمي لدمج الديانات معًا،والتي فيها يمكن للمسلم والمسيحي أن يتعبّدا سويًا لنفس الإله! وهذا ما نادى به المُنْشِد

ماهر فايز صاحب هذه النظرية وفعله على أرض الواقع. وكي لا يظن أحدٌ أنني أتجنَّى عليه، اقرأوا معي ماذا يقول:

«من خبراتي مع السلفيَّة المسيحيَّة بأطيافها، أستطيع بنسبة كبيرة حصر نصوص الرجم لديهم وآيات التحريم، وربما لا يختلف معي المطلعون على هذه المأساة الخُلُقِيَّة، أنَّ الآية المحورية في جعيرهم هي: «**لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّهُ أَيَّةُ خِلْطَةٍ لِلْبِرِّ وَٱلْإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ ٱلظُّلْمَةِ؟ وَأَيُّ ٱتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ ٱلْمُؤْمِنِ؟ وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ ٱللهِ مَعَ ٱلْأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ ٱللهِ ٱلْحَيِّ**» ٢كو ٦: ١٤ - ١٦. نعم الآية توصي بفصل ما، وكلٌ يطبّق الفصلَ على ليلاه!

وأيضًا يقول:

«فأنت لا تستطيع أن تُثْبِتَ إيمانك المسيحي بين ٣٦ ألف طائفة يستخدمون نفس الكتاب والنصوص في كل البدع والهرطقات. أي أنَّك بلا مرجعية تثبت إيمانك، فبالأولى يبطُل حكمك على إيمان الآخر. لا ننسى هنا، أنَّه، وبموازاة أمينة تامة، لن يمكنك تحت أي بند تعريف من هم «غير المؤمنين.»[١]

ولكي لا أُطِيل عليك أيُّها القارئ العزيز فسأختصر لك ما يريدنا المرنِّم ماهر فايز أن نفهمه من عبارة «غير المؤمنين»، إنَّه يريد أن نفهمهم على أنَّهم «مؤمنون» ولكن ليس من المنطقة الكتابية التي ننتمي نحن المسيحيون إليها! حيث يعود إلى مغالطاته في مقالته الأولى بأن هناك في الأمم مَنْ هم مقبولون ببرِّهم أمام الله دون

١ - راجع المقالات العشرة للمرنم ماهر فايز على صفحة فريقه «الكاروز»

أن يكونوا قد آمنوا بالمسيح، وأنَّه يمكن للإنسان أن يَخْلُص خارج الإعلان الإلٰهي المكتوب في الكتاب المقدَّس، ولذلك فالمرنم ماهر فايز يرفض أن ينسب لقب «غير المؤمنين» للإخوة غير المسيحيين الذين يشاركونه حفلات إنشاده الديني![٢]

أي في كل الديانات ولكل انسان بحسب النور الموجود في ديانته -وهنا السُّم- يستطيع الدخول في علاقة حُبّ مع الله، ونسي عن عَمْدٍ أو تَنَاسَى عن تعمُّدٍ أنَّ المسيح هو النور الذي جاء إلى العالم وأنَّه هو الطريق الوحيد للوصول الى الله للدخول في علاقة حب معه، وأَنَّ كل هذا لا يمكن حدوثه بعيدًا عن عمل الروح القدس وما صنعهُ المسيح في عمله الكفَّاري على الصليب. وإذا كان مُتَاحًا الدخول في علاقة حب مع الله بدون المسيح، فما الدَّاعي للمسيح إذن أو لعمل الروح القدس طالما أنَّ الوثني وعابد الشمس والنار والبوذيين وغيرهم يستطيعون بتصوّفهم هذا -بحسب عقائدهم التي تنكر عمدًا أنَّ المسيح ربًّا ومخلِّصًا- أن يصِلوا إلى معرفة الله ويختبرون لمحات من النور الإلهي؟

وهنا نجد أنفسنا أمام عدة تساؤلات:

- إذا كانت هذه اللمحات النورانية -جَدَلاً- تكفي لخلاص هؤلاء، فما الدَّاعي للإيمان بالمسيح ربًّا ومُخَلِصًا؟ فلنتحرر إذن من هذا الإيمان ونسلك طريقهم!
- أَمَّا إذا كانت هذه اللمحات النورانية بكافية لخلاص نفوسهم، فلماذا نسهِّل لهم ونقنِّن لهم طريق الهلاك ولا نرشدهم لطريق الخلاص الحقيقي والوحيد في المسيح يسوع ربنا؟

---

٢ - كتاب «بدعة لاهوت المحبة الحر» القس أشرف نادي حبيب

- ألسنا بفعلنا هذا نكون مشاركين عمدًا في هلاكهم ومنكرين عن تعمُّدٍ للمسيح وكفَّارته الوحيده الكافية لخلاص البشر؟
- أليس بهذا الذي نفعله نبلبل أفكار وإيمان كثير من المسيحيين ونتركهم في مفترق طُرُق ينتهي بهم الحال لترك المسيحية تمامًا طالما الطرق الأخرى الموازيه تصلح لعبادة نفس الإله الواحد؟

إن أتباع وتلاميذ ماهر فايز لهم كافة الحرية أن يصنِّفونني ضمن «السلفيين المسيحيين» أو «حُمَاة الإيمان!» أو «أصحاب العقول المتحجِّرة» أو «السطحيين غير الدارسين» أو «الرجعيين... الأصوليين..... إلخ. بينما أنا في واقع الحال شخص مسيحي بسيط عادي جدًا، مثلي مثل كل المحبين للمسيح ولمجده الكريم لا أكثر ولا أقل.

إنَّ هدف هذا الكتاب عزيزي القارئ هو تسليط الضوء على «القرآن» كتاب المسلمين المقدَّس ومرجعهم الأول ليبيِّن التناقض الهائل بينه وبين كتابنا المقدَّس من ناحية، ويوضِّح الفرق الشاسع بين المسيحية كديانة مبنيَّة على الكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد وبين الإسلام كديانة مبنيَّة على القرآن والسُّنَّة وكتب السيرة.

لمن يُوَجَّه هذا الكتاب؟

منذ حوالي عام بالضبط ٢٠١٨ (شهر مارس / أزار) صدر كتاب «بدعة لاهوت المحبَّة الحر» للقس أشرف نادي حبيب ضد حركة المناداة بالصوفية المسيحية، وفي نفس الوقت تقريبًا تفضَّل الإعلامي البارز الأخ رشيد المغربي بكتابة مقالة عن الصوفية بل وخصَّص لها حلقات يرفض فيها جميعًا هذه البدعة صراحةً وبدون أي مراوغة.

ولقد خمدت هذه الحركة لبعض الوقت وانتابها السكون وظننا أنَّها انتهت بلا رجعة! لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ أراد بعض الخدام أن يُعِيدوا المرنم ماهر فايز إلى دائرة الضوء بهذه البدعة مرة أخرى، وعلى رأسهم الدكتور إيهاب الخراط وبعض مِمَّن يُطلَق عليهم لقب قسوس. ومن المؤسف حقًّا أنَّهم عندما فعلوا هذا أخذوا يراوغون ويكذبون لتمرير شئ ما داخل الكنيسة، فالدكتور إيهاب الخراط أحضر كتاب «علم اللاهوت النظامي» للمستشرق جيمس أنس والذي نقَّحة الدكتور القس منيس عبد النور كي يستشهد به على صحة ادّعاء ماهر فايز بالسؤال عن مصير الذين لم تصلهم رسالة المسيح وماتوا!

ولو كان الدكتور إيهاب أمينًا فعلًا فكان الأجدر به أن يسأل: ما مصير المسلمين... وليس مَنْ ماتوا ولم تصلهم رسالة المسيح، فماهر فايز شوهد يرنم مع مسلمين، وتخلّى عن اسم المرنم وفضَّل لقب المنشد الصوفي المسيحي، فلماذا نُقْحِم الذين لم تصلهم

رسالة المسيح في الموضوع؟ وهل شُوهِد ماهر فايز يرنِّم وسط قبائل في أحراش أفريقيا أو أدغال الأمازون أو أي قبيلة أو جماعة منعزلة ولو مرة واحدة؟ وهل يُوجَد في سنة ٢٠١٩مع كل هذه التكنولوجيا قبائل وجماعات لم تسمع عن الديانة المسيحية وبماذا تنادي؟ والسؤال الأهم وهو محور هذا الكتاب وموضوعه: هل يعرف المسلم العقيدة المسيحية أو يعرف عنها أو هل يعلم المسلم ما هي رسالة المسيح؟ الإجابة: نعم! «يعرف». هو يعرف ما ننادي به ومع ذلك ينكر بكل وضوح وصراحة بنوّة المسيح، ولاهوته، وصليبه، وكفَّارته، وقيامته والثالوث. إن د.إيهاب الخراط يعرف هذا ويراوغ، وقد وجَّهت سؤالي له مباشرة على صفحته في الفيسبوك: هل يمكن أن يكون هناك عبادة مشتركة بين المسيحي والمسلم وهو ما نادى به ماهر فايز؟ وكان رده: «هذا رد في بوست قادم إن شاء الله»!!

إنَّ مصيبة ماهر فايز الكبرى والذين ينساقون ورائه مع الذين يعملون على تلميعه يساوون بين الذين لم يسمعوا عن المسيح ولم تصلهم رسالته -على افتراض أنَّهم موجودون ومحل اهتمامهم- وبين مَنْ لهم عقيدة مضادة للمسيحية كالعقيدة الإسلامية التي تنكر صراحةً موت وقيامة وألوهية وبنوّة المسيح وحتى رسالته ودون مجاملة.

ولقد عاود الكَرَّة مرة أخرى منذ أسابيع وأخذ يرتِّب لمحاضرات وندوات لتمرير هذه البدعة داخل الكنيسة لكن تحت غطاء آخر هذه المرة وهي تعريفات للصوفية المسيحية، وأصولها في تاريخ الكنيسة، وكتابات الأب متّى المسكين ... إلخ وواجهته

بنفس السؤال، فكان ردَّه: «إنَّ الترنيم مع المسلمين ليس عبادة».

والمؤسف أنَّ هناك قِسًّا أخذ يراوغ ويكذب ويضلل الناس ويروّج للموضوع على صفحات التواصل الاجتماعي ويحاول أن يقنعنا بأنَّ التصوُّف ما هو إلَّا مرادف فقط لمعاني العشق الإلهي والهيام في العلاقة مع الله لا أكثر ولا أقل، لذلك لا جديد في الأمر خاصة وأنَّ الآباء الأوئل كتبوا عنه وبالتالي فهو لا يقدِّم جديدًا سوى إعادة صياغة المفردات القديمة والمتعارف عليها! ولكي يصل إلى هذا الهدف أخذ عدة مراحل وعلى أيام متتالية:

في البداية، أعلن هذا القس أنَّه ليس صوفيًا ولا يهمَّه الأمر من قريب أو من بعيد، وغاية قصده أن يقدِّم بحثًا أمينًا لمعاني التصوُّف، ثم جاء بقائمة تثبت أنَّ التصوّف كان موجودًا في تاريخ الكنيسة، ثم أخذ تدريجيًا يدَّعي أنَّ الأب متّى المسكين كان متصوّفًا، فجاء أحد القرَّأ بصورة من كتاب محاورة بين الدكتور نصر حامد أبو زيد والأب متَّى المسيكين، يقول فيها الأب متَّى المسكين بإنَّه ليس متصوِّفًا. ثم أعلن هذا القس أخيرًا إنَّ أعظم تأثير في حياته جاء من كتابات الصوفيين وعلى رأسهم الأب متَّى المسكين! والسؤال هنا: إذا كان يؤمن بتاريخ الكنيسة كمصدر للعقيدة، وإن أعظم كتابات تأثرت بها في حياته هي كتابات الرهبان والصوفيين وعلى رأسهم الأب متَّى المسكين فلماذا ينتمي إلى الآن للكنيسة الإنجيلية المشيخية؟

أَمَّا في هذه الأيام فيحاول الدكتور إيهاب الخراط وبعض القسوس المشيخيين أن يُصَدِّروا لنا أن ترجمة الكلمة الإنجليزية mysticism إنَّما تعني «صوفية» في حين أن ترجمتها الأدق هي

«الباطنية»، في محاولة لإيهامنا بأنَّ معناها اللغوي في اللغة العربية يُرَادِف المعاني والأفكار المسيحية عن العبادة، فذكر الدكتور سامح حنَّا أستاذ الترجمة أنَّ «الصوفية» هي كلمة أو مفردة عربية تعبِّر عن كل أشكال الروحانية التي تشرح التذوُّق لحضور الله وذكر أيضًا أنَّها إطار عبادة فقط وليست عقيدة. وحسب شرح هؤلاء القسوس الأفاضل لموضوع الصوفية: إنَّه نظريًا استخدام الكلمة يمكن الحديث عنه بشرط إنَّها مجرد مفردة لغوية تعبِّر عن شكل للعباده مثلها مثل كلمة الزُّهْد والتأمُّل الروحي بالطبع داخل دائرة الاعتراف بالمسيح ربًّا ومخلِّصًا وطريقًا وحيدًا للوصول لله... وليس بكونها عقيدة تؤسس للوصول إلى الله بمجرد الأشواق البشرية والهيام الروحي بعيدًا عن كفَّارة المسيح.

إننا نجد البعض يسير في نفس هذا النهج ويريد أن يُصَدِّر لنا هذا المعنى وهو يتجاهل ما لصق بالأمر من تعاليم أخرى تخصُّ المسلم وإمكانية وصوله لله بعيدًا عن المسيح من خلال التصوُّف وهنا الخلط الرهيب وهو ما نرفضه كمؤمنين

بل دخلت عليه معاني أخرى مثل «لمحات من النور الإلهي» يصل إليها المسلم المتمسك بدينه وعقيدته الرافضه للمسيح ربًّا ومخلِّصًا من خلال تصوّفه، وهذا معناه أنَّه يمكن للإنسان أن يصل إلى الله ولكن بلمحات وكُشُوفات من النور! وتناسوا أنَّ المسيح هو النور الكامل والوحيد وما خلاه ظلمة كاملة.

باختصار،لقد صنعوا بابًا آخراً خلفيًّا مفتوحًا على مصراعيه للوصول إلى الله من خلال لمحات النور الإلهي (بعيدًا عن المسيح) الناتج من التصوّف.

بينما الأخ ماهر فايز عندما حدَّثنا عن الصوفية في إطار ما قدَّمه من لاهوت المحبة الحر لم يكن يحدِّثنا عن إطار فقط للعبادة أو مجرد شكل خارجي للعبادة بل حدَّثنا عن لاهوت جديد وعقيدة جديدة وفكر جديد بل وجوهر ديانة جديدة لا تعرفها المسيحية. هو حدَّثنا عن «لاهوت المحبة الحر» أي أنَّ الله حرٌّ في محبَّته من نموذج المسيحية المعروف عند المسيحيين (لاهوت المسيح وتجسُّده وموته وقيامته) وبالتالي أصبح الباب مفتوحًا لمن يرفضون المسيح للوصول إلى الله من خلال تصوّفهم. وهنا ترك الباب مواربًا لإمكانية خلاصهم بعيدًا عن كفَّارة المسيح.

حتى إنَّه وضع جنبًا إلى جنب أخنوخ وأيوب وأصدقائه ويثرون حمى موسى ونخو ملك مصر ونبوخذ نصّر وكرنيليوس في سلة واحده مع رابعة العدوية ومحي الدين ابن عربي والحسين ابن منصور الحلَّاج وغيرهم وأعطاهم وصفًا واحدًا وهو «المتصوِّفين» أو «العارفين بالله» (خارج الخط الإبراهيمي أي خارج الاعتراف بالمسيح ربًّا ومخلِّصًا حيث أنَّ المسيح من نسل إبراهيم ووعد الله لإبراهيم «**وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ**» وهذا هو لاهوت المحبة الحر.

إن ما سبق يعني أنَّ أي انسان من أي ديانة على وجه الأرض حتى ولو سمع بالمسيح ورفضه يستطيع الوصول إلى الله من خلال تصوّفه بحسب دينه وعقيدته ولو بنسب متفاوته.

إنني أعتذر للقارئ الكريم على الإطالة، فقد حاولتُ أن أختصر قدر المستطاع. لكنني أعترف أنَّ المرنم ماهر فايز على الرغم من هذا كله كان أكثر الجميع في هذا المشهد احترامًا وشرفًا،

فمنذ اللحظة الأولى لم يراوغ أم يُمسَك عليه مرة أنَّه كذب أو استخدم أسلوب اللَّف والدوران، لكن مصيبتنا الكبرى هي في القسوس ومَنْ يُؤتَمَنُون على المنابر والكنائس والخدمة أن يكونوا بهذه الصفات الرديئة والدنيئة! فيخرجون علينا كل يوم بالكذب والتلفيق والادعاء الباطل لتمرير شئ ما داخل الكنيسة، وعهدي بهذ الجيل من القسوس المشيخيين أنَّه لا يُجِيد في حياته وخدمته سوى ثلاثة أشياء: الكذب والمراوغة والتبرير. فإذا كان هؤلاء القسوس قد قبلوا بالشذوذ الجنسي على أنَّه أمرٌ عادي، والنجاسة في حياة الخادم المسيحي أمرٌ لا بأس به، وعصمة الكتاب المقدَّس أمرٌ مشكوك فيه، فهل سيفرق معه «لاهوت المحبة الحر»؟ فإذا كان الفسق الفجور والنجاسة جزءًا من عقيدة الكنيسة التي ينتمون إليها، فهل تظن أن وجود طرق أخرى للخلاص غير الرب يسوع أمر ذو شأن بالنسبة لهم؟

مختصر أحداث الكتاب المقدّس

١ـ ما بين خلق العالم والطوفان

خلق الله الكون وما فيه في ستة أيام. أما اليوم الذي فيه خُلِقَ الإنسان الأول فكان اليوم السادس. خلقه الله على صورته وأعطاه سلطانًا على سائر المخلوقات، ووضعه في الفردوس الأرضي الذي يُدعى جنة عدن مع حواء امرأته التي كانت قد صُنِعَت من ضلع من ضلوعه (تكوين ٢). ولو ثبتا في برارتهما وحفظا شريعة الله التي أعطاهما إيَّاها لكانا عاشا هناك في سعادة، ولكنهما سقطا في العصيان (تكوين ٣) بواسطة تجربة الشيطان، وخالفا وصية الله لهما بأن لا يأكلا من ثمر الشجرة التي في الجنة والتي تُدعى في الكتاب المقدَّس «شجرة معرفة الخير والشر». ففقدا بهذا السقوط برارتهما وسعادتهما معًا وصارا تحت طائلة الموت فطردهما الله من الفردوس الأرضي ودخل الخطية والموت العالم بسبب هذا السقوط. ولكن حالًا وعد أن نسل المرأة يسحق رأس الحية أي أن البشر يُنْقَذُون من الخطية والموت وسلطان الشيطان بواسطة يسوع المسيح الذي سيولد من عذراء.

إنَّ سفر التكوين يخبرنا (ص ٤ و٥) عن أولاد آدم ونسله ونرى من تاريخ تلك العصور أن أعمار البشر كانت أطول مما هي عليه الآن إذ كانوا يعيشون عدة مئات من السنين. ونتعلَّم أيضًا من هذا التاريخ أنَّ الخطية ابتدأت تتسلَّط على العالم سريعًا بعد الخليقة. فإن قايين ابن آدم قتل أخاهُ هابيل وكان له نسل

شرير. ومع ذلك وُجد قومٌ عرفو الله وعبدوه خاصة من عائلة شيث من أولاد آدم. وكان من هؤلاء أخنوخ الذي يخبرنا الكتاب المقدَّس عنه أنَّ الله نقله حيًّا إلى السماء دون أن يرى الموت. غير أنَّه بمرور الزمن فسد نسل شيث أيضًا (تكوين ٦ و٧) واختلطوا بالأشرار، فامتلئت الأرض من الجرائم وعمَّ الفساد وجه الأرض حتى أرسل الله الطوفان وأهلك جميع العالم ما عدا نوحًا وعائلته لأنَّه يخاف الله. ونجا من الطوفان عن طريق فُلْك بناه بأمر الرب. وكانت هذه الحادثة في سنة ١٦٥٦ بعد الخليقة.

٢ـ من الطوفان حتى دعوة إبراهيم

لمَّا خرج نوح من الفلك بعد الطوفان (تكوين ٨ و٩) أقام الله معه عهدًا. وكان لنوح ثلاثة أولاد (تكوين ٩ و١٠) سام وحام ويافث الذين جاء منهم كل قبائل الأرض. فنسل سام استقرَّ في آسيا ونسل حام تشتَّت في أفريقيا ونسل يافث في أوربا، وهذا هو أصل جميع الشعوب على وجه الأرض كما نرى ذلك بالتفصيل في الأصحاح العاشر من سفر التكوين.

ثم أنَّه بعد الطوفان بزمن (تكوين ١١) عزم نسل نوح على بناء برج بابل غير أنَّ الله بَلْبَل ألسنتهم فصاروا غير قادرين أن يفهم أحدهم لغة الآخر فتبدَّدوا إلى أقاليم شتى. وفي نحو هذا الوقت انتشرت الديانة الوثنية إلى جميع أرجاء العالم حتى عمَّت وجه الأرض، فشاء الله أن يختار لنفسه شعبًا لأجل حفظ الديانة الحقيقية بينهم. ولأجل هذه الغاية دعا إبراهيم الذي كان ساكنًا في مدينة أور الكلدانيين وأمرهُ أن يترك مسقط رأسه. واصطفى الله

إبراهيم لكي يعبده وأمره أن يذهب إلى أرض كنعان واعدًا إياه أن يكثر نسله ويعطيه إيَّاها ميراثًا وإن المسيح سيولد من ذريته. وكانت دعوة إبراهيم سنة ٤٢٧ بعد الطوفان.

٣ـ من دعوة إبراهيم حتى خروج بني إسرائيل من مصر

وبعد أن ذهب إبراهيم إلى أرض كنعان (تكوين ١٢) مكث هناك مدة من الزمان مع ابن أخيه لوط ولم يكن لإبراهيم ولد. وكان يسكن الأرض في ذلك الوقت قبائل الكنعانيين الذين كانوا وثنيين وأشرار في غاية الشر وعلى الخصوص سكان مدينة سدوم حيث سكن لوط (تكوين ١٩). وقد فاق هؤلاء غيرهم في ارتكاب المعاصي والذنوب، وتفشَّى بينهم الشذوذ الجنسي حتى إنَّ الله أخرج لوطًا وامرأته من بينهم وأحرق المدينة بما فيها بنار نازلة من السماء على سدوم وعمورة وأحرقها مع سكانهما وجميع الأراضي المجاورة وصيَّر الكل رمادًا وجعل ذلك المكان بحرًا لم يزل موجودًا حتى الآن المعروف ببحر لوط أو البحر الميت.

ولما صار إبراهيم ابن مئة سنة أُعْطِي إسحاق بوعدٍ من الله (تكوين ٢١). وإسحاق ولد يعقوب. ويعقوب كان له اثنا عشر ابنًا الذين صاروا رؤساء أسباط إسرائيل الاثنى عشر. وكان من أشهر هذه الأسباط سبط لاوي الذي منه الكهنة وخدَّام الأمور الدينية. وسبط يهوذا الذي كان أشد بأسًا من الجميع وصار صاحب السُلْطة الملوكية زمانًا طويلًا. وحفظه الله إلى مجئ المسيح الذي وُلد منه.

أمَّا يوسف أحد أولاد يعقوب فحسده إخوته وأبغضوه

وباعوه للإسماعيليين وهؤلاء أنزلوه إلى مصر وباعوه هناك عبدًا، لكن الله رفعهُ إلى أعلى منصب في الحكومة المصرية في ذلك الوقت، وبعد ذلك بعدة سنوات اضطر يعقوب أبوه إلى أن ينزل إلى أرض مصر ويغترب مدة من الزمان مع عائلته وذلك بسبب الجوع والقحط الذي أحلَّ بأرض كنعان. ويظنُّ البعض أنَّه في ذلك الوقت عاش أيوب الذي اشتهر بتقواه وصبره على الألم.

وبعد موت يعقوب ويوسف نما بنو إسرائيل في أرض مصر وتكاثروا جدًا (سفر الخروج ١ إلخ) حتى إنَّ الملك فرعون امتلأَ غيرة عليهم واجتهد في إبادتهم. وفي تلك الأيام قام موسى بأمر الله لخلاصهم، وبعد أن أجرى الكثير من المعجزات ضرب المصريين عشر ضربات مما جعل فرعون يطلق بني إسرائيل. فخرجوا حينئذٍ من أرضه وكان ذلك في سنة ٤٣٠ من دعوة إبراهيم.

٤ـ من خروج بني إسرائيل حتى بناء هيكل سليمان

خرج بنو إسرائيل من أرض مصر عبر البحر الأحمر (خروج ١٢ و١٤). أمَّا فرعون فطاردهم وحاول أن يعبر وراءهم فغرق في البحر هو وجيشه. وبعد نجاتهم من أرض مصر بخمسة وأربعين يومًا وصلوا إلى جبل سيناء وهناك أعطاهم الله الوصايا العشر (خروج ٢٠) ثم أعطاهم على يد موسى الشرائع السياسية ثم الطقسية لكي يمارسوها ويسلكوا بموجبها. ولم يسمح الله للإسرائيليين أن يدخلوا أرض كنعان حالًا بل تاهوا في البرية مدة أربعين سنة وكان موسى النبي قائدهم في تلك الفترة.

وبعد انقضاء تلك الأربعين سنة مات موسى وخلفهُ يشوع

بن نون (يشوع ١) وحارب الأمم والملوك الذين كانوا يسكنون أرض كنعان وانتصر عليهم وأعطى أرضهم مِلْكًا للإسرائيليين. ثم مات يشوع وانتقل الحُكم إلى القضاة الذين أقامهم الله من وقت إلى آخر إلى أن أفرز الله لهم شاول بن قيس مَلِكًا عليهم عن يد صموئيل النبي الذي كان القاضي الأخير. وبعد موت شاول الملك الأول، ملك داود بن يسَّى الذي كان نبيًا أيضًا. ولمَّا مات داود خلفه ابنه سليمان الذي بنى هيكل أورشليم بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني إسرائيل من مصر أي حوالي ١٠٠٠ ق م

٥ - من بناء هيكل سليمان حتى السبي إلى بابل

وبعد موت الملك سليمان جلس ابنه رحبعام على كرسي المُلْك (١ملوك ١٢) غير أنَّ عشرة أسباط انقلبوا عليه وخلعوا طاعته واستقلُّوا بذواتهم وبقي تحت سلطته سبطان فقط هما يهوذا وبنيامين، وهكذا انشقت مملكته إلى مملكتين اثنتين إحداهما تُدعى مملكة إسرائيل وهي المكونة من العشرة أسباط التي انقلبت على رحبعام، والأخرى تُدعَى مملكة يهوذا وهي المؤلفة من السبطين الذين بقيا خاضعين لرحبعام.

١- أما مملكة إسرائيل فدامت نحو ٢٥٠ سنة وكان أول ملوكها «يربعام». صنع هذا الملك للشعب عجلين من ذهب وعبدوهما تحت اسم إله إسرائيل إذ خاف هذا الملك من أن رعاياه يرجعون إلى طاعة رحبعام ملك يهوذا إذا صعدوا إلى أورشليم في الأعياد ليتعبَّدوا في الهيكل ويقرِّبوا ذبائحهم هناك. ورتَّب لهم أيضًا أعيادًا احتفالية وكهنةً وهكذا صارت ديانة مملكة إسرائيل وثنية!

دامت هذا الديانة مدة حكمه وحكم خلفائه. فكان كل ملوك إسرائيل وثنيين متمسكين بالديانة الكاذبة التي أسَّسها يربعام. فأرسل الله إليهم أنبياء كثيرين لكي يرجعهم عن خطاياهم وليبقي بينهم معرفة ذاته الحقيقية. وكان أعظم هؤلاء الأنبياء «إيليا» الذي تنبَّأ في أيام آخاب الذي كان من أشرِّ ملوك إسرائيل. ثم خربت هذه المملكة وأُسْلِمَت عاصمتها مدينة السامرة في أيام هوشع آخر ملوكها بيد شلمناصر ملك آشور الذي سبى العشرة أسباط إلى مملكته (٢ملوك ١٧) ومن هناك تبدَّدوا إلى ممالك شتى ولم يعودوا إلى وطنهم إلَّا بوعد «بلفور» عام ١٩١٧م.

٢- أما مملكة يهوذا فدامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل وعاصمتها أورشليم التي كان فيها هيكل سليمان المُقام لعبادة الله الحقيقي. غير أنَّ العبادة الوثنية دخلت إلى تلك المملكة أيضًا لذلك أقام الله لهم أنبياء من وقت لآخر لكي يوبِّخهم على هذه الخطايا ويهدِّدهم بقصاصه الرهيب ويتنبَّأ لهم بمجيء المخلِّص الرَّب يسوع المسيح وكان النبي «إشعياء» أعظم هؤلاء الأنبياء. وقام أيضًا بينهم عدة ملوك صالحين مثل يهوشافاط، حزقيّا، يوشيَّا وغيرهم، وكانوا يجتهدون في محو الديانة الوثنية غير أنَّ الشعب لم يرجع عن خطاياه (٢ملوك ٢٥). وبعد أن أمهلهم الله زمنًا طويلًا أدَّبهم بضربات شتى بأيدي الملوك الذين حولهم ثم أباد أخيرًا مملكتهم. وكان ذلك على يد نبوخذ نصَّر ملك بابل الذي أتى وحاصر أورشليم في أيام صدقيا آخر ملوك يهوذا وتغلَّب عليها وأحرق المدينة والهيكل بالنار وسبى الشعب إلى بابل. كان ذلك في سنة ٤٢٠ من تأسيس هيكل سليمان و٥٨٨ ق م.

٦ـ من سبي بابل حتى ميلاد المسيح

دام السبي إلى بابل ٧٠ سنة كما تنبأ عنه إرميا النبي (إرميا ٢٥ : ١١ و١٢) وبعد انقضاء تلك المدة رجع اليهود إلى وطنهم بأمر كورش ملك الفرس تحت قيادة زربابل القائد (دانيال ٩ :٢ وعزرا ٢ إلخ) ورخَّص لهم هذا الملك بإعادة بناء هيكل أورشليم غير أنَّهم أُعيقوا عن ذلك بسبب تعرُّض الأمم التي حولهم لهم وتأخر العمل إلى أيام داريوس ملك الفُرس الذي أصدر أمرًا بإعادة بناء الهيكل وممارسة عبادة الله (٥٢٦ - ٥٢٩ ق م) وفي ذلك الوقت قام النبيان حجي وزكريا وكانا يحثناهم عل العمل. وبعد مضي عدة سنين قدم نحميا إلى اليهودية بأمر الملك أرتحشيا (نحميا ١ إلخ) وسعى في بناء أسوار أورشليم ورتَّب أمورها السياسية. وكانت المدة من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها في ملك أرتحشيا إلى موت المخلِّص سبعين أسبوعًا من السنين وذلك كناية عن ٤٩٠ سنة (٧٠ X٧) وهذا طبق ما نطق به دانيال النبي (دانيال ٩ :٢٤ ومتَّى ٢٤ :١٥ ولوقا ٢١ :٢٠).

وبعد رجوع اليهود إلى بلادهم خضعوا مدَّة لحُكْمِ ملوك الفُرْس ثم إلى ملوك سوريا. وكانوا عرضة لمظالم شتى والظلم الأخير الذي أصابهم قبل التشتت الكبير كان على يد أنطيوخوس الذي دخل الهيكل ودنِّسه وكان يعذب اليهود ويكرِهَهم على ترك ديانتهم واتِّباع مذهبه كما نرى ذلك في كتب التاريخ. وهذا الملك هو الذي اضطر متاثياس مقابيوس وكثيرين من اليهود أن يتعاهدوا معًا على الجهاد لأجل حفظ ديانتهم وحريَّتهم. وقد ضفروا مرَّات كثيرة بواسطة شجاعة قادتهم مثل يهوذا وأخيه

يوناثان ابني متاثياس. وبعد أن استرجعوا حريتهم وأعادوا ممارسة طقوسهم خضعوا زمنًا طويلًا لحُكم الكهنة الذين خلفوا يهوذا ويوناثان وكانوا يُلَقَّبون ملوكًا وهؤلاء هم المعروفين بالأسمونين. وأخيرًا تغلَّب الرومان وأقاموا هيرودس ملكًا على اليهودية وفي أيامه أتى المسيح مخلِّص العالم.

٧ـ ميلاد يسوع، وحياته، وموته، وقيامته، وصعوده

لمَّا جاء ملء الزمان المعيَّن عند الله أرسل ابنه يسوع المسيح إلى العالم مولودًا من العذراء مريم في بيت لحم اليهودية. وقد جرت حينئذٍ حوادث كثيرة جعلت ميلاده فريدًا. ولكن لم يُظهِر نفسه حالًا لليهود ولم يشرع في ممارسة خدمته قبل أن بلغ ٣٠ سنة من العُمر وتعمَّد من يوحنا المعمدان. والبشائر الأربع تخبرنا عن سيرة مخلِّصنا بما فيه الكفاية! وهذا التاريخ يتضمن ثلاثة أمور ينبغي التأمل فيها: تعاليم يسوع السامية، ومعجزاته، وعصمته من الخطية.

وبعد أن عاش الرب يسوع أربع سنوات بعد الثلاثين صُلِبَ في عيد الفصح ولكنه قام في اليوم الثالث وأظهر نفسه مرات عديدة لتلاميذه. وبعد قيامته بأربعين يومًا صعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، ومن هناك أرسل الروح القدس إلى تلاميذه يوم الخمسين.

٨ـ وعظ الرُّسل وتأسيس الديانة المسيحية

بعد حلول الروح القدس على التلاميذ في مدينة أورشليم

جالوا يبشِّرون هناك بالإنجيل ويثبتون صحة تعاليمهم بالمعجزات. كانوا أولًا يبشِّرون اليهود الذين في اليهودية فقط. ولمَّا أعلن الله لهم أن الديانة المسيحية ينبغي أن يُنادى بها للجميع ذهبوا وبشَّروا بالإنجيل للخليقة كلّها. وحيثما كانوا يتوجهون كانوا يصادفون قومًا من اليهود لأن هذه الديانة كانت قد تشتَّتت من زمان طويل إلى بلدان عديدة. وكان الرسل يخاطبون هؤلاء اليهود المتشتَّتين كما نرى في سِفر أعمال الرُّسل وقد كتبوا إليهم أيضًا رسائل عديدة. وكانوا يدعون الأمم أيضًا للإيمان بالإنجيل كما كانوا يدعون اليهود، وعمَّدوا كل الذين قَبِلُوا بشارة الإنجيل بسم الآب والابن والروح القدس.

أمَّا جوهر التعليم الذي بشَّر به الرُّسل وغيرهم من خدام يسوع المسيح فهو إنَّهُ يوجد إلٰهٌ واحدٌ حقيقي فقط وهو الذي خلق السموات والأرض، وإن ذلك الإلٰه الذي كان لم يزل غير معروف معرفة حقيقية قد أعلن ذاته للعالم في ذلك الوقت بواسطة يسوع المسيح ٱبنه. وإنَّ يسوع المسيح مات مصلوبًا بأيدي اليهود وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وإنَّه مخلِّص العالم الوحيد وديَّان الجميع، وكل الذين يؤمنون به سينالون الحياة الأبدية.

ونجح هؤلاء الرُّسل في التبشير نجاحًا عظيماً حتى إنَّه في سنين وجيزة انتشرت المسيحية في أكثر بلدان العالم.

أمَّا اليهود فهلكوا وطُرِدوا من أرضهم بعد موت مخلِّصنا بنحو أربعين سنة وأخذ الرومانيون مدينة أورشليم وهدموها مع الهيكل الذي أنبأ المسيح بخرابه! وحلَّ على اليهود انتقام الله العادل وتبدَّدوا في كل العالم منذ سنة ٧٠م وحتى عام ١٩١٧م

حينما أعطى «أرل بلڤور» وزير خارجية بريطانيا العظمى تصريحًا رسميًا إلى اللورد «روتشلد» بخصوص الوطن القومي لليهود في فلسطين، وسبب هذه المجازفة أو على الأصح التصريح يرجع إلى العالِم اليهودي «وايزمان» الذي كان كيميائيًا فذًّا وتقدَّم للحكومة البريطانية بمعادلات كيميائية عجيبة لصناعة القنابل شديدة الانفجار، فأنقذ بذلك الإمبراطورية البريطانية من كارثة التدمير من الجيوش الألمانية التي كانت متفوقة على بريطانيا في هذا المجال. فسُئل «وايزمان» عن المكافأة التي يطلبها نظير هذه المعونة التي قدَّمها للدولة في حينها بفائدة لا يمكن تقديرها في اللحظات الحرجة. فكان ردَّه العجيب: «إن كل ما يرجوه هو أن يرى اليهود يرجعون لوطنهم في فلسطين» ففي الحال أعلن بلڤور تصريحه المشهور بالنيابة عن الحكومة البريطانية.

القسم الأول

المقابلة بين

الكتاب المقدَّس والقرآن

«وعلى المسيحيين أن يتوبوا عن خطية المحاولات التوفيقية، ويرجعوا إلى الحقائق الكتابية وقوَّتها.»

«وكل من يساوي بين الله في القرآن والله في الإنجيل يعزل نفسه عن الإيمان المسيحي، فالله في الإسلام لا ابن له، ويرفض صليب المسيح، ويقول إن الروح القدس مخلوق، لا هو أزلي ولا هو قدوس. و«الله» ليس الإله الحقيقي بعيدًا عن الثالوث الأقدس.»

د.ق. منيس عبد النور

كتاب «الإنجيل يسأل القرآن»

سفر التكوين

قصة الخلق والعرش

نقرأ كيف خلق الله هذا الكون في (تكوين ١) «فِي ٱلْبَدْءِ خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ. وَكَانَتِ ٱلْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ ٱلْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ ٱللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ ٱلْمِيَاهِ. وَقَالَ ٱللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى ٱللهُ ٱلنُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ ٱللهُ بَيْنَ ٱلنُّورِ وَٱلظُّلْمَةِ. وَدَعَا ٱللهُ ٱلنُّورَ نَهَارًا، وَٱلظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا .... الخ»

أما القرآن يقول في سورة (هود ١١ : ٧) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

قال كعب: خلق ياقوتة خضراء، ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء. وقال أبو بكر الأصمّ: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ﴾ كقولهم السماء على الأرض، وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقًا بالآخر.

بصرف النظر عن كون هذا الكلام مفهومًا أم معقولًا أم لا، فإم محمدًا قال في حديث الإسراء وهو في سدرة المنتهى أي فوق السماء السابعة، وإنَّه أُسرى إليها مع جبريل وأنَّه كلَّم الله هناك!

المساواة بين الرجل والمرأة

سفر (التكوين ١ : ٢٧) «فَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ ٱللهِ خَلَقَهُ.ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ»، وكذلك «ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا ٱسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ» (تكوين ٥ : ٢).

ساوى الكتاب المقدَّس من أوَّله إلى آخره بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات. فهذه المساواة لا تعارض مع اختلاف الأدوار التي خُلق عليها كل منهما.

١- المساواة في الخلق

عندما خلق الله الكائنات الحية، فقد أمر بأن تفيض الأرض بها، دفعة واحدة، أي أنه خلقها قطعانًا. لكنه عندما خلق الله الإنسان خلق رجلًا واحدًا لإمرأة واحدة، آدم واحد لحواء واحدة.

٢- المساواة في القيمة

وَقَالَ ٱلرَّبُّ الإِلٰهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». (تكوين ٢ : ١٨) أي أن حواء معينًا لآدم ونظير له.

٣- المساواة العددية في الزواج

خلق الله آدم واحد لحواء واحدة (تكوين ٢)، لذلك قال السيد المسيح: «وَلٰكِنْ مِنْ بَدْءِ ٱلْخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا ٱللهُ. مِنْ أَجْلِ هٰذَا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ ٱلٱثْنَانِ

جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ ٱثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ.» (مرقس ١٠ : ٦ - ٨). ولذلك فإنه مكتوبٌ أيضًا: «لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ ٱمْرَأَتُهُ، وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا» (١كورنثوس ٧: ٢).

٤- المساواة في الحقوق الزوجية

«لِيُوفِ ٱلرَّجُلُ ٱلْمَرْأَةَ حَقَّهَا ٱلْوَاجِبَ، وَكَذٰلِكَ ٱلْمَرْأَةُ أَيْضًا ٱلرَّجُلَ. لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهَا، بَلْ لِلرَّجُلِ. وَكَذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُ تَسَلُّطٌ عَلَى جَسَدِهِ، بَلْ لِلْمَرْأَةِ. لَا يَسْلُبْ أَحَدُكُمُ ٱلْآخَرَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مُوافَقَةٍ، إِلَى حِينٍ، لِكَيْ تَتَفَرَّغُوا لِلصَّوْمِ وَٱلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَجْتَمِعُوا أَيْضًا مَعًا لِكَيْ لَا يُجَرِّبَكُمُ ٱلشَّيْطَانُ لِسَبَبِ عَدَمِ نَزَاهَتِكُمْ» (١كورنثوس ٧: ٣ - ٥).

٥- المساواة في الزاوج

أخذ آدم زوجته من يد الله، فكان زواجًا مقدَّسًا، يختلف عن تزاوج الحيوانات، التي خلقها الله قطعانًا وأطلقها هكذا بدون تحديد للعدد أو للشريك، وبدون أي التزام بالإستمرارية فيه، بل إنه حالة مؤقتة تزول بإنتهاء الفعل في أغلب الكائنات. ففى الخليقة الأولى، الله هو الذي أحضر حواء لآدم، وهو الذي ربط عقد زواجهما، وما يربطه الله لا يحق لأى إنسان أن يفسخه: «لِذٰلِكَ يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (تكوين ٢ : ٢٤) وقد أضاف السيد المسيح «فَٱلَّذِي جَمَعَهُ ٱللهُ لَا يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (مرقس ١٠ : ٩). ولذلك استمر زواجهما طوال حياتهما .فالزواج في الكتاب المقدَّس «رباط مقدَّس دائم»،

«عهد» وليس «عقد نكاح».

الزواج هو عهد مقدَّس، يشمل الحياة كلها بطولها وعرضها، فلا ينقطع بمرض أحد الطرفين أو بتقدم عمره (مثلما استمر بين آدم وحواء)، لذلك فالكتاب المقدَّس يأمرنا بعدم الغدر بالزوجة عند تقدُّم عمرها «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلرَّبَّ هُوَ ٱلشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱمْرَأَةِ شَبَابِكَ ٱلَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا، وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَٱمْرَأَةُ عَهْدِكَ» (ملاخي ٢ : ١٤).

٦- المساواة في ظروف السماح بالطلاق

الزواج ليس علاقة طارئة، يمكن للرجل أو المرأة أن ينهياه متى شاءا، لأنَّها ليست مجرد علاقة «متعة ومصالح» بل عهد مقدَّس: «فَٱلَّذِي جَمَعَهُ ٱللهُ لَا يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ» (مرقس ١٠ : ٩) ولا طلاق إلَّا بسبب الزنى: «مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ ٱلزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي وَٱلَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي» (متى ١٩ : ٩) كما أنه ليس لأى طرف، الحق في تطليق الآخر لسبب غير الزِّنى، بلا فارق في الحكم بينهما: «مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. وَإِنْ طَلَّقَتِ ٱمْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي» (مرقس ١٠ : ١١و١٢)، فالقانون الإلهي يساوي بين الطرفيْن. فتساوي الحقوق والواجبات، معناه تحريم الخيانة الزوجية من الطرفين، وأن تكون العقوبة واحدة على الخائن أيًّا كان.

٧- المساواة في أهمية الوجود ذاته

«غَيْرَ أَنَّ ٱلرَّجُلَ لَيْسَ مِنْ دُونِ ٱلْمَرْأَةِ، وَلَا ٱلْمَرْأَةُ مِنْ دُونِ

ٱلرَّجُلِ فِي ٱلرَّبِّ» (١كورنثوس ١١ : ١١).

٨- كلاهما متساويان روحيًا

«لَيسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ» (غلاطية ٣ : ٢٨).

أما في الإسلام فالأمر ليس كذلك.

١- فهي مخلوق ناقص عقلٍ ودين وأكثر أهل النار!

وذلك بإجماع كل كتب الحديث والفقه ﴿عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ قَالَ أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ﴾

٢- هضم حقوق المرأة في المعاملة الزوجية والشهادة والميراث

جاء في سورة (النساء ٤ : ٣٤) ﴿وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فلماذا يقنّن القرآن للرجل أن يضرب زوجته؟

وجاء في سورة (البقرة ٢: ٢٨٢) ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَى﴾ فلماذا تكون شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد، مع أنَّها في أحيان كثيرة قد تفوق رجلها في العقل والثقافة والشخصية؟

وجاء في سورة (النساء ٤: ١١) ﴿يُوصِيكُمُ ٱللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ فلماذا يعطي المرأة نصف نصيب الرجل، مع أن الحياة تقسو على المرأة أحيانًا أكثر من قسوتها على الرجل؟ إن القسمة للذكر مثل حظ الأنثيين هو من أصل الجاهلية. جاء في كتاب «بلوغ الأرب في أحوال العرب» «وأوَّل من قسَم للذكر مثل حظ الأُنثيين عامر بن جهم الجهمي.»[٣]

٣- شهادة المرأة نصف شهادة الرجل!

قال البيضاوي (تفسير البقرة ٢: ٢٨٢): واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان. من رجالكم - من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود، وإليه ذهب عامة العلماء. وقال أبو حنيفة تُقْبَل شهادة الكفار بعضهم على بعض. وإن لم يكونا رجلين -فإن لم يكن الشاهدان رجلين. فرجل وامرأتان- فليشهد رجل وامرأتان. وأن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، إن ضلَّت وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن.

ونحن نسأل: كم هو مقدار الغُبن والمهانة التي تشعر بها

٣- جاء في كتاب «بلوغ الأرب في أحوال العرب» جزء ١ ص ١٨٤

السيدات من هذا المبدأ المهين البعيد كل البُعد عن مبدأ المساواة في الشخصية الإنسانية؟ كم من امرأة واحدة فاضلة ومتعلِّمة خير من عديد من الرجال الجهال؟

٤- ميراث المرأة نصف ميراث الرجل

جاء في سورة (النساء ٤ : ١١) ﴿يُوصِيكُمُ ٱللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنْثَيَيْنِ﴾ قال البيضاوي: «للذكر مثل حظ الأنثيين» أي يُعَدُّ كل ذكر بأنثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه. ويخصّص الذكر بالتنصيص على حظه لأن القصد إلى بيان فضله والتنبيه على أن التضعيف كاف للتفضيل.»

ونحن نسأل: لماذا لا يتساوى الولد والبنت في الميراث؟ أليس لكلٍ منهما جسد يحتاج للكساء، ومعدة تحتاج للقوت؟ أليست مطالب المعيشة على كليهما واحدة؟ بل قد تكون أقسى على البنت وهي قاصر أو عانس أو أرملة؟

٥- يقضي للرجل أن يتزوج منهن مثنى وثلاث ورباع:

جاء في سورة (النساء ٤ : ٣) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَامَى فَٱنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.﴾

قال البيضاوي: إن خفتم ألَّا تقسطوا في اليتامى - أي إن خفتم ألَّا تعدلوا بينهم إذا تزوجتم بهن. فانكحوا ما طاب لكم من النساء - أي تزوجوا بغير اليتامى من ذوات الغنى والجمال اثنتين

وثلاثًا وأربعًا. وإن خفتم أَلَّا تعدلوا -بين هذا العدد فواحدة- أي تكفيكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم أي عددًا من السراري لأن السراري لا تحتاج إلى كثير إعالة وليس من نحوهن حرج في عدم العدل بينهن! وعبَّر عن النساء بكلمة «ما» التي تستعمل لغير العقلاء ذهابًا إلى إجراء من مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن.

ونحن نسأل: أليست الأسرة هي خلية مصغرة للمجتمع؟ إن وجود رجل واحد بين أربع نساء وعدد كبير من السراري مصنعٌ للمظالم، وميدان للبغضاء والمشاحنات، ومعمل لتخريج المطلقات والمشردين من الأطفال الأبرياء. وإذا تزوج الرجل بأربع وأكثر في آن واحد، فلماذا لا تتطلع المرأة للتزوج بأربعة رجال في آن واحد؟ أليس العدل أن نراعي القانون الأصلي وهو حواء واحدة لآدم واحد؟

٦- ضرب الزوجات

يسمح الإسلام للرجل أن يضرب ويهين زوجته كما جاء في سورة (النساء ٤ : ٣٤) ﴿وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا.﴾

يصرِّح القرآن أنَّه إذا خافت المرأة من إعراض زوجها عنها فلتلجأ إلى هيئة تحكيم من أهلها وأهله ليُصلحا بينهما صلحًا ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بينهما صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (سورة النساء ٤ : ١٢٨). ولكنه يقول إنه إذا خاف الرجل من إعراض زوجته عنه، فعليه أن يعظها ثم

يهجرها ثم يضربها سواء صفعًا باليد أو لكمًا بجمع اليد أو رفسًا وركلًا بالرجل أو نهشًا بالكرباج أو لفحًا بالعصا.

فأين هذا من قول الإنجيل: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا ٱلْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِيَّاهَا بِغَسْلِ ٱلْمَاءِ بِٱلْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذٰلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ. كَذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ ٱمْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا ٱلرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ. لِأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هٰذا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ ٱلْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (أفسس ٥: ٢٥ - ٣١).

٧- زمام زواجها وطلاقها مُعلَّق بإرادة الرجل

زمام زواج المرأة وطلاقها بإرادة الرجل أينما وكيفما شاء. جاء في سورة (البقرة ٢: ٢٣٠) ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قال البيضاوي: فلا تحل له من بعد -من بعد ذلك الطلاق. حتى تنكح زوجًا غيره- حتى تتزوج غيره. وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له.

ونحن نسأل: ألا يستنكر العقلاء هذا النظام الغريب المقزز؟ لماذا يصرّح القرآن بصلح المطلقة ورجوعها إلى زوجها بشرط أن تجامع رجلًا غيره يسمى محلل؟ ما الحكمة أن يُداس ويُدنس جسد

المرأة برجلٍ غريب كي ترجع لزوجها؟ ولماذا لعن محمد المحلل والمحلل له؟ أليس الأحق باللعنة هو المشرِّع؟

٨- المرأة والحجاب

جاء في سورة (النور ٢٤: ٣١) ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ والخُمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها. وجيوبهن جمع جيب وهو القلب أو الصدر. والجيب أيضًا طوق القميص، فيكون المعنى يسترن أعناقهن بغطاء رأسهن.

ونحن نسأل: كيف توضع المرأة في حجاب يشبه السجن؟ إن الحجاب يقتل في المرأة روح العمل والنشاط والحرية الشخصية، ويرجع بالإنسانية إلى عهود الرق والعبودية.

وبحكم العقل نرى أنَّ كلَّ هذا غير مشروع طبيعة! وبعد كل هذا نجد من يملأ الدنيا صخبًا وضجيجًا عن مكانة المرأة في الإسلام وكيف كرَّمها ورفع من شأنها ... إلى آخر هذه المهاترات.

الشذوذ الجنسي

سفر (التكوين ١: ٢٧) «فَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ ٱللهِ خَلَقَهُ.ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ»، وكذلك «ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ، وَبَارَكَهُ وَدَعَا ٱسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ» (تكوين ٥: ٢).

أي أن الزواج يكون بين اثنين فقط ذكرًا وأنثى، ونقرأ في الكتاب المقدَّس كلّه أنَّ الله يدين خطية الشذوذ الجنسي لذلك أحرق سدوم وعمورة في سفر التكوين، وأدان العهد الجديد بشدة

هذه الخطية القبيحة في سفر (رومية ١ : ١٨ – ٣٠) «لِأَنَّ غَضَبَ ٱللهِ مُعْلَنٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ ٱلنَّاسِ وَإِثْمِهِم، ... لِأَنَّ إِنَاثَهُمُ ٱسْتَبْدَلْنَ ٱلْٱسْتِعْمَالَ ٱلطَّبِيعِيَّ بِٱلَّذِي عَلَى خِلَافِ ٱلطَّبِيعَةِ، وَكَذٰلِكَ ٱلذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ ٱسْتِعْمَالَ ٱلْأُنْثَى ٱلطَّبِيعِيَّ، ٱشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ ٱلْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلَالِهِمِ ٱلْمُحِقَّ. وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا ٱللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ ٱللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ»

أما القرآن يقول في سورة (الطور ٥٢: ٢٤) ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾. وأيضًا في سورة (البقرة ٢: ٢٢٣) ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾.

الشذوذ ذكور بذكور

أما عن الولدان المخلدين ودورهم في الجنة، فيقول الأستاذ محمد جلال كشك في كتابه[٤] «خواطر مسلم في المسألة الجنسية» تعليقًا على الآية السابقة «لا أظن أن أحدًا يستطيع المجادلة في أن الولدان هم غلمان، وأنَّهم يعرضون في مجال التنعم والتلذّذ بجمالهم كجزاء حسن للمؤمنين، مثلهم مثل حور العين كلها للاستمتاع الجنسي» ويواصل حديثه في (ص ٢١٣) قائلًا: «كما قلنا كل تفسيرات الجنة محدودة بقدرتنا على التصور أو إن شئت بقدرتنا على الاشتهاء وكما أن المؤمن السوي يستمتع بأنثى اسمها حور عين فكذلك من ابتلى بهوى الغلمان في الدنيا يمتِّعه الله بكائنات مذكرة اسمها الولدان المخلدون».

أليس هذا شذوذًا جنسيًا مباحًا في الجنة؟

٤- «خواطر مسلم في المسألة الجنسية» ص ٢٠٢

بصرف النظر عن إنكار المسلمين للشذوذ في الجنة وقصة الغلمان المخلدون، بل نجد أحد أقطاب الإسلام وهو الخليفة عمر بن الخطاب كان شاذًا جنسيًا، وطوال فترة الخلافة العباسية انتشرت المواخير بل يسجِّل لنا التاريخ أن بعض الخلفاء كالخليفة الأمين والواثق والمعتضد كانوا شاذين، بل وصل الأمر إلى أن كانوا يلصقون تهمة الشذوذ للرجال الذين لم يكن لهم ميلًا للصبيان!

الأُبَنَة: بضم الهمزه وفتح الباء والنون والأُبن – لغةً – جمع المأبون، وهو الذي يشتهي أن يأتيه الرجال لعيب فيه كأن تكون في دبرة داء لا يهدأ إلَّا بماء الرجال.[٥]

عن جلال الدين السيوطي إذ قد كتب في حاشيته المدوّنة على القاموس عند ترجمة لفظة (الأُبَنَة) ما لفظه: «إن هذه الخصلة كانت في خمسة نفر في زمن الجاهلية أحدهم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه». ابن الأثير، وهو من أجلاء علمائهم، قال: «زعمت الروافض أن سيِّدنا عمر كان مخنَّثًا. كذبوا، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال».

ومنها ما هو موجود إلى اليوم في طبقات ابن سعد الذي روى عن عمر قوله: «ما بقيَ فيَّ شيء من أمر الجاهلية إلَّا أني لست أبالي إلى أيّ الناس نكحت، وأيّهم أنكحت»![٦]

فهذا عمر وبكل صفاقة ووقاحة يؤكد أنَّه لم يستطع التخلِّي عن عادته التي كانت فيه أيام الجاهلية (والتي ذكرها السيوطي) فلا يبالي من نكح، ومن أنكح نفسه له!

٥- انظر حاشية رد المحتار لابن عابدين وهو من علماء السُّنَّة ج ٤ ص ٢٤١
٦- الطبقات الكبرى ج ٣ ص ٢٨٩

رخصة إتيان الدُبُر

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (آية ٢٢٣).

قال ابن عباس: كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن، مع هذا الحي من يهود وهم أهل كتاب. فكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العالم، فكانوا يقتدون بكثيرٍ من فعلهم. وكان من شأن أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلَّا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة. فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم. وكان هذا الحي من قريش يشرِّحون النساء شرحًا منكرًا، ويتلذّذون بهنّ مُقبِلات ومُدبِرات ومستلقيات. فلما قَدِم المهاجرون المدينة تزوّج رجلٌ منهم امرأةً من الأنصار، فذهب أن يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنّا كنا نُؤتَي على حرفٍ، فاصنع ذلك، وإلا فاجتنبني. حتى سَرَى أمرُهما، فبلغ ذلك محمدًا فقال: نساؤكم حرثٌ لكم، فأتوا حرثكم أنَّى شئتم أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فنزلت رخصة في إتيان الدُّبُر.[٧]

قوله على حرف الحرف الجانب، وحرف كل شيء جانبه. وقوله يشرّحون النساء يُقال شرح فلان جاريته إذا وطئها على قفاها. فمحمد شجَّع أصحابه على إرخاء العنان للشهوات البهيمية ولم يرضَ بعفاف أهل الكتاب. ولما كان محمد ساعيًا في تكثير حزبه أتاهم بما يلائم أهواءهم.

قال ابن عباس: جاء عمر إلى محمد فقال هلكتُ. قال: وما أهلكك؟ قال: حوّلْتُ رحليَ الليلة (هو كناية عن إتيان المرأة في غير المحل المعتاد، أو إنه أتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها)

٧- أسباب النزول للسيوطي. سبب نزول البقرة ٢٢٣

فلم يرُدّ محمدٌ عليه. ثم قال: نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم أي مقبلات مدبرات، فخلع محمد وعمر برقع الأدب، وكان الأَولى بمحمد أن يرشد عمرًا إلى طهارة الله وقداسته.

واستدل ابن عمر بالآية على إباحة الوطء في الدُّبُر. وقال إنما نزلت رخصة فيه.[٨]

الطلاق وتعدد الزوجات:

تقول التوراة في سفر (التكوين ١ : ٢٧) «فَخَلَقَ ٱللهُ ٱلْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ ٱللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ» وأيضًا في (تكوين ٥ : ٢) «ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُ»، وفي (تكوين ٢ : ٢٤) «لِذٰلِكَ يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا».

وقد قال السيد المسيح نفس الكلام في الأناجيل «فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هٰذَا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ ٱلْٱثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ ٱثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَٱلَّذِي جَمَعَهُ ٱللهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلٰكِنْ مِنَ ٱلْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هٰكَذَا.» (متى ١٩ : ٤ – ٨)

بينما يقول القرآن في (سورة النساء ٤ : ٣) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَامَى فَٱنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى

٨- أخرجه البخاري وغيره، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري.

أَلَّا تَعُولُوا﴾

لنا على هذه الآية تعليقات تكفي لكتابة كتاب مستقل، لكننا هنا نكتفي بذكر تلخيص التعليقات في نقاط:

١ - إنَّهم اختلفوا في العدد البالغ حده في الزواج أي إلى تسعة وهو مجموع المثنى والثلاث والرباع! ربما أرادوا أن يقتدوا بمحمد لأنه كان له إحدى عشرة زوجة. وعلى أي حال إن عادة تعدد الزوجات يُعتبر آفة اجتماعية ضارة، وسوف نذكر رأي الإمام محمد عبده شيخ الأزهر السابق ومفتي الديار المصرية باعتباره رائد الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث.

٢ - رُوي عن جعفر الصادق أنه سُئل في هذه الآية، ما بال الجواب فيها بعيدًا عن الشرط لا تربطه مناسبة؟ فكان رده لقد سقط من بين الشرط والجواب حمل بعير من القرآن. وقدَّم المفسرون آراء عجيبة حول هذه الآية. وننقل هنا ما رواه الرازي:

٣ - قال أهل التحقيق «فانكحوا ما طاب لكم من النساء» لا يتناول العبيد، وذلك لأن الخطاب يتناول إنسانًا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها، والعبد ليس كذلك بدليل أنه لا يتمكن من النكاح إلَّا بإذن مولاه، ويدل عليه القرآن والخبر. أما القرآن فقوله «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ» (النحل ١٦ : ٧٥) فقوله لا يقدر على شيء ينفي كونه مستقلًا بالنكاح. وأما الخبر فقوله أيما عبد تزوج بغير إذن مولاه فهو عاهر فثبت بما ذكرناه أن هذه الآية لا يندرج فيها العبد.

وذهب أكثر الفقهاء إلى أن نكاح الأربع مشروعٌ للأحرار

دون العبيد. وقال مالك: يحلّ للعبد أن يتزوّج بالأربع وتمسّك بظاهر هذه الآية.

والجواب الذي يُعتمد عليه: أن الشافعي احتجّ على أن هذه الآية مختصَّة بالأحرار بوجهين آخرين سوى ما ذكرناه: أن القرآن قال بعد هذه الآية: فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة، أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون إلَّا للأحرار، والثاني: أنه قال فإنْ طبْنَ لكم عن شيءٍ منه نفسًا فكلوه هنيئًا مريئًا. والعبد لا يأكل ما طابت عنه نفس امرأته من المهر، بل يكون لسيده.

٤ - ذهب قومٌ إلى أنه يجوز التزوّج بأيِّ عددٍ أُريد، واحتجّوا بالقرآن والخبر. أما القرآن فقد تمسكوا بهذه الآية من ثلاثة أوجه: (١) أن قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء إطلاق في جميع الأعداد، بدليل أنه لا عدد إلَّا ويصبح استثناؤه منه، وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه لكان داخلًا. (٢) إن قوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح تخصيصًا لذلك العموم، لأن تخصيص بعض الأعداد بالذكر لا ينفي ثبوت الحكم في الباقي، بل نقول: إن ذكر هذه الأعداد يدل على رفع الحرج والحجْر مطلقًا. فإذا ذكر بعض الأعداد بعد قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء كان ذلك تنبيهًا على حصول الإذن في جميع الأعداد.

٥ - إن الواو للجمع المطلق، فقوله مثنى وثلاث ورباع يفيد حل هذا المجموع. وهو يفيد تسعة، بل الحق أنه يفيد ثمانية عشر، لأن قوله مثنى ليس عبارة عن اثنين فقط، بل عن اثنين اثنين وكذا القول في البقية. وأما الخبر فمن وجهين:

(أ) ثبت بالتواتر أن النبي مات عن تسع. ثم إن الله أمرنا باتّباعه فقال فاتبعوه وأقل مراتب الأمر الإباحة.

(ب) كان التزوج بأكثر من الأربع طريقة النبي، فكان ذلك سُنَّة له، ثم إنه قال فمن رغب عن سُنَّتي فليس منّي فظاهر هذا الحديث يقتضي توجيه اللوم على من ترك التزوّج بأكثر من الأربعة، فلا أقل من أن يثبت أصل الجواز.[٩]

٦ - ولكن بعض الفقهاء قرَّروا الحَصْر، وبنوه على الخبر، وهو ما رُوي أن غيلان أسلم وتحته عشر نسوة، فقال الرسول: أمسك أربعًا وفارق باقيهن. وروي أن نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة، فقال الرسول: أمسك أربعًا وفارق واحدة.

رأي الإمام محمد عبده:

«فمن تأمَّل الآيتين علم أنَّ إباحة تعدد الزوجات في الإسلام أمرٌ مضيَّق فيه أشد التضييق، كأنه من الضرورات التي تُبَاح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور. وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفاسد جزم بأنَّه لا يمكن لأحدٍ أن يربّي أُمَّةً فشا فيها تعدد الزوجات. فإن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ولا يقوم فيه نظام بل يتعاون الرَّجُل مع زوجاته على إفساد البيت كأن كل واحدٍ منهم عدوٌ للآخر، ثم يجئ الأولاد بعضهم لبعض عدو. فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت، ومن البيوت إلى الأمَّة.» وأضاف الإمام:

٩- الرازي في تفسير النساء ٣

«كان للتعدد في صدر الإسلام فوائد أهمها صلة النسَب والصهر الذي تقوى به العصبية، ولم يكن له من الضرر مثل ما له الآن لأنه كان متمكنا من نفوس الرجال والنساء. وكان أذى الضرَّة لا يتجاوز ضرَّتها. أما اليوم فإن الضرر ينتقل من كل ضرَّة إلى ولدها وإلى والده وإلى سائر أقاربه، فهي تغري بينهم العداوة والبغضاء. تغري ولدها بعداوة إخوته، وتغري زوجها بهضم حقوق ولده من غيرها، وهو بحماقته يطيع أحب نسائه إليه، فيدُبُّ الفساد في العائلة كلها. ولو شئت تفصيل الرزايا والمصائب المتولدة من تعدد الزوجات لأتيت بما يقشعر منه جلود المؤمنين، فمنها السرقة والزنا والكذب والخيانة والجُبن والتزوير بل منها القتل حتى قتل الولد والده، والوالد ولده، والزوجة زوجها، والزوج زوجته وكل ذلك واقعٌ وثابتٌ في المحاكم وناهيك بتربية المرأة التي لا تعرف قيمة الزوج ولا قيمة الولد، وهي جاهلة بنفسها، وجاهلة بدينها لا تعرف منه إلَّا خرافات وضلالات تلقفتها من أمثالها، يتبرأ منها كل كتاب منزل، وكل نبي مرسل، فلو تربى النساء تربية دينية صحيحة يكون بها الدين هو صاحب السلطان الأعلى على قلوبهن، بحيث يكون هو الحاكم على الغيرة، لما كان هناك ضرر على الأمة من تعدد الزوجات، وإنما يكون ضرره قاصرًا عليهن في الغالب. أما والأمر على ما نرى ونسمع، فلا سبيل إلى تربية الأمة مع فشو تعدد الزوجات فيها، فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة – خصوصًا الحنفية منهم – الذين بيدهم الأمر، وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون أن الدين أُنْزِلَ لمصلحة الناس وخيرهم، وإن من أصوله منع الضرر والضرار، فإذا ترتب على

شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله، فلا شك وجوب تغير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة، يعني على قاعدة: «درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح». قال: «وبهذا يعلم أن تعدد الزوجات محرم قطعًا عند الخوف من عدم العدل».

هذا ما قاله الأستاذ الإمام في الدرس الأول الذي فسَّر فيه الآية، ثم قال في الدرس الثاني: «تقدم أنَّ إباحة تعدد الزوجات مضيقة قد اُشترِط فيها ما يصعب تحققه فكأنه نهى عن كثرة الأزواج. وتقدم أنه يحرَّم على من خاف عدم العدل أن يتزوج أكثر من واحدة، ولا يُفهم منه كما فهم بعض المجاورين أنه لو عقد في هذه الحالة يكون العقد باطلًا، أو فاسدًا، فإن الحرمة عارضة لا تقتضي بطلان العقد، فقد يخاف الظلم، ولا يظلم، ثم يتوب فيعدل فيعيش عيشة حلالًا.»

قال: أما قوله تعالى: «أو ما ملكت أيمانكم» فهو معطوف على قوله فواحد أي فالزموا زوجًا واحدة، أو أمسكوا زوجًا واحدة مع العدل - وهذا في من كان متزوجًا كثيرات - أو الزموا ما ملكت أيمانكم واكتفوا بالتسرِّي بهن بغير شرط «ذلك أدنى ألَّا تعولوا» أي أقرب إلى عدم العول، وهو الجور، فإن العدل بين الإماء في الفراش غير واجب إذ لا حق لهن فيه، وإنما لهن الحق في الكفاية بالمعروف. وهذا لا يفيد حلّ ما جرى عليه المسلمون منذ قرون كثيرة من الإسراف في التمتع بالجواري المملوكات بحق، أو بغير حق، مهما ترتب على ذلك من المفاسد كما شوهد، ولا يزال يشاهد في بعض البلاد إلى الآن» انتهى كلام الإمام محمد عبده في تفسيره «المنار» وهو يُعتبر أكثرهم انفتاحًا.

خلق الإنسان

تقول التوراة عن كيفية خلق آدم في سفر التكوين ٢ : ٧ «وَجَبَلَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ ٱلْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً»

بينما القرآن يقول في سورة الحجر ١٥ : ٢٦ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾

السقوط في الخطية:

قصة السقوط في الخطية كما جاءت في الأصحاح الثالث من سفر التكوين كما يلي:

«وَكَانَتِ ٱلْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ ٱلْبَرِّيَّةِ ٱلَّتِي عَمِلَهَا ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ ٱللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي فِي وَسَطِ ٱلْجَنَّةِ فَقَالَ ٱللهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا». فَقَالَتِ ٱلْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ ٱللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَٱللهِ عَارِفَيْنِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ». فَرَأَتِ ٱلْمَرْأَةُ أَنَّ ٱلشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لِأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ مَاشِيًا فِي ٱلْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ ٱلنَّهَارِ، فَٱخْتَبَأَ آدَمُ وَٱمْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ ٱلرَّبِّ ٱلْإِلٰهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ ٱلْجَنَّةِ. فَنَادَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لِأَنِّي عُرْيَانٌ فَٱخْتَبَأْتُ».

فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هٰذَا ٱلَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ: «اَلْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». فَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِلْحَيَّةِ: «لِأَنَّكِ فَعَلْتِ هٰذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ ٱلْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ ٱلْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ ٱلْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِٱلْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ ٱشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». وَقَالَ لِآدَمَ: «لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ ٱمْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا: لَا تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ ٱلْأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِٱلتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ ٱلْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لِأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». وَدَعَا آدَمُ ٱسْمَ ٱمْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لِأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وَصَنَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ لِآدَمَ وَٱمْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا. وَقَالَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ: «هُوَذَا ٱلْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ. وَٱلْآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى ٱلْأَبَدِ». فَأَخْرَجَهُ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ ٱلْإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ ٱلْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ ٱلْحَيَاةِ.»

هذه هي قصة السقوط كما وردت في الكتاب.

قصة السقوط كما وردت في القرآن:

في سورة البقرة وهي مدنية وتسلسل نزولها السابعة والثمانون ويعتبرها فقهاء الإسلام أشمل وأكمل سورة حيث تتطرق آياتها إلى فكرة الخلق من آدم وحواء وتذكر رسائل بعض الأنبياء إلى أقوامهم وخاصة رسالة موسى إلى بني إسرائيل ومن ثم تذكر عيسى وسليمان وإبراهيم وبعض من قصصهم المكررة وفيها أيضًا تأكيد على أن الكعبة هي القِبلة وتتطرق بعد ذلك إلى مواضيع في الإرث والوصية والطلاق والشهادة.

وفي موضوع الخلق تذكر ومن الآية ٣٠ وحتى الآية ٣٩ وتقول ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خلِيفَةً. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجدُوا لِآدَمَ فَسَجدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ. وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجكَ ٱلْجَنَّةَ. وَلَا تَقْرَبَا هَذهِ ٱلشَّجرَةَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ. قُلْنَا ٱهْبِطُوا. أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خالِدُونَ﴾ وبذلك يتحدث القرآن كيف أنَّ الله أراد أن يخلق خليقة له في الأرض (آدم) وقام بتعليمه الأسماء كلها وطلب من الملائكة أن يسجدوا له وقد لبُّوا كلهم الطلب وسجدوا إلَّا إبليس رفض! وأسكنه الجنة هو وزوجته ودعاهم إلى عدم التقرب من شجرة معينة ولكن الشيطان استطاع أن يغويهما وبذلك نزلوا إلى الأرض.

رغم سطحية الطرح وبساطة القصة إلَّا أننا سنعتبرها الأساس في الخلق البشري، ولكن تعال معي وانظر وبدقة إلى مضمون الآية ٣٠ حيث يقول الله للملائكة «إنني جاعل في الأرض خليفة» في الأرض. ولكن وفي سياق الصعود الدرامي لسرد الحدث ينسى الكاتب ذلك ليرجع وبعد تسلسل صحيح للقصة وحتى الآية ٣٤ ليقول في الآية ٣٥ ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ ٱسْكُنْ أَنْتَ

وَزَوْجكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ أي أن الله نسي الآية ٣٠ وبدلًا من أن يملكن آدم الأرض أسكنه الجنة! حتى تغويه زوجته ليأكل من ثمرة الشجرة المحرَّمة وبدافع من الشيطان وبعد ذلك يُنزل إلى الأرض! هل من المعقول أن يخطئ الله في السرد والتنسيق القصصي وبمثل هذه الصورة؟! إذ أنَّ الله أراد أن يكون له خليفة وفي الأرض بالتحديد كما جاء بمضمون الآية ٣٠ فلماذا جاء وأسكنه الجنة أول مرة ليبدأ القصة بعد ذلك حتى النزول إلى الأرض بالآيات من ٣١ إلى ٣٩ إذا كان القرار أولًا ومع سبق الإصرار هو الإسكان في الأرض؟ أعتقد أن الإثارة والتشويق كان الهدف من وراء السرد الإضافي للقصة.

فتلقَّى آدمُ من ربه كلماتٍ (البقرة ٢ : ٣٧).

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

تُرى ما هي تلك الكلمات التي تلقّاها آدم من ربِّه بعد أن أزلَّه الشيطان فأخرجه مما كان فيه؟ حسنًا نصح القرآن أصحابه: ﴿فَٱسْأَلُوا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ (النحل ١٦ : ٤٣، ٤٤) فإن هذه «الكلمات» لم ترِد في القرآن، بل جاءت في زبُر (كتب) الأوَّلين، فقد جاء في التكوين ٣: ١٥ أنه بعد سقوط آدم وحواء وعَدَهما الله بمجيء المسيح المخلِّص ودعاه «نسل المرأة» الذي يسحق رأس الحيَّة. هو المسيح ابن مريم الذي لم يسحق شخصٌ سواه رأسَ الحية (إبليس) فهو الوحيد الذي لم يخطئ أبدًا. وفي المسيح نجد رحمة الله على العالمين، لأنه «يخلِّص شعبه من خطاياهم» (متى ١ : ٢١).

سقوط آدم

من قارن بين ماورد في الأعراف ٧: ٢٠ - ٢٣ وما ورد في التوراة عن سقوط آدم وجد أخطاءً كثيرة في القرآن. قال القرآن إن الشيطان قال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَالِدِينَ﴾.

والتوراة تعلّمنا أن الشيطان اختلى بحواء واستفهم منها بمكره وغدره عن الشجرة ثم قال لحواء: إنكما إذا أكلتما منها تكونان كالله ذاته وتعرفان الخير والشر.

ومن أخطائه قوله إن الله قال لآدم وحواء: ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟ وإنها أجابا: ربنَّا ظلمنا أنفسنا، وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾. مع أن التوراة أفادت أنه لما أكل آدم وامرأته من الشجرة اختبئا. «فَنَادَى ٱلرَّبُّ ٱلإِلٰهُ آدَمَ: أَيْنَ أَنْتَ؟. فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَٱخْتَبَأْتُ. فَقَالَ: مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟ فَقَالَ آدَمُ: ٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ ٱلشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» (تكوين ٣: -٨ ٢٠).

قايين وهابيل:

تقول التوراة سفر التكوين ٤: ٨ - ١٤ «وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي ٱلْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لِأَخِي؟» فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ ٱلْأَرْضِ. فَٱلْآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ

أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ ٱلْأَرْضَ لَا تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي ٱلْأَرْضِ». فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ. إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي ٱلْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ ٱلْأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي ٱلْأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي».

أما القرآن فيقول في سورة المائدة ٥: ٢٧ - ٣١ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ آدَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ. لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ ٱلظَّالِمِينَ. فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ. فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ﴾

النص التوراتي واضح وبسيط ومفهوم، أمَّا النَّص القرآني فلهم فيه قصص وروايات شتّى سأقتبس بعضها. من تفسير ابن كثير:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الأنصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال: قال آدم عليه السلام لهابيل وقابيل: إن ربي عهد إليَّ أنَّه كائن من ذريتي من يقرِّب القربان، فقرَّبا قربانا حتى تقر عيني إذا تقبل قربانكما، فقربا. وكان هابيل صاحب غنم فقرَّب أكولة غنمه، خير ماله، وكان قابيل صاحب زرع، فقرَّب مشاقة من زرعه، فانطلق آدم

معهما، ومعهما قربانهما، فصعدا الجبل فوضعا قربانهما، ثم جلسوا ثلاثتهم: آدم وهما، ينظران إلى القربان، فبعث الله نارًا حتى إذا كانت فوقهما دنا منها عنق، فاحتمل قربان هابيل وترك قربان قابيل فانصرفوا. وعلم آدم أنَّ قابيل مسخوط عليه، فقال: ويلك يا قابيل ردَّ عليك قربانك. فقال قابيل: أحببته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه، وردَّ عليَّ قرباني. وقال قابيل لهابيل: لأقتلنك فأستريح منك، دعا لك أبوك فصلى على قربانك، فتقبل منك. وكان يتواعده بالقتل، إلى أن احتبس هابيل ذات عشية في غنمه، فقال آدم: يا قابيل أين أخوك؟ «قال» قال: وبعثتني له راعيًا؟ لا أدري. فقال «له» آدم: ويلك يا قابيل. انطلق فاطلب أخاك. فقال قابيل في نفسه: الليلة أقتله. وأخذ معه حديدة فاستقبله وهو منقلب، فقال: يا هابيل تقبَّل قربانك وردَّ عليَّ قرباني، لأقتلنك. فقال هابيل: قرَّبتُ أطيب مالي، وقرَّبتَ أنت أخبث مالك، وإنَّ الله لا يقبل إلَّا الطيب، إنَّما يتقبَّل الله من المتقين، فلما قالها غضب قابيل فرفع الحديدة وضربه بها، فقال: ويلك يا قابيل أين أنت من الله؟ كيف يجزيك بعملك؟ فقتله فطرحه في جوبة من الأرض، وحثى عليه شيئًا من التراب.

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إنَّ آدم أمر ابنه قينا أن ينكح أخته توأمة هابيل، وأمر هابيل أن ينكح أخته توأمة قين، فسلم لذلك هابيل ورضي، وأبى ذلك قين وكره، تكرُّما عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال: نحن ولادة الجنة، وهما من ولادة الأرض، وأنا أحق بأختي -ويقول بعض أهل العلم بالكتاب الأول: كانت أخت قين من

أحسن الناس، فضنَّ بها عن أخيه وأرادها لنفسه، فالله أعلم أي ذلك كان- فقال له أبوه: يا بني، إنَّها لا تحلُّ لك، فأبى قابيل أن يقبل ذلك من قول أبيه. فقال له أبوه: يا بني، قرِّب قربانًا، ويقرِّب أخوك هابيل قربانًا، فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها، وكان قين على بذر الأرض، وكان هابيل على رعاية الماشية، فقرَّب قين قمحًا، وقرَّب هابيل أبكارًا من أبكار غنمه - وبعضهم يقول: قرَّب بقرة - فأرسل الله نارًا بيضاء، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قين، وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله. رواه ابن جرير

وقال العوفي عن ابن عباس قال: كان من شأنهما أنَّه لم يكن مسكين يتصدق عليه، وإنما كان القربان يقرِّبه الرجل. فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا لو قرَّبنا قربانًا، وكان الرجل إذا قرَّب قربانًا فرضيه الله أرسل إليه نارًا فتأكله وإن لم يكن رضيه الله خبت النار، فقرَّبا قربانًا، وكان أحدهما راعيًا، وكان الآخر حراثًا، وإنَّ صاحب الغنم قرَّب خير غنمه وأسمنها، وقرَّب الآخر بعض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما، فأكلت الشاة وتركت الزرع، وإنَّ ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أنَّك قرَّبت قربانًا فتقبَّل منك ورد عليَّ؟ فلا والله لا ينظر الناس إليك وإليَّ وأنت خير مِنِّي. فقال: لأقتلنك. فقال له أخوه: ما ذنبي؟ إنما يتقبَّل الله من المتقين. رواه ابن جرير

فهذا الأثر يقتضي أنَّ تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارئ في امرأة، كما تقدم عن جماعة من تقدم ذكرهم، وهو ظاهر القرآن، «إذ قرَّبا قربانًا فتقبَّل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين» فالسياق يقتضي أنَّه إنما

غضب عليه وحسده لقبول قربانه دونه

ثم المشهور عند الجمهور أنَّ الذي قرَّب الشاة هو هابيل وأنَّ الذي قرَّب الطعام هو قابيل وأنه تقبَّل من هابيل شاته، حتى قال ابن عباس وغيره: إنَّه الكبش الذي فدي به الذبيح، وهو مناسب، والله أعلم، ولم يتقبل من قابيل. كذلك نصَّ عليه غير واحد من السلف والخلف، وهو المشهور عن مجاهد أيضًا، ولكن روى ابن جرير عنه أنَّه قال: الذي قرَّب الزرع قابيل وهو المتقبَّل منه، وهذا خلاف المشهور، ولعله لم يحفظ عنه جيدًا، والله أعلم

روى ابن أبي حاتم: «لمَّا أراد أن يقتلهُ أخذ برأسه ليقتله، فاضطجع له، وجعل يغمز رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله، فجاءه إبليس فقال: أتريد أن تقتله؟ قال: نعم. قال: فخُذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه. قال: فأخذها، فألقاها عليه، فشدخ رأسه. ثم جاء إبليس إلى حواء مسرعًا، فقال: يا حواء، إنَّ قابيل قتل هابيل. فقالت له: ويحك، أي شيء يكون القتل؟ قال: لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك. قالت: ذلك الموت. قال: فهو الموت. فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح، فقال: ما لك؟ فلم تكلمه، فرجع إليها مرتين، فلم تكلمه. فقال: عليك الصيحة وعلى بناتك، وأنا وبني منها برآء.

أمَّا عن مسألة الغراب ودفن أخيه الميت، ففيها روايات عجيبة!

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ

فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ﴾ قال السدي بإسناده المتقدِّم إلى الصحابة: لما مات الغلام تركه بالعراء، ولا يعلم كيف يدفن، فبعث الله غرابين أخوين، فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له ثم حثى عليه. فلما رآه قال: «قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي»

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جاء غراب إلى غراب ميت، فبحث عليه من التراب حتى واراه، فقال الذي قتل أخاه: «قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي».

وقال الضحاك عن ابن عباس: مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة، حتى بعث الله الغرابين، فرآهما يبحثان، فقال «أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ» فدفن أخاه

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: وكان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتًا، لا يدري ما يصنع به يحمله، ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب، فقال: «يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال عطية العوفي: لما قتله ندم. فضمه إليه حتى أروح، وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله. رواه ابن جرير

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: لما قتله سقط في يديه، ولم يدر كيف يواريه. وذلك أنَّه

كان -فيما يزعمون- أول قتيل في بني آدم وأول ميت «فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّادِمِينَ» قال: وزعم أهل التوراة أنَّ قينًا لما قتل أخاه هابيل قال له الله عز وجل: يا قين أين أخوك هابيل؟ قال: قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيبًا. فقال الله: إنَّ صوت دم أخيك ليناديني من الأرض، والآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاها فبلعت دم أخيك من يدك، فإن أنت عملت في الأرض، فإنَّها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعًا تائهًا في الأرض.

تعليقنا: أما قوله «قابيل» فصوابه «قايين»، ثم إن مراعاة القرآن للسجع مقدَّمةٌ عنده على الحقائق، فقال قابيل لأنه على وزن هابيل، كما قال طالوت لأنه على وزن جالوت.

وقول القرآن إنَّ الغراب علَّم قايين كيفية دفن أخيه مأخوذ من خرافات اليهود القديمة. وهل نتصوّر أنَّ قايين كان يجهل هذا الأمر وقد كان يرى مدة حياته الذبائح تُقدَّم لله؟ وهل يُعقل أنَّه لم يرَ في مدة حياته الطويلة أن دفن الطير أو الحيوان في الأرض ومواراته في التراب يكون واقيًا للإنسان من رائحته المنتنة الكريهة، وقد أتى الله الإنسان عقلاً به يعقل ويدرك؟ وكتاب الله لا يتكلَّم عن هذه الخرافة.

أخنوخ وليس إدريس:

نقرأ في سفر التكوين ٥: ٢١ - ٢٤ «وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ ٱللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ

مَتُوشَالَحَ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ ٱللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ ٱللهَ أَخَذَهُ»

أما القرآن فيقول في سورة مريم ١٩ : ٥٦ و٥٧ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾.

قال البيضاوي «إدريس- هو جدّ أبي نوح واسمه أخنوخ. واشتقاق إدريس من الدرس لكثرة دروسه، إذ رُوي أن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أول من خطّ بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب - إنه كان صدّيقًا نبيًا ورفعناه مكانًا عليًا - يعني شرف النبوة والزلفى عند الله. وقيل الجنة. وقيل السماء السادسة أو الرابعة».

من أين جيء باسم إدريس بدل أخنوخ؟ فالصواب أخنوخ وليس إدريس إذا كان هو المقصود.

نوح يدعو للضلال!

تقول التوراة في (تكوين ٦ : ٩) «كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ» وكذلك العهد الجديد «أنه كان كارزًا للبر» (٢بطرس ٢ : ٥).

أما القرآن فيقول عنهُ في سورة نوح ٧١: ٢٤ ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالًا؟ كما أن الله ليس مصدر الضلال، ونوح نفسه لا يحب الضلال.

أبناء نوح

سفر (التكوين ٧: ١٣) «فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَٱمْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلَاثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى ٱلْفُلْكِ» فنوح كان لديه ثلاثة أبناء فقط هم من دخلوا معه الفلك وأصبحوا أصل كل شعوب وقبائل الأرض إلى يومنا هذا (يافث، وسام، حام) كما أن نسل قايين انتهى بالطوفان.

أما القرآن فيقول في سورة هود: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ ٱلْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَاءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ﴾ (آيات ٤٢ - ٤٦).

رمى القرآن زوجة نوح بالزنا، فقال في التحريم ٦٦: ١٠ ﴿ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَةَ نُوحٍ وَٱمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾. ولما وجد المفسرون أن هذا لا يليق بالأنبياء، حاولوا الخروج من المأزق بقولهم إنَّه ليس من أهلك الذين وعدتُك أن أنجّيهم، أو تعني أنه كافر فلا قرابة بينكما. واستقبحوا ما رمى به القرآن زوجة نوح، مع أن القرآن قال ذلك.

وقالوا إن الذي غرق هو كنعان بن نوح. ولو سلّمنا بصحة

هذا لما كان يجوز لنوح أن يتأوَّه ويقول إنه من أهلي وهو يعرف أن كل نفسٍ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (البقرة ٢ : ٢٨٦). وناهيك أن الله زجره. ونتعلم من التوراة أنه لما تحلّ بالأتقياء مصيبة يسلّمون الأمر لله. فهذا عالي الكاهن لما أخبره صموئيل بما يحلّ بولديه من القتل بسبب شرهما، وما يحلّ ببيته من الهلاك، لم يقل لله: إنهما من أهلي بل «هُوَ ٱلرَّبُّ. مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْهِ يَعْمَلُ» (١صموئيل ٣: ١٨) فسلّم لإرادة الرب.

والحق أنه لم يغرق أحدٌ من أولاد نوح بالطوفان، ولم يطلب نوحُ هذه الطلبة. فكيف يهلك الله كنعان (كما قالوا) قبل أن يولد! وبعد الطوفان قال الله: «وَكَانَ بَنُو نُوحٍ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ ٱلْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ» (تكوين ٩ : ١٨).

عُمر نوح

جاء في سفر التكوين ٧: ٦ «وَلَمَّا كَانَ نُوحُ ٱبْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ ٱلْمَاءِ عَلَى ٱلْأَرْضِ» وتكوين ٩ : ٢٨ و٢٩ «وَعَاشَ نُوحُ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ ثَلَاثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ.»

أما القرآن فيقول في سورة العنكبوت ٢٩: ١٤ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾

قال ابن عباس: بُعث نوح لأربعين سنة، وبقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلَّا خمسين عامًا،وعاش بعد الطوفان ستين سنة

حتى كثر الناس، فكان عمره ألفًا وخمسين عامًا.

ولكن عمر نوح هو ٩٥٠ سنة كما في التوراة لا غير، فلم يلبث ألف سنة إلَّا خمسين، يعني غير المدة التي عاشها بعد الطوفان.

هود وعاد وثمود من نسل نوح

نسل نوح جاء في سفر التكوين ١٠: ١ «وَهٰذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ»

ونسل سام ابنه من عدد ٢١-٣٢ «وَسَامٌ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ، أَخُو يَافَثَ ٱلْكَبِيرُ، وُلِدَ لَهُ أَيْضًا بَنُونَ. بَنُو سَامٍ: عِيلَامُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. وَبَنُو أَرَامَ: عُوصُ وَحُولُ وَجَاثَرُ وَمَاشُ. وَأَرْفَكْشَادُ وَلَدَ شَالَحَ، وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ. وَلِعَابِرَ وُلِدَ ٱبْنَانِ: ٱسْمُ ٱلْوَاحِدِ فَالَجُ لِأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ ٱلْأَرْضُ. وَٱسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ. وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هؤُلَاءِ بَنُو يَقْطَانَ. وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ مِيشَا حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَفَارَ جَبَلِ ٱلْمَشْرِقِ. هؤُلَاءِ بَنُو سَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ بِأَرَاضِيهِمْ حَسَبَ أُمَمِهِمْ. هؤُلَاءِ قَبَائِلُ بَنِي نُوحٍ حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ بِأُمَمِهِمْ. وَمِنْ هؤُلَاءِ تَفَرَّقَتِ ٱلْأُمَمُ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ ٱلطُّوفَانِ.»

أمَّا القرآن فيقول في سورة هود ١١: ٥٠ - ٥٩ ﴿وَإِلَى عَادٍ (أرسلنا) أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ... وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. وجاء في سورة الأعراف ٧:

٦٥ - ٧٢ ﴿وَإِلَى عَادٍ (أرسلنا) أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا اللهَ مَا لكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ قَالَ المَلأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لنَظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

قال البيضاوي في تفسير الآيات السالفة: «هود هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وقيل هود بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أخي عاد... وأهل قبيلة عاد كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم هود فكذبوه وازدادوا عتوًا، فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم... وأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثًا بيضاء وحمراء وسوداء. ثم نادى منادٍ من السماء لزعيمهم قُيَل بن عتر: يا قُيَل، اختر لنفسك ولقومك. فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء. فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها. وقالوا هذا عارض ممطرنا. فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم. ونجا هود والمؤمنون معه. فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا».

(١) ولا تذكر التوراة أن نبيًا قام بين نوح وإبراهيم، ولا تذكر بين ذرية نوح رجلًا اسمه عاد أو صالح أو ثمود، ولا تذكر عقابًا بانقطاع المطر ثلاث سنوات إلَّا في أيام النبي إيليا.

(٢) ورد في تكوين ١٠: ٢٢ أن أولاد سام هم عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام، فالظاهر أن كلمة هود محرّفة عن لود.

(٣) ولم يرد في التوراة أن هودًا أو لودًا كان نبيًا، وإنه أُرسل إلى قومه. وكذلك لم يرد أن قومه هم عاد.

(٤) لم يصرّح القرآن بالرجس الذي أنزله الله على قوم هود، ولو كان شيئًا حقيقيًا لصرّح به.

غير أن المفسرين قالوا إن الله أمسك عنهم المطر ثلاث سنين لأنهم كذّبوا هودًا. والحق أنَّ إيليا النبي هو الذي أمسك المطر عن بني إسرائيل مدة ثلاث سنين وستة أشهر في عهد الملك أخآب (١ملوك ١٧ و١٨). فخلطوا إيليا بهود، واخترعوا أسماء وهمية لا أصل لها!

شعيب!

«وَشَالَحُ وَلَدَ عَابِرَ. وَلِعَابِرَ وُلِدَ ٱبْنَانِ: ٱسْمُ ٱلْوَاحِدِ فَالَجُ لِأَنَّ فِي أَيَّامِهِ قُسِمَتِ ٱلْأَرْضُ. وَٱسْمُ أَخِيهِ يَقْطَانُ. وَيَقْطَانُ وَلَدَ: أَلْمُودَادَ وَشَالَفَ وَحَضَرْمَوْتَ وَيَارَحَ وَهَدُورَامَ وَأُوزَالَ وَدِقْلَةَ وَعُوبَالَ وَأَبِيمَايِلَ وَشَبَا وَأُوفِيرَ وَحَوِيلَةَ وَيُوبَابَ. جَمِيعُ هٰؤُلَاءِ بَنُو يَقْطَانَ.»

أما القرآن فيقول في سورة الأعراف ٧: ٨٥ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ

بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

قالت معظم التفاسير الإسلامية إنَّ شعيبًا هذا هو الذي أعطى موسى عصاه وأن هذه العصا حاربت التنين، وإنَّه قال لموسى أن هذه الأغنام تلد أولادًا فيها سواد وبياض.

أ- التنين في عصر موسى!

ب- خلط القرآن بين قصة موسى وقصة يعقوب. فقصة الأغنام هذه خاصة بيعقوب وخاله لابان، ويوجد فرق عظيم في الزمن بينهما. فحادثة يعقوب مع لابان حدثت حوالي ١٧٥٧ ق.م. وحادثة الخروج ١٤٩١ ق.م.

ج- لم يجيء نبي في بني إسرائيل تسمَّى بهذا الاسم.

تارح وعبادة الكواكب

كل ما ورد عن تارح أبو إبراهيم جاء في (تكوين ١١ : ٢٥ - ٣٢) «وَعَاشَ نَاحُورُ بَعْدَ مَا وَلَدَ تَارَحَ مِئَةً وَتِسْعَ عَشَرَةَ سَنَةً، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَهٰذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا. وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلَادِهِ فِي أُورِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ. وَٱتَّخَذَ أَبْرَامُ وَنَاحُورُ لِأَنْفُسِهِمَا ٱمْرَأَتَيْنِ: ٱسْمُ ٱمْرَأَةِ أَبْرَامَ سَارَايُ، وَٱسْمُ ٱمْرَأَةِ نَاحُورَ مِلْكَةُ بِنْتُ هَارَانَ، أَبِي مِلْكَةَ وَأَبِي يِسْكَةَ. وَكَانَتْ سَارَايُ عَاقِرًا لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ. وَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ٱبْنَهُ، وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ، ٱبْنَ ٱبْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ ٱمْرَأَةَ أَبْرَامَ ٱبْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعًا مِنْ أُورِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ

وَأَقَامُوا هُنَاكَ. وَكَانَتْ أَيَّامُ تَارَحَ مِئَتَيْنِ وَخَمْسَ سِنِينَ. وَمَاتَ تَارَحُ فِي حَارَانَ.»

أمَّا القرآن فيقول في سورة (الأنعام ٦: ٧٤، ٧٦ - ٧٨) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِين. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

فالقرآن يقول إنَّ آزر أبو إبراهيم كان عبَّادًا للكواكب والنجوم والفلك. بينما الصواب أنَّ اسمه تارح وليس في التوراة ذكر لأي شئ من هذا.

إبراهيم والكواكب:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ (أي على إبراهيم) ٱللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام ٦: ٧٦ - ٧٨).

ولمفسّريهم في هذه الأقوال آراء شتى:

(١) فمنهم من قال إنَّ إبراهيم قال هذا القول قبل البلوغ، أي في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه. واستدل أصحاب هذا من القول: «لئن لم يهدني ربي لأكوننّ من القوم الضالين». وهذا

يدل على تحيُّر. وقيل إن كلامه هذا كان بعد بلوغه، وفسَّروا عبارة القرآن بأن إبراهيم أراد أن يعرّفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها، بأن أراهم النقص الداخل عليها بسبب الأفول.

(٢) قالوا إنَّه قال هذا القول على سبيل الاستفهام، وهو استفهامٌ استنكاري. وإسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب.

(٣) إنَّه قال هذا على وجه الإحجاج، كأنه قال لهم: لو كان إلهًا كما تزعمون لما غاب.

وغير ذلك من الأوجه التي اعتذروا بها عن وقوع إبراهيم في عبادة الكواكب[١٠].

والقول الحق الذي يغني عن كثرة التفسير هو الوارد في التوراة، من أنَّ إبراهيم كان يعبد الله، وكذلك كان والداه. وكانوا من شعب الله المعترفين بوحدانيته المطيعين لأوامره، فلا يقول إبراهيم الذي تربَّى في مخافة الله عن الكواكب إنَّها ربه، حتى وإن قصد إقناعهم ببُطلان معبودهم، فإنه توجد طرق كثيرة لإدراك المقصود بغير هذه الطريقة.

أصل اليهود

تقول التوراة إنَّ أب اليهود هو إبراهيم (تكوين ١٢: ١ - ٣)، وإبراهيم ولد إسحٰق (تكوين ٢١: ١)، وإسحٰق ولد يعقوب (تكوين ٢٥: ١٩ - ٢٦)، ويعقوب ولد الأسباط الاثنى عشر. (تكوين ٣٥: ٢٢).

١٠- الرازي في تفسير الأنعام

أما القرآن فيقول في سورة البقرة ٢: ١٤٠ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ ٱللهِ وَمَا ٱللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

النَّص التوراتي واضح وجلي، كما أن تاريخ اليهود منذ نشأتهم واضحة ومدوَّنة بكل دقة، أما النَّص القرآني فهو غامضٌ غير واضح، فالالتباس والشك وعدم الوضوع صفة شائعة في النصوص القرآنية.

أور الكلدانيين أم مكة؟

تقول التوراة في سفر (التكوين ١٥: ١ - ٧) «بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ صَارَ كَلَامُ ٱلرَّبِّ إِلَى أَبْرَامَ فِي ٱلرُّؤْيَا قَائِلًا: «لَا تَخَفْ يَا أَبْرَامُ. أَنَا تُرْسٌ لَكَ. أَجْرُكَ كَثِيرٌ جِدًّا». فَقَالَ أَبْرَامُ: «أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ، مَاذَا تُعْطِينِي وَأَنَا مَاضٍ عَقِيماً، وَمَالِكُ بَيْتِي هُوَ أَلِيعَازَرُ ٱلدِّمَشْقِيُّ؟» وَقَالَ أَبْرَامُ أَيْضًا: «إِنَّكَ لَمْ تُعْطِنِي نَسْلًا، وَهُوَذَا ٱبْنُ بَيْتِي وَارِثٌ لِي». فَإِذَا كَلَامُ ٱلرَّبِّ إِلَيْهِ قَائِلًا: «لَا يَرِثُكَ هٰذَا، بَلِ ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ هُوَ يَرِثُكَ». ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجٍ وَقَالَ: «ٱنْظُرْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَعُدَّ ٱلنُّجُومَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا». وَقَالَ لَهُ: «هٰكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». فَآمَنَ بِٱلرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا. وَقَالَ لَهُ: «أَنَا ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ لِتَرِثَهَا»

ومن هذا نرى أن بلد إبراهيم الأصلية هو أور الكلدانيين، وأن الله نقله بعد ذلك إلى أرض كنعان (إسرائيل اليوم) وبقى هو نسله هناك حتى خراب أورشليم على يد تيطس الروماني سنة ٧٠م

وتشتتوا في كل أصقاع العالم. ومن المعروف أنَّ أور هي مدينة جنوب العراق بجوار نهر الفرات.

أما القرآن فيقول في سورة (البقرة ٢: ١٢٥ – ١٢٧) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ. وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

ولنا عدة تعليقات على هذا المقطع

أولًا مقام إبراهيم:

روى البخاري وغيره عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلتُ يا رسولَ اللهِ لو اتخذْتَ من مقام إبراهيم مُصلًّى فاقتبسها وأوردها في قرآنه! وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنّ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن فاقتبسها وأوردها في الأحزاب ٥٣. واجتمع على محمد نساؤه في الغيرة فقال عمر لهنّ: عسى ربه إن طلقكنّ أن يبدّله أزواجًا خيرًا منكنّ فاقتبسها وأوردها في التحريم[١١]

وفي رواية أنه لما مرّ عمر من مقام إبراهيم قال: يا رسول الله، أليس نقوم مقام خليل ربنا؟ قال: بلى. قال: أفلا نتَّخذه مُصلّى؟ فلم نلبث إلَّا يسيرًا حتى نزلت.[١٢]

١١ البخاري كتاب المناقب، باب مناقب عمر.

١٢ أسباب النزول للسيوطي سبب نزول البقرة ٢: ١٢٥.

(١) لا يجوز أن يُؤخذ كلام الوحي من أقوال الناس أو من رأيهم، وإلّا فيلزم أن يكون عمر رسولًا ونبيًا، وهو ليس كذلك.

(٢) اتَّبع محمد رأي عمر في مسألة نسائه، فأشار عليه أن يمنع الناس عن الدخول عليهن فسمع له، وقال إن الله أوحى إليه بذلك. كما اتَّبع رأي عمر في غيرة نسائه من بعضهن. وكان الواجب على محمد أن يقتصر على إتِّباع رأي عمر في أموره الخاصة، ولا يورد ذلك في القرآن، فإنه لا يترتّب على نصيحة عمر عبادةٌ ولا حكمٌ.

عمر الزاهد العادل في التاريخ المسكوت عنه

كثيرا ما حدثوا عن الخليفة العادل حتى وجدنا أحد الأسري يقتله وهو يصيح بأن ابن الخطاب كان ظالمًا. فهل أمر القرآن بالاحتفاظ بالأسرى؟

وكثيرًا ما حدثونا عن زهد بن الخطاب بيد إنَّ الحقيقة المخبأة في جوف التاريخ تقول غير ذلك وسأكتفي بمثال واحد يتعلق بثروة الخليفة الزاهد عمر بن الخطاب.

قال ابن حجر في فتح الباري[١٣] : «وقد أنكر نافع مولى ابن عمر أن يكون على عمر دين فروى عمر بن شبة في كتاب المدينة بإسناد صحيح أنَّ نافعًا قال من أين يكون على عمر دين وقد باع رجل من ورثته ميراثه بمائة ألف.»

ترك عمر ستة من الذكور وستًا من الإناث وكانت ورثة أحدهم ١٠٠ ألف درهمًا فضيًا أو دينارًا ذهبيًا!

---

١٣ ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» ج ٧ ص ٥٣ :

فكم تكون ثروة أولاده كلهم وزوجاته؟!

حسب إحصاء أحدهم تكون ثروة عمر على افتراض أنَّه يعني الذهب في النص المذكور بحدود ٢٥٨ مليون دولار فقط لا غير! وعلى افتراض أنَّه الدرهم تكون ثروته ٤٠ مليون و٦٠٠ ألف دولار فقط لا غير! وهذا دون حساب الزوجات!

من أين له هذه الأموال؟!

حاول ابن حجر الترقيع كعادته، فقال: «وهذا لا ينفي أن يكون عند موته عليه دين فقد يكون الشخص كثير المال ولا يستلزم نفي الدين عنه فلعلَّ نافعًا أنكر أن يكون دينه لم يقض» لكن ابن حجر لم يشر إلى مصدر المال الذي جمعه الخليفة الزاهد!

فهو لم يكن فاروق ولم يعرف العدل إليه طريقًا. أليس هو من رضي على جيوشه وطئ النساء وسبيهن؟ وهو من ناصر نشر الإسلام بالقتل والنَّهب وفرض الجزية والاسترقاق، بل لقد قتله أحد العبيد الذين استرقهم؟ ألم يجعل الثلاث طلقات بجلسة واحدة فتبين الزوجة من زوجها بينونة كبرى تسلتزم محلَّلًا؟

ألم يكن هو صاحب حديث «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»... ولم يشهد له بهذا الحديث أحد من الصحابة... وناهض به القرآن ولا يزال هذا الحديث ينقث سمومه داخل التدين الإسلامي.

ألم يكن هو صاحب العُهدة العمرية التي تم بها إذلال اليهود والمسيحيين بأحكام مخالفة للإنسانية؟

ثانيًا: إبراهيم وبناء الكعبة:

لا تُعلِّمنا التوراة أبدًا أنَّ إبراهيم توجَّه إلى الكعبة ولا إلى بلاد العرب، بل خرج مع أبيه تارح من أور الكلدانيين وأقاما في حاران، ثم تغرّب إلى كنعان، وأتى إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة، ثم انتقل من هناك إلى الجبل شرقيّ بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق، فبنى هناك مذبحًا للرب ودعا باسم الرب. ثم توجّه إلى الجنوب، ثم تغرّب في أرض مصر، ثم سار من الجنوب بين بيت إيل وعاي إلى مكان المذبح الذي صنعه أولًا. ولما فارق لوطًا سكن في أرض كنعان. ولم يرِد في كتاب الله أنه توجه إلى الكعبة أو بنى البيت.[١٤]

لكن في الإسلام فاللأمر غير ذلك.

قالوا إنَّ مقام إبراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الأئمة، وهو الذي قام إبراهيم عليه عند بناء البيت. وقيل كان عليه أثر أصابع رجليّ إبراهيم فاندرست بكثرة المسح. والمراد بقوله بيتي «الكعبة»، وإنَّ الله استجاب دعاء إبراهيم بأن جعله بلدًا آمِنًا فلم يقصده جبَّار إلَّا انهزم.

ولكن الحجّاج غزا مكة وخرَّب الكعبة، وخلع ابن الزبير من الخلافة. وادَّعوا أنَّ إبراهيم بنى البيت، ولهم في ذلك أقوال غريبة. فقالوا إنَّ الله بعث السكينة لتدُلَّه على موضع البيت، وهي ريحٌ خجوج لها رأسان تشبه الحية. والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة الهبوب، وقيل هي المقلوبة في هبوبها. وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة، فتبعها إبراهيم حيث أتت

١٤ «في الشعر الجاهلي» طه حسين، وكتاب «مصادر الإسلام» للدكتور سنكلير تِسدَل

موضع البيت. فقال ابن عباس: بعث الله على قدر الكعبة، فجعلت تسير وإبراهيم يمشي في ظلّها. إلى أن وقفت على موضع البيت، ونودى منها: يا إبراهيم، أنِ ابْنِ على قدر ظلّها. لا تزِد ولا تُنقِص. وقيل إنَّ الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له أساس البيت الأول، وهذا هو معنى ما ورد في الحج ٢٢: ٢٦ ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ وكان إبراهيم يبني البيت وإسماعيل يناوله الحجارة، وهذا معنى قوله: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت.[١٥]

إبراهيم يسأل ربه!

نقرأ في التوراة والإنجيل عن قصة إبراهيم وإسحاق وكل بني إسرائيل ولا نجد فيهما أبدًا أن إبراهيم سأل ربه أن يريه كيف يحي الموتى!

أما القرآن فيقول في (سورة البقرة ٢: ٢٥٨) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

على الرغم من صغر وقصر هذه الآية إلَّا أنَّها حوت أخطاءًا كثيرة كما سنوضح:

أولًا: قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية «إنَّه روى أن إبراهيم عليه السلام أمر بذبح الطير ونتف ريشها وتقطيعها جزءًا جزءاً، وخلط دمائها ولحومها، وأن يمسك رؤوسها، ثم أمر بأن

١٥ ابن كثير في تفسير البقرة ٢: ١٢٥ – ١٢٧

يجعل أجزاءها على الجبال على كلّ جبل ربعًا من كلّ طائر، ثم يصيح بها: تعالين بإذن الله تعالى، ثم أخذ كلّ جزء يطير إلى الآخر، حتى تكاملت الجثث، ثم أقبلت كلّ جثة، إلى رأسها وانضم كلّ رأس إلى جثته، وصار الكلّ أحياء بإذن الله تعالى.[١٦]

ثانيًا: أجمع علماء الإسلام على أن الذي حاجَّ إبراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار، وكانت تلك المحاجّة من طغيان الملك. قال مجاهد: مَلَك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران. فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصّر.

وقالوا: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه، فقال: مَنْ ربك الذي تدعونا إليه؟ فقال: ربي الذي يحيي ويميت. وقيل إنَّ الناس أصابهم القحط على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه أحد يمتار سأله: من ربك؟ فيقول أنت، فيُميره. فخرج إبراهيم إليه يمتار لأهله الطعام، فأتاه فقال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت. قال: أنا أُحيي وأُميت. قال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبُهت نمرود وردّه بغير طعام. فرجع إبراهيم إلى أهله، فمرّ على كثيب رمل أعفر، ووضع في متاعه فوجده أهله طعامًا.

وقد عاقب الله نمرود بأن فتح الله عليه بابًا من البَعُوض فستروا عين الشمس وأكلوا عسكره ولم يتركوا إلَّا العظام،

---

١٦ يا حفيظ يا رب! لعلَّ هذا هو الإعجاز الذي يقصدونه! لكنا سنرى –في مكانه– عن رؤية حزقيال النبي، إنَّها رؤية، وهدف هذه الرؤيا إنعاش بني إسرائيل وإحياء آمالهم بعد اليأس الذي استولى عليهم في السبي فيما بين النهرين.

ودخلت واحدةٌ منها في دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عَتِيدَة لذلك، فبقى في البلاء أربعين يومًا.[١٧]

والتوراة تقول إنَّ إبراهيم كان خليل الله وإنه أبو المؤمنين، وإن الله اصطفاه، ولكنها لم تقل إنه أُلقي في النار وإنه فعل المعجزات المنسوبة إليه هنا.

ولم يكن نمرود معاصرًا لإبراهيم، بل كان سابقًا لإبراهيم بنحو ٣٠٠ سنة، كما يقول سفر التكوين والتاريخ أيضًا.

إبراهيم بين العهد والشك في قدرة الله:

جاء في تكوين ١٥ : ٦ – ١٨ «فَآمَنَ بِٱلرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا. وَقَالَ لَهُ: «أَنَا ٱلرَّبُّ ٱلَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أُورِ ٱلْكَلْدَانِيِّينَ لِيُعْطِيَكَ هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ لِتَرِثَهَا». فَقَالَ: «أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ، بِمَاذَا أَعْلَمُ أَنِّي أَرِثُهَا؟» فَقَالَ لَهُ: «خُذْ لِي عِجْلَةً ثُلَاثِيَّةً، وَعَنْزَةً ثُلَاثِيَّةً، وَكَبْشًا ثُلَاثِيًّا، وَيَمَامَةً وَحَمَامَةً». فَأَخَذَ هٰذِهِ كُلَّهَا وَشَقَّهَا مِنَ ٱلْوَسَطِ، وَجعَلَ شِقَّ كُلِّ وَاحِدٍ مُقَابِلَ صَاحِبِهِ. وَأَمَّا ٱلطَّيْرُ فَلَمْ يَشُقَّهُ. فَنَزَلَتِ ٱلْجَوَارِحُ عَلَى ٱلْجُثَثِ، وَكَانَ أَبْرَامُ يَزْجُرُهَا. وَلَمَّا صَارَتِ ٱلشَّمْسُ إِلَى ٱلْمَغِيبِ، وَقَعَ عَلَى أَبْرَامَ سُبَاتٌ، وَإِذَا رُعْبَةٌ مُظْلِمَةٌ عَظِيمَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَيْهِ. فَقَالَ لِأَبْرَامَ: «ٱعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيُذِلُّونَهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ. ثُمَّ ٱلْأُمَّةُ ٱلَّتِي يُسْتَعْبَدُونَ لَهَا أَنَا أَدِينُهَا، وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَخْرُجُونَ بِأَمْلَاكٍ جَزِيلَةٍ. وَأَمَّا أَنْتَ فَتَمْضِي إِلَى آبَائِكَ بِسَلَامٍ وَتُدْفَنُ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ. وَفِي ٱلْجِيلِ ٱلرَّابِعِ يَرْجِعُونَ

١٧ القرطبي في تفسير البقرة ٢: ٢٥٨

إِلَى هٰهُنَا، لِأَنَّ ذَنْبَ ٱلْأَمُورِيِّينَ لَيسَ إِلَى ٱلْآنَ كَامِلًا». ثُمَّ غَابَتِ ٱلشَّمْسُ فَصَارَتِ ٱلْعَتَمَةُ، وَإِذَا تَنُّورُ دُخَانٍ وَمِصْبَاحُ نَارٍ يَجُوزُ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْقِطَعِ. فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ قَطَعَ ٱلرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هٰذِهِ ٱلْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى ٱلنَّهْرِ ٱلْكَبِيرِ، نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ».

أما قصة القرآن فهي كالتالي:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ (البقرة ٢: ٢٦٠).

مهما حاول المفسِّرون في الاعتذار عن شكّ إبراهيم في قُدرة الله على إحياء الموتى، فعبارة القرآن ناطقة بوقوع الشكّ منه في قدرة الله، وإلَّا لما قال: رب أرني كيف تحيي الموتى. وعن أبي هريرة أنّ محمدًا قال: «نحن أحق بالشكّ من إبراهيم، إذا قال: ربي أرني كيف تحيي الموتى. قال: أوَلم تؤمن؟ قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي. ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبتُ الداعي». قالوا لما نزلت هذه الآية الواردة في القرآن قال قوم: «شكّ إبراهيم ولم يشكّ محمد» فردّ ليتستَّروا به على شكوك محمد.[١٨]

قالوا: والأربعة الطيور التي قدَّمها إبراهيم هي أنَّه أخذ طاووسًا وديكًا وحمامة وغرابًا، وقيل نسرًا بدل الحمامة. قال ابن عباس: وجعل كل طائرٍ أربعة أجزاء وجعلها على أربعة جبال، على كل جبلٍ رُبعًا من كل طائر، وقيل جزَّأها سبعة أجزاءٍ ووضعها

١٨ ابن كثير في البقرة ٢: ٢٦٠

على سبعة جبال وأمسك رؤوسهنّ بيده، ثم دعاهنّ: تعالين بإذن الله، فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى، وكل عظم يطير إلى العظم الآخر، ثم أقبلت سعيًا إلى رؤوسهن».[١٩]

وكتاب الله يعلّمنا أنَّ إبراهيم لم يشكّ في قدرة الله، بل يُضرَب بإيمانه المثل، ولذا سُمّي أبو المؤمنين. ولما أمره الله أن يقدم ابنه وحيده ذبيحةً أطاع الأمر، مع أنَّه كان هَرِمًا وامرأته متقدِّمة في السن، ولكنه آمن أن الله قادرٌ أن يقيم من الحجارة أولادًا له. ولما وعده الله أنه سيُكثر نسله ويكون كنجوم السماء في الكثرة آمن بالله، فوعده أن يعطيه أرض الميعاد، ثم أعطاه هذه العلامة وهي أن يأخذ عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشًا ثلاثيًا ويمامةً وحمامة. فأخذها وشقَّها من الوسط، وأما الطير فلم يشقه. ثم غابت الشمس فصارت العتمة، وإذا تنّور دخانٍ ومصباح نارٍ يجوز بين تلك القطع (سفر التكوين ١٥). فهذه الذبيحة هي لتأييد العهد الذي عقده الله مع إبراهيم، فكانت العادة عند قطع عهد أن يذبحوا الذبيحة إشارة إلى أن من ينكث العهد يمزّقه سيف العدل الإلهي، فالله سبحانه تفضّل وأعطاه هذه العلامة لتأييد العهد وتثبيت إيمانه، وإنه سينجز ما وعده به.

وفي القصة القرآنية أربعة أخطاء:

(١) في قوله إنَّ إبراهيم طلب من الله أن يريه كيف يُحيي الموتى وإنَّه شكّ بالله.

(٢) في قوله إنَّ الله أمر أن يأخذ أربعة طيور.

١٩ ابن كثير في البقرة ٢: ٢٦٠

(٣) في قوله إنَّ الطيور أتت سعيًا.

(٤) في قوله إنَّ الله أمر أن يضع كل جزءٍ منها على جبل.

وواضح أنَّ الأحوال لم تساعد محمدًا على تحرِّي الحقائق، فلم يكن عصره عصر تمدّنٍ ومطابع، كما أنَّ كُتَّابه كانوا يتصرَّفون فيما يُمليه عليهم. ذكر في السيرة للعراقي أن كتَّابه كانوا اثنين وأربعين، منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، وهو أول من كتب له من قريش بمكة ثم ارتد، وصار يقول: «كنت أصرف محمدًا حيث أريد. كان يملي عليّ عزيز حكيم، فأكتب عليم حكيم» فيقول: «نعم، كلٌّ صواب». ويقول: «اكتب كيف شئت». ولما فضحه هذا الكاتب أورد في القرآن قوله: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا» (الأعراف ٧: ٣٧). ولما كان يوم الفتح أمر محمدٌ بقتله، ففرَّ إلى عثمان بن عفان لأنه كان أخاه من الرضاعة (أرضعت أمُّه عثمانَ) فغيَّبه عثمان عنه، ثم جاء به بعد ما اطمأن الناس واستأمن له محمدًا، فصمت محمد طويلاً ثم قال «نعم». فلما انصرف عثمان قال محمد لمن حوله: «ما صمتُّ عنه إلَّا لتقتلوه».

امرأة لوط

يعلّمنا كتاب الله أن الله أرسل ملاكين أخرجا لوطًا وامرأته وابنتيه خارج المدينة لشفقة الرب عليه، ونبّها عليهم أن لا ينظر أحد إلى ورائه، فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا. وأما امرأته فنظرت من ورائه بسبب تعلُّق قلبها بالمدينة، فصارت عمود ملح.

لكن القرآن يقول ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ

ٱلْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف ٧: ٨٣، ٨٤).

فقوله من الغابرين أي الباقين الذين بقوا في ديارهم فهلكوا،

البشرى لإبراهيم

تقول التوراة في سفر (التكوين ١٨: ١-١٨)

«وَظَهَرَ لَهُ ٱلرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ ٱلْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ ٱلنَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلَاثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لِٱسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ ٱلْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلَا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَٱغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَٱتَّكِئُوا تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لِأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هٰكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى ٱلْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلَاثِ كَيْلَاتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. ٱعْجِنِي وَٱصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى ٱلْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلًا رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلَامِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَٱلْعِجْلَ ٱلَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ أَكَلُوا. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ ٱمْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي ٱلْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ ٱلْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ٱمْرَأَتِكَ ٱبْنٌ». وَكَانَتْ سَارَةُ سَامِعَةً فِي بَابِ ٱلْخَيْمَةِ وَهُوَ وَرَاءَهُ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي ٱلْأَيَّامِ، وَقَدِ ٱنْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَٱلنِّسَاءِ. فَضَحِكَتْ سَارَةُ فِي بَاطِنِهَا قَائِلَةً: «أَبَعْدَ فَنَائِي يَكُونُ لِي تَنَعُّمٌ، وَسَيِّدِي قَدْ شَاخَ؟» فَقَالَ

ٱلرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى ٱلرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي ٱلْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ ٱلْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ٱبْنٌ». فَأَنْكَرَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: «لَمْ أَضْحَكْ». لِأَنَّهَا خَافَتْ فَقَالَ: «لَا! بَلْ ضَحِكْتِ». ثُمَّ قَامَ ٱلرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ؟».

أما قصة القرآن فهي هكذا:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ. وَٱمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» (آيات ٦٩ - ٧١). «فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (الذاريات ٢٩).

قال المفسّرون: ضحكت لأنهم لم يمدّوا أيديهم إلى الطعام ليأكلوا. وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقُرب العذاب منهم. وقيل: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثةٍ وهو بين خدمه وحشمه وخواصه. وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجُّبًا من أن يكون لها ولدٌ على كِبر سنِّها وسنّ زوجها. فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير وتقدير.

وقيل: ضحكت بمعنى حاضت. وقال في المحكم ضحكت المرأة حاضت. وقال القرآن لما بُشِّرت أقبلت في صَرَّةٍ أي صيحة

من الصَّرير، ولطمت وجهها. واختلفوا في عدد الرسل، فقالوا: ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقال الضحاك: كانوا تسعة. وقال ابن عباس كانوا ثلاثة في جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين ذكرهم الله في سورة الزاريات ٥١ : ٢٤ «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ» وقالوا إن إبراهيم قد مكث قبل مجيئهم حزينًا مدة خمس عشرة ليلة لأنَّه لم يأتِ فيها ضيف، فأتاهم بعجل حنبذ أي مشوي. لكنهم لم يأكلوا منه لأنهم ملائكة، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون وإنَّما أتوا على صفة أضياف، لأنه كان يحب الإضياف وإنَّهم لما أخبروا إبراهيم بأنَّهم ملائكة، وأنَّهم جاءوا فقط في رسالة من الله لإهلاك قوم لوط، طلب إبراهيم منهم آية تدل على أنَّهم ملائكة من الله. فدعوا ربَّهم بإحياء العجل المشوي من الموضع الذي كانوا فيه إلى مرعاه، وكانت امرأة إبراهيم قائمة فضحكت لما رأت ذلك العجل المشوي قد طفر من موضعه.[٢٠] وقال مقاتل: كانوا اثني عشر مَلَكًا. وقال محمد بن كعب القرظي: كان جبريل ومعه سبعة أملاك. وقال السدّي: كانوا أحد عشر مَلَكًا.

وقصة التوراة تكشف خطأ القرآن:

١- في قوله إن الرجال لم يأكلوا. والحقيقة أنَّهم أكلوا، ولم يخَفْ إبراهيم من شيء.

٢- إنهم بشّروه بابنٍ قبل أن يكلّموه عن قوم لوط.

٣- إن امرأته لم تُقبِل في صَرَّةٍ ولم تصكَّ وجهها، إذ لا يخفى أن من أعظم العار أن تصخب المرأة أو تصك وجهها، وعند زوجها

٢٠ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي

ضيوفٌ من أفاضل الناس. والكتاب المقدَّس يضرب المثل بحشمة سارة وأدبها وطاعتها لزوجها.

٤- عبارة القرآن تفيد أنَّها كانت مع الضيوف تخدمهم، مع أن هذا خلاف عادات الشرقيين. وأنهم بشّروها بغلام، والحقيقة هي أنَّها كانت في الخِباء، لأنها من المخدَّرات. والرجال بشّروا إبراهيم فقط، وهي كانت تسمع من بُعد.

٥- لم يذكر القرآن عدد ضيوف إبراهيم.

الوحي لإسماعيل

تقول التوراة في سفر التكوين ٢١ : ٩ – ١٣ «وَرَأَتْ سَارَةُ ٱبْنَ هَاجَرَ ٱلْمِصْرِيَّةِ ٱلَّذِي وَلَدَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: «ٱطْرُدْ هٰذِهِ ٱلْجَارِيَةَ وَٱبْنَهَا، لِأَنَّ ٱبْنَ هٰذِهِ ٱلْجَارِيَةِ لَا يَرِثُ مَعَ ٱبْنِي إِسْحَاقَ». فَقَبُحَ ٱلْكَلَامُ جِدًّا فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ٱبْنِهِ. فَقَالَ ٱللّٰهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «لَا يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ ٱلْغُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ ٱسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وَٱبْنُ ٱلْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ». وفي غلاطية ٤ : ٣٠ «لٰكِنْ مَاذَا يَقُولُ ٱلْكِتَابُ؟ «ٱطْرُدِ ٱلْجَارِيَةَ وَٱبْنَهَا، لِأَنَّهُ لَا يَرِثُ ٱبْنُ ٱلْجَارِيَةِ مَعَ ٱبْنِ ٱلْحُرَّةِ.»

يقول القرآن في سورة البقرة ٢ : ١٣٦ ﴿قُولُوا آمَنَّا بِٱللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ في سورة مريم ١٩ : ٥٤ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾

نقرأ الكتاب المقدَّس كله بعهديه القديم والجديد، لا نجد فيه أي إعلان أو نبوَّة لإسماعيل، بل كل ما يقوله الكتاب المقدَّس عن إسماعيل «وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ». والقرآن جعله رسولًا ونبيًا، وادّعوا أنه أُرسل إلى جرهم، وهم قبيلة من عرب اليمن، ولم يُسمع أنَّ الله أرسل رسولًا إلى العرب. وأين نبوَّاته ورسائله؟

الذبيح إسحق وليس إسماعيل

جاء في تكوين ٢٢ «وَحَدَثَ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ أَنَّ ٱللهَ ٱمْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هٰأَنَذَا». فَقَالَ: «خُذِ ٱبْنَكَ وَحِيدَكَ، ٱلَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَٱذْهَبْ إِلَى أَرْضِ ٱلْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ ٱلْجِبَالِ ٱلَّذِي أَقُولُ لَكَ». فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَشَدَّ عَلَى حِمَارِهِ، وَأَخَذَ ٱثْنَيْنِ مِنْ غِلْمَانِهِ مَعَهُ، وَإِسْحَاقَ ٱبْنَهُ، وَشَقَّقَ حَطَبًا لِمُحْرَقَةٍ، وَقَامَ وَذَهَبَ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي قَالَ لَهُ ٱللهُ. وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ ٱلْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلَامَيْهِ: «ٱجْلِسَا أَنْتُمَا هٰهُنَا مَعَ ٱلْحِمَارِ، وَأَمَّا أَنَا وَٱلْغُلَامُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَنَسْجُدُ، ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْكُمَا». فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ ٱلْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ٱبْنِهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ ٱلنَّارَ وَٱلسِّكِّينَ. فَذَهَبَا كِلَاهُمَا مَعًا. وَكَلَّمَ إِسْحَاقُ إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَالَ: «يَا أَبِي!». فَقَالَ: «هٰأَنَذَا يَا ٱبْنِي». فَقَالَ: «هُوَذَا ٱلنَّارُ وَٱلْحَطَبُ، وَلٰكِنْ أَيْنَ ٱلْخَرُوفُ لِلْمُحْرَقَةِ؟» فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «ٱللهُ يَرَى لَهُ ٱلْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ٱبْنِي». فَذَهَبَا كِلَاهُمَا مَعًا. فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي قَالَ لَهُ ٱللهُ، بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ ٱلْمَذْبَحَ وَرَتَّبَ ٱلْحَطَبَ وَرَبَطَ إِسْحَاقَ ٱبْنَهُ وَوَضَعَهُ

عَلَى ٱلْمَذْبَحِ فَوْقَ ٱلْحَطَبِ. ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ ٱلسِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ٱبْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ ٱلرَّبِّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هٰأَنَذَا» فَقَالَ: «لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى ٱلْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي ٱلْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفُ ٱللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ٱبْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي». فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا كَبْشٌ وَرَاءَهُ مُمْسَكًا فِي ٱلْغَابَةِ بِقَرْنَيْهِ، فَذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ وَأَخَذَ ٱلْكَبْشَ وَأَصْعَدَهُ مُحْرَقَةً عِوَضًا عَنِ ٱبْنِهِ. فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ ٱسْمَ ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ «يَهْوَهْ يِرْأَهْ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ ٱلْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ ٱلرَّبِّ يُرَى». وَنَادَى مَلَاكُ ٱلرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ ٱلرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هٰذَا ٱلْأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ٱبْنَكَ وَحِيدَكَ، أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ ٱلسَّمَاءِ وَكَٱلرَّمْلِ ٱلَّذِي عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ ٱلْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي». ثُمَّ رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى غُلَامَيْهِ، فَقَامُوا وَذَهَبُوا مَعًا إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ. وَسَكَنَ إِبْرَاهِيمُ فِي بِئْرِ سَبْعٍ.»

أما في القرآن فقد جاء في سورة الصافات ٣٧: ١٠٢ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ﴾

الاختلاف الأول هنا أن التوراة تقول إنَّ الله أمر إبراهيم في حالة اليقظة، بينما القرآن يقول إنَّ إبراهيم رأى ذلك في الحلم.

ينساق المسلمون بالغرض الأعمى والتعصُّب إلى القول بأن الذبيح هو إسماعيل لا إسحق، دون أي سند عقلي أو نقلي، مع أن القرآن لا يقول هذا صراحة، لأنه كتاب لا يفصِّل أي شيء!

فقضية الذبيح مثل باقي قضايا القرآن فيها الكثير من الإبهام، لأن القرآن بشهادة نفسه ليس كالتوراة تفصيلًا لكل شئ. ومع ذلك دعونا نلقي نظرة على المراوغة بين الآيات التي أرغمت المفسّرين والكتَّاب إلى الاعتراف بأن الذبيح هو إسحاق

جاء في سورة (الصافات ٣٧: ١٧-١) ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ. فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱلله مِنَ ٱلصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ. قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْبَلَاءُ ٱلْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

ومما تقدم ينتج أن الغلام الذي بشَّر الله به إبراهيم هو الذبيح، ولم يُبشَّر إبراهيم إلَّا بإسحاق بناء على ما جاء في القرآن. في سورة (الصافات ٣٧: ١١٢) ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ ٱلصَّالِحِينَ﴾. وكذلك في سورة (هود ١١: ٧١) ﴿وَٱمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾. وكذلك في سورة (الأنعام ٦ : ٨٤) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾. وقد تكررت الآية السابقة في عدة مواضع منها (مريم ١٩ : ٤٩، العنكبوت ٢٩ : ٢٧، الأنبياء ٢١ :٧١).

- جاء في «دائرة المعارف» الجزء الثالث، صفحة ٦١٥ «عن ابن خلدون: أنَّ الذبيح هو إسحَق بن إبراهيم، لأن النص القرآني يقتضي أن الذبيح هو المُبشَّر به، ولم يُبشَّر إبراهيم بولد إلَّا من زوجته سارة (وسارة والدة إسحَق)».

- جاء في كتاب «قصص الأنبياء» ص٤٦ «قال الشعبي أُلقي إبراهيم في النار وهو ابن ستة عشرة سنة، وذُبِحَ إسحٰق (والأصح قُدِّم للذبح) وهو ابن سبع سنين وكان مذبحه على بعد ميلين من بيت المقدس».
- وفي صفحة ٧١ من نفس المرجع «قال ابن عباس ضحكت سارة تعجُّبًا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها. قال السدى: قالت سارة لجبريل لما بشَّرها بالولد على حالة الكبر، ما آية ذلك فأخذ بيده عودًا يابسًا فلواه بين إصبعه فاهتز أخضر فقال إبراهيم هو الله إذا ذبيح».[٢١]
- وفي صفحة ٧٣ من نفس المرجع «قيل سُجِنَ يوسف بسبب وشاية امرأة سيده وكان عزاء لأُولى البلاء من المسجونين، قيل له: «من أنت؟» قال: «أنا ابن يعقوب صفيُ الله، ابن إسحٰق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله».
- وفي صفحة ٧٩ «ومن حديث روبيل بين يعقوب مع أخيه يوسف وهو متنكِّر لهم حين أُرجِعوا بسبب الطاس الذي وُجِدَ في عدل بنيامين: أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله ابن إسحٰق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله».
- وفي صفحة ٨١: «وقيل إن يعقوب بعث بكتاب إلى ابنه يوسف وهو في مصر قبل أن يعرفه: إلى عزيز مصر مظهر العدل وموفي الكيل، أما بعد فأنا أهل بيت موكل بنا البلاء، فأما جدِّي فابتلى بالنمرود، فشدَّت يداه ورجلاه وأُلقي في النار، فجعله الله علية بردًا وسلامًا. وأما أبي فشدَّت يداه ورجلاه

---

٢١ كتاب «قصص الأنبياء» المُسمَّى بعرائس المجالس للثعلبي

ووضِعَ السكين على قفاه، ففداه الله بذبح».

● وفي صفحة ١٥٦ : «من قصة داود حين أبتلى بالخطية أنه قال: ربِّ أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله تعالى إلية أنهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحدٌ. فابتلى إبراهيم بنار النمرود، وابتلى إسحٰق بالذبح، ويعقوب بالحزن على وليه وفقدان بصره على يوسف».

● من تفسير «الفخر الرازي» «قال إني ذاهب إلى ربي (أي مهاجر إلى أرض الشام) هب لي من الصالحين (يعنى بعض الصالحين، يريد الولد فوهب له إسحَق كما قال تعالى: ووهبنا له إسحاق (الأنعام ٦ : ٨٤)، (مريم ١٩ : ٤٩)، (الأنبياء ٢١:٧٢)، (الغنكبوت ٢٩ : ٢٧). وقيل إن هذا ٱشتمل على ثلاثة أشياء، على أن الولد غلام ذكر، أنه يبلغ ٱلحلم، إنه يكون حليماً وأي حلم يكون أعظم من حلم ولد عرض عليه أبوه الذبح فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين».[٢٢]

● من تفسير «الفخر الرازي» «وَٱذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي ٱلأَيْدِي وَٱلأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلأَخْيَارِ» قال ٱذكر يا محمد عبدنا إبراهيم صبر إبراهيم حين أُلقي في النار وصبر إسحَق للذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره».[٢٣]

إلى انتهى كلام المفسرين المسلمين

تعليقنا: ومعلوم أن الهبة للعبد بسابق وعدٍ يؤكد له أن الهبة

٢٢ تفسير «الفخر الرازي» لسورة الصافات ٣٧: ١١-١٢، المجلد السابع، صفحة ١٥٤،١

٢٣ تفسير «الفخر الرازي» لسورة (ص ٣٨:٤٥ : ٤٧) المجلد السابع صفحة ٢٩ ، ٢١

تكون ذات قيمة عظمى في عيني الموهوب له، وعليه فإنه كان لإسحاق اعتبار عظيم في عيني أبيه إبراهيم كغلام صالح وُهِبَ له من الله، ومعلوم أن إبراهيم كان متعلِّقًا بإسحاق تعلُّقًا خاصًا، لأنه ابن شيخوخته.

فقد أمره تعالى بأن يضحّي له بأفضل بنيه، وأحب الناس إليه، وأعظمهم اعتبارًا في عينيه، ووارث الأرض الموعود بها ليكون الامتحان أتمُّ، وأكملُ، وأوفى. والذي يُعْقَلُ أنَّ الله إذا امتحن العبد بأمر تقديم شيء مما له إليه يأمره بتقديم ما هو أعلق قلبًا فيه، وإذ طلب منه أحد أبنائه يطلب أفضلهم وأكرمهم في عينه، ولما لم يكن عند إبراهيم من هو أفضل وأكرم وأعزُّ من ابنه إسحق ابن الوعد، فحقَّ في عينيِّ العزيز الحكيم أن يمتحنه بأمر ذبحه له، حتى إذا فعل بدون تردد ولا مراجعة ولا استعلام يكون بذلك أفضل مثالًا في الطاعة لله على مرِّ الأزمان. ومع ذلك تجد مسلمين يضربون بكل هذه الأدلَّة عرض الحائط!

سفر الخروج

قتل فرعون للإسرائيليين:

وَقَالَ (فرعون): «حِينَمَا تُوَلِّدَانِ ٱلْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى ٱلْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ٱبْنًا فَٱقْتُلَاهُ، وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحْيَا».

وتعلمنا التوراة في الخروج ١ : ١٦ أن قتل الذكور واستحياء البنات كان قبل ولادة موسى، فإنه لما رأى فرعون أن بني إسرائيل زادوا خشي من انضمامهم إلى أعدائه ، فنبّه على قابلتي العبرانيين بإماتة الذكور. فوُلد موسى في هذا الوقت فوضعته أمه في سَفَط من البَردي وألقته في النهر، فالتقطته ابنة فرعون.

والقرآن يقول إن المصريين اشتكوا لفرعون من تصرّف موسى، فنبّه بقتل أبناء العبرانيين واستحياء نسائهم.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف ٧: ١٢٧).

عبرانيان يتخاصمان

تقول التوراة في سفر الخروج ٢: ١٣، ١٤ «ثُمَّ خَرَجَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي وَإِذَا رَجُلَانِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: «لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟» فَقَالَ: «مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟ أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ ٱلْمِصْرِيَّ؟». فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: «حَقًّا قَدْ عُرِفَ ٱلْأَمْرُ».»

أما القرآن فيقول في سورة القصص ٢٨ : ١٨ و١٩ ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنْصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾

يقول المفسّرون إنَّ قوله ﴿عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ أي عدُّو موسى وعدّو المستنصر، وإن الشجار كان بين إسرائيلي وبين قبطي، أي يقولون هذا من شيعته أي يهودي مثله، وهذا عدو أي قبطي، فكأن الذي كان يقول لموسى هذا القول هو القبطي.

مع أن التوراة تقول إن الشجار كان بين يهوديين، لا قبطي بينهما.

قصة موسى وكاهن مديان

تقول التوراة في سفر الخروج ٢ : ١٦ – ٢٢ «وَكَانَ لِكَاهِنِ مِدْيَانَ سَبْعُ بَنَاتٍ، فَأَتَيْنَ وَٱسْتَقَيْنَ وَمَلأْنَ ٱلْأَجْرَانَ لِيَسْقِينَ غَنَمَ أَبِيهِنَّ. فَأَتَى ٱلرُّعَاةُ وَطَرَدُوهُنَّ. فَنَهَضَ مُوسَى وَأَنْجَدَهُنَّ وَسَقَى غَنَمَهُنَّ. فَلَمَّا أَتَيْنَ إِلَى رَعُوئِيلَ أَبِيهِنَّ قَالَ: «مَا بَالُكُنَّ أَسْرَعْتُنَّ فِي ٱلْمَجِيءِ ٱلْيَوْمَ؟» فَقُلْنَ: «رَجُلٌ مِصْرِيٌّ أَنْقَذَنَا مِنْ أَيْدِي ٱلرُّعَاةِ، وَإِنَّهُ ٱسْتَقَى لَنَا أَيْضًا وَسَقَى ٱلْغَنَمَ». فَقَالَ لِبَنَاتِهِ: «وَأَيْنَ هُوَ؟ لِمَاذَا تَرَكْتُنَّ ٱلرَّجُلَ؟ ٱدْعُونَهُ لِيَأْكُلَ طَعَامًا». فَٱرْتَضَى مُوسَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَ ٱلرَّجُلِ، فَأَعْطَى مُوسَى صَفُّورَةَ ٱبْنَتَهُ. فَوَلَدَتِ ٱبْنًا فَدَعَا ٱسْمَهُ «جَرْشُومَ»، لِأَنَّهُ قَالَ: «كُنْتُ نَزِيلًا فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ».»

أما القرآن فيقول في سورة القصص ٢٨: ٢٢-٢٨ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ. وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

وتعلّمنا التوراة أنَّه لما فعل موسى عملًا جميلًا مع بنات كاهن مديان وكنّ سبعًا لا اثنتين، أعطاه إحداهنّ زوجةً بدون أن يخدمه ثماني سنوات ولا عشرًا. والذي خدم حماه على امرأته هو يعقوب، خدمه سبع سنين كما في (تكوين ٢٩: ١٥ - ٢٦) «ثُمَّ قَالَ لَابَانُ لِيَعْقُوبَ: «أَلِأَنَّكَ أَخِي تَخْدِمُنِي مَجَّانًا؟ أَخْبِرْنِي مَا أُجْرَتُكَ». وَكَانَ لِلَابَانَ ٱبْنَتَانِ، ٱسْمُ ٱلْكُبْرَى لَيْئَةُ وَٱسْمُ ٱلصُّغْرَى رَاحِيلُ. وَكَانَتْ عَيْنَا لَيْئَةَ ضَعِيفَتَيْنِ، وَأَمَّا رَاحِيلُ فَكَانَتْ حَسَنَةَ ٱلصُّورَةِ وَحَسَنَةَ ٱلْمَنْظَرِ. وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ، فَقَالَ: «أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينٍ بِرَاحِيلَ ٱبْنَتِكَ ٱلصُّغْرَى». فَقَالَ لَابَانُ: «أَنْ أُعْطِيَكَ إِيَّاهَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُلٍ آخَرَ. أَقِمْ عِنْدِي». فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا.

ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: «أَعْطِنِي ٱمْرَأَتِي لِأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمُلَتْ، فَأَدْخُلَ عَلَيْهَا». فَجَمَعَ لاَبَانُ جَمِيعَ أَهْلِ ٱلْمَكَانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً. وَكَانَ فِي ٱلْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ٱبْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا. وَأَعْطَى لاَبَانُ زِلْفَةَ جَارِيَتَهُ لِلَيْئَةَ ٱبْنَتِهِ جَارِيَةً. وَفِي ٱلصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ، فَقَالَ لِلاَبَانَ: «مَا هٰذَا ٱلَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟». فَقَالَ لاَبَانُ: «لَا يُفْعَلُ هٰكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى ٱلصَّغِيرَةُ قَبْلَ ٱلْبِكْرِ.»

يظهر أن المسألتين اختلطا في ذهن مؤلف القرآن

نسب موسى وهارون

نقرأ نسب نبي الله موسى وأخيه هارون في سفر الخروج ٦: ١٦ – ٢٣ «وَهٰذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي لاَوِي بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ: جِرْشُونُ وَقَهَاتُ وَمَرَارِي. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ لاَوِي مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً. اِبْنَا جِرْشُونَ: لِبْنِي وَشِمْعِي بِحَسَبِ عَشَائِرِهِمَا. وَبَنُو قَهَاتَ: عَمْرَامُ وَيِصْهَارُ وَحَبْرُونُ وَعُزِّيئِيلُ. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ قَهَاتَ مِئَةً وَثَلاثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَٱبْنَا مَرَارِي: مَحْلِي وَمُوشِي. هٰذِهِ عَشَائِرُ ٱللَّاوِيِّينَ بِحَسَبِ مَوَالِيدِهِمْ. وَأَخَذَ عَمْرَامُ يُوكَابَدَ عَمَّتَهُ زَوْجَةً لَهُ. فَوَلَدَتْ لَهُ هَارُونَ وَمُوسَى. وَكَانَتْ سِنُو حَيَاةِ عَمْرَامَ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَبَنُو يِصْهَارَ: قُورَحُ وَنَافَجُ وَذِكْرِي. وَبَنُو عُزِّيئِيلَ: مِيشَائِيلُ وَأَلْصَافَانُ وَسِتْرِي. وَأَخَذَ هَارُونُ أَلِيشَابَعَ بِنْتَ عَمِّينَادَابَ أُخْتَ نَحْشُونَ زَوْجَةً لَهُ، فَوَلَدَتْ لَهُ نَادَابَ وَأَبِيهُوَ وَأَلِعَازَارَ وَإِيثَامَارَ.»

ومن هذا النسب لا نجد أي شخص يُدعى قارون!

أمَّا القرآن فيقول في سورة القصص ٢٨ : ٧٦ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾

ومعروف أنَّ قارون القرآن هو كروسوس ملك ليديا (٥٦٠-٥٤٦ ق م) وهو عَلَمٌ على الغنى بين العرب وغيرهم. ولا يوجد ما يبرِّر خلطه بقورح الذي ورد ذكره في التوراة. فلا علاقة لقارون بقورح الذي ثار مع داثان وأبيرام على موسى، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم (العدد ١٦).

ومرة أخرى نجد مؤلف القرأن يرتكب تناقضًا فادحًا في نفس شخصية قارون:

جاء في سورة العنكبوت ٢٩ : ٣٩ ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾. وجاء في سورة غافر ٤٠ : ٢٥-٢٣ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوا أَبْنَاءَ ٱلذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَٱسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾.

ويتبادر إلى الذهن من هذه الآيات أنَّ قارون وهامان مصريان من قوم فرعون وأنَّهما مع فرعون قاوموا موسى في مصر. ولكن هذا خطأ، لأن القرأن سبق وقال عن قارون إنَّه إسرائيلي لا مصري، ومن قوم موسى لا من قوم فرعون، كما جاء في سورة القصص أعلاه!

والآن هيا بنا نرى ما قاله الطبري وغيره من المفسّرين «إنَّ

قارون هذا ابن عم موسى، وإن قارون هذا خو ابن يصهر بن قاهت بن لاوي، وأن موسى هو ابن عمران بن قاهت، فكلهما يجتمعان في القربى بجدهما قاهت. وروى أبو إمام الباهلي عن النبي محمد أنَّه قال: إنَّ قارون من السبعين المختارة الذين يسمعون كلام الله تعالى، وقالوا إن سعيد بن المسيب والضحاك قالا إنَّ موسى كان ينزل عليه علم الكيمياء من السماء، فعلَّم قارون ثلث العلم، ويوشع الثلث، وكالب الثلث الثالث، فجذعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، والنحاس ذهبًا...» انتهى. والفخر الرازي قال نفس الكلام.

لا عجب إذا اختلط الأمر على المفسرين بأن جعلوا قارون ابن عم موسى تارة وكونه أحد السبعين رسولًا في العهد الجديد! فكاتب القرآن نفسه لم يسلم من التناقض في جنسية قارون، والخلط بينه وبين قورح. فكتاب الله يعلمنا كل قصصه منذ بدء الخليقة في سرد قصصي مرتب تاريخيًا، معينًا الزمان والمكان حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية.

التكرار الممل في قصة موسى مع فرعون

وفي الآية ٥٣ ومن سورة البقرة يقول ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ... لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إنَّ قصة موسى مع فرعون تتكرَّر وفي أكثر من نصف سور القرآن البالغ عددها مائة وأربعة عشرة سورة، وجميعها تتحدث عن رسالة موسى لبني إسرائيل ومجاراته وفوزه على سحرة الفراعنة! ولا أدري ما هي الحكمة الإلهية وما هي الفكرة والغرض من هذا التكرار المُمِل؟ إنني أعتقد جازمًا

بأن مجرد التكرار غير المبرر ولمئات المرات لهذه القصة وغيرها لهو ضعفٌ كبيرٌ لا يمكن أن يكون الله مصدره وإذا كان الادِّعاء بأنَّ آيات هذه القصة وضعت في سياق السور للتحذير والتذكير والبرهان. فإنني أقول لا بأس إذا كان الذِّكر في سورة أو سورتين أو حتى عشر سور ولكن لا لأكثر من نصف سور القرآن وغالبًا لا يكون لهم موضع مرتب أو تأثير على موضوع السورة وبعض الأحيان تراه قد أُقحمت فيه بدون أي ترابط بين هذه القصة وبقية الآيات. وطيًا جدول ببعض السور وآياته التي تحدثت عن تلك القصة:

الآية ٥٣ من سورة البقرة ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

الآية ١٥٣ من سورة النساء ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جهْرَةً فَأَخذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخذُوا ٱلْعِجلَ مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾.

الآية ٢٠ من سورة المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

الآية ٩١ من سورة الأنعام ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ ٱللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ ٱللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

الآية ١٠٤ من سورة الأعراف ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾.

الآية ٧٥ من سورة يونس ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِايَاتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

الآية ٥ من سورة إبراهيم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتِنَا أَنْ أَخرِج قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بَأَيَامِ ٱللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

الآية ١٠١ من سورة الإسراء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَٱسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾.

الآية ٧ من سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

عصا هارون

عندما ابتدأ موسى يعمل المعجزات أمام فرعون لإطلاق بني إسرائيل من عبوديتهم، ألقى العصا فصارت ثعبانًا، وألقى سحرة فرعون عصيّهم فصارت ثعابين، ولكن الثعبان المحوَّل من عصا موسى ابتلع ثعابين الآخرين كما جاء في سفر (الخروج ٧: ٨ - ١٢) «وَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: «إِذَا كَلَّمَكُمَا فِرْعَوْنُ قَائِلًا: هَاتِيَا عَجِيبَةً، تَقُولُ لِهَارُونَ: خُذْ عَصَاكَ وَٱطْرَحْهَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ فَتَصِيرَ ثُعْبَانًا». فَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفَعَلَا هٰكَذَا كَمَا أَمَرَ ٱلرَّبُّ. طَرَحَ هَارُونُ عَصَاهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَأَمَامَ عَبِيدِهِ

فَصَارَتْ ثُعْبَانًا. فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَيْضًا ٱلْحُكَمَاءَ وَٱلسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرَّافُو مِصْرَ أَيْضًا بِسِحْرِهِمْ كَذلِكَ. طَرَحُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَصَاهُ فَصَارَتِ ٱلْعِصِيُّ ثَعَابِينَ. وَلٰكِنْ عَصَا هَارُونَ ٱبْتَلَعَتْ عِصِيَّهُمْ. فَٱشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا تَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ.»

أمَّا القرآن فيقول في سورة الأعراف ٧: ١٢٠-١٢٢) ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ثم يعقب القرآن بهذا القول الغريب في الآية ١٣٢ ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾

أما بخصوص العصا: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ (أي موسى) فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (آية ١٠٧). مع أنه ورد في (النمل ٢٧ : ١٠) ﴿وألقِ عصاك. فلما رآها تهتزُّ كأنها جانٌّ﴾.

فقالوا: الجان الصغير من الحيّات، والثعبان الكبير منها. وقالوا لأن خلقها كخلق الثعبان العظيم، واهتزازها وخفَّتها كاهتزاز الجان وخفته. فترى أنَّهم يتصرفون في اللغة كيف شاءوا!!

فرعون والسحرة

﴿وَجَاءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ (الأعراف ٧: ١١٣ - ١١٦). ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا

إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الأعراف ٧: ١٢٠ - ١٢٥) وقد تكررت هذه القصة يونس ١٠: ٨٠، ٨١ وفي طه ٢٠: ٦٠ ٩٧ وفي الشعراء وغيرها.

قال المفسرون المراد بالسحر العظيم هو أنَّ السحرة ألقوا حبالًا غلاظًا وخشبًا طوالًا، فإذا هي حيّات كأمثال الحبال قد ملأت الوادي، ويُقال إنَّهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقًا أيضًا وألقوها على الأرض، فلما أثَّر حرُّ الشمس فيها تحركت والتوى بعضُها على بعضٍ، حتى تخيّل للناس أنَّها حيّات. ويقال إنَّ الأرض كانت سعتها ميلاً في ميل، فصارت كلها حيّات وأفاعي، ففزع الناس من ذلك حتى فزع موسى أيضًا فأوجس في نفسه خِيفةٍ موسى. قلنا لا تخف (طه ٢٠: ٦٧ ، ٦٨).[٢٤]

الاختلاف بين الكتاب والقرآن:

(١) لم يقل السحرة لفرعون إنَّ لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين، وأنه أجاب سؤلهم. فإن مثل هذا لا يحدث، لأن فرعون كان ملكًا مستبدًا يفعل بقومه كما يشاء، والذوق والأدب يقضيان بعدم إبرام شروط مع الملك. وانظر إلى عبارة التوراة «فدعا فرعون أيضًا الحكماء والسحرة ففعل عرّافو مصر أيضًا بسحرهم كذلك.»

(٢) لم يرد في التوراة أنَّ موسى جزع وخاف من شعوذة السحرة وهو يعرف كذبها، هذا فضلاً عن بسالته وثقته في عناية الله به.

٢٤ المنار في تفسير الأعراف ٧: ١١٣ - ١١٦

(٣) لم يقل السحرة لموسى: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، وكذلك لم يقل لهم: ألقوا أنتم أولاً. بل إن الله أمره أن يطلب من فرعون أن يطلق بني إسرائيل، وإذا سأل آيةً فافعل كذا وكذا.

(٤) أخطأ القرآن في قوله إنَّ السحرة آمنوا بربِّ موسى، فإن التوراة صرّحت بأن الله قسّى قلب فرعون وقلوب عبيده ليُظهِر قوّته وقدرته. ولا نظن أن عبيد فرعون يؤمنون بربِّ موسى ويخالفون فرعون الملك المطاع، وموسى كان بلا جاهٍ ولا قوَّة.

(٥) أخطأ في تهديد فرعون للسحرة بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ ثم يصلبهم.

الضربات العشر

ورد ذكر الضربات العشر في سفر الخروج وهي كالتالي حسب ترتيب حدوثها:

(١) تحويل الماء إلى دم (خر ٧: ١٤ - ٢٥).

(٢) الضفادع (خر ٨: ١ - ١٥).

(٣) البعوض (خر ٨: ١٦ - ١٩).

(٤) الذباب (خر ٨: ٢٠ - ٢٩).

(٥) موت المواشي (خر ٩: ١ - ٧).

(٦) الدمامل (خر ٩: ٨ - ١٢).

(٧) البَرَد (خر ٩: ١٣ - ٢٦).

(٨) الجراد (خر ١٠: ١ - ١٩).

(٩) الظلام (خر ١٠: ٢١ - ٢٩).

(١٠) موت الأبكار (خر ١١: ١ - ٣٠).

وهاك عزيزي القارئ ما جاء به القرآن عن الضربات العشر على المصريين بعدما كرَّر قصة موسى مع فرعون في أكثر من نصف سور القرآن.

(أ) الضربات تسع لا عشر!

جاء في سورة الإسراء ١٧: ١٠١-١٠٤ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَٱسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُوا ٱلْأَرْضَ﴾.

- الاختلاف الأول هو قول القرآن بأن الضربات التي ضرب الله بها المصريين تسع لا عشر.
- الاختلاف الثاني: وإن بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجيشه في البحر لم يسكنوا في أرض مصر بل في أرض كنعان، وإنَّ فرعون لم يكن يريد أن يخرج اليهود من مصر بل أراد أن يستعبدهم فيها.

(ب)- يقول في سورة الأعراف ٧: ١٣٣ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾.

- وبناء عليه تكون ضربتا القمل والطوفان زائدتين، وضربة

البعوض، والذباب، وموت المواشي، والدمامل، والبَرَد، والظلام، وموت الأبكار ناقصة فيه.

ولما كان لا يوجد طوفان أخذوا في تأويله فقال مجاهد: وعطاء الطوفان الموت. وقال وهب: الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن. وقال أبو قلابة: الطوفان الجدري، وهم أول من عُذِّبوا به وقال مقاتل: الطوفان الماء طفا فوق حروثهم. وقال ابن عباس: الطوفان المطر.[٢٥]

عيون موسى

جاء في سفر الخروج ١٥ : ٢٧ «ثُمَّ جَاءُوا إِلَى إِيلِيمَ وَهُنَاكَ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنَ مَاءٍ وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ عِنْدَ ٱلْمَاءِ.» وفي خروج ١٧ : ٥ - ٧ «فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «مُرَّ قُدَّامَ ٱلشَّعْبِ، وَخُذْ مَعَكَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَعَصَاكَ ٱلَّتِي ضَرَبْتَ بِهَا ٱلنَّهْرَ خُذْهَا فِي يَدِكَ وَٱذْهَبْ. هَا أَنَا أَقِفُ أَمَامَكَ هُنَاكَ عَلَى ٱلصَّخْرَةِ فِي حُورِيبَ، فَتَضْرِبُ ٱلصَّخْرَةَ فَيَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ لِيَشْرَبَ ٱلشَّعْبُ». فَفَعَلَ مُوسَى هٰكَذَا أَمَامَ عُيُونِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ. وَدَعَا ٱسْمَ ٱلْمَوْضِعِ «مَسَّةَ وَمَرِيبَةَ» مِنْ أَجْلِ مُخَاصَمَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمِنْ أَجْلِ تَجْرِبَتِهِمْ لِلرَّبِّ قَائِلِينَ: «أَفِي وَسْطِنَا ٱلرَّبُّ أَمْ لَا؟»

أما القرآن فيقول في سورة البقرة ٢ : ٦٠ ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنْفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَٱشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ ٱللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. وفي سورة الأعراف ٧: ١٦٠ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ

---

٢٥ ابن كثير في تفسيرالأعراف ٧: ١٣٢

أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ ٱسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

ففي الكتاب المقدَّس أنَّ موسى ضرب الصخرة فأخرجت ماءً كما في الأصحاح ١٧، أما عن الاثني عشر عينًا فكانت موجودة بالفعل عند نزول بني إسرائيل عليها في إيليم. أما حادثة ضرب الصخرة فكانت في رفيدم حيث لم يجدوا ماءً للشرب فضربها موسى حسب أمر الرب.

ومن هنا نعرف أن القرآن قد خلط بين الحادثتين.

الحنث و القَسَم بين الكتاب والقرآن

جاء في سفر (الخروج ٢٠ : ٧) «لَا تَنْطِقْ بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ إِلٰهِكَ بَاطِلًا، لأَنَّ ٱلرَّبَّ لَا يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِٱسْمِهِ بَاطِلًا»، وفي سفر (زكريا ٥ : ٣، ٤) «وَكُلَّ حَالِفٍ يُبَادُ مِنْ هُنَاكَ بِحَسَبِهَا. إِنِّي أُخْرِجُهَا، يَقُولُ رَبُّ ٱلْجُنُودِ، فَتَدْخُلُ بَيْتَ ٱلسَّارِقِ وَبَيْتَ ٱلْحَالِفِ بِٱسْمِي زُورًا، وَتَبِيتُ فِي وَسَطِ بَيْتِهِ وَتُفْنِيهِ مَعَ خَشَبِهِ وَحِجَارَتِهِ.». وقال السيد المسيح رب المجد في (متى ٥ : ٤٣ – ٣٧) «أَيْضًا سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَحْنَثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ أَقْسَامَكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا ٱلْبَتَّةَ، لَا بِٱلسَّمَاءِ لِأَنَّهَا كُرْسِيُّ ٱللهِ، وَلَا بِٱلْأَرْضِ لِأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأُورُشَلِيمَ لِأَنَّهَا مَدِينَةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْعَظِيمِ. وَلَا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. بَلْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَهُوَ مِنَ

لشِّرِّيرِ»

أما القرآن فله تعليمٌ آخر، ففي سورة البقرة ٢ : ٢٢٥) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللهُ بِٱللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾

وفسَّرها البيضاوي بقوله «اللّغْو - الساقط الذي لا نعتدُّ به من كلامٍ وغيره. ولَغْوُ اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان أو تكلَّمٍ به جاهلاالمعناه، كقول العرب: لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله: «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بمالا قصد منه. ولكن يؤاخذكم بهما أو بإحداهما بما قصدتم من الأيْمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم. وقال أبو حنيفة: «اللّغو أن يحلف الرجل بناءً على ظنه الكاذب. والمعنى لا يؤاخذكم بما أخطأتم فيه من الأَيمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيه».

هل من مقوّمات النُّبل والشرف أن يكذب الإنسان؟ حقًّا لقد قال المسيح: «لِيَكُنْ كَلامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لا لا. وَمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ» (متى ٥ : ٣٧ ويعقوب ٥ : ١٢).

شريعة حفظ السبت

في خروج ٢٠ : ٨ - ١١ «اُذْكُرْ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ، وَأَمَّا ٱلْيَوْمُ ٱلسَّابعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ. لَا تَصْنَعْ عَمَلًا مَا أَنْتَ وَٱبْنُكَ وَٱبْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ ٱلَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لِأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ

ٱلرَّبُّ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَٱلْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَٱسْتَرَاحَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابعِ. لِذٰلِكَ بَارَكَ ٱلرَّبُّ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ وَقَدَّسَهُ». وفي خروج ٣١: ١٤ - ١٨ «فَتَحْفَظُونَ ٱلسَّبْتَ لِأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ. مَنْ دَنَّسَهُ يُقْتَلُ قَتْلًا. إِنَّ كُلَّ مَنْ صَنَعَ فِيهِ عَمَلًا تُقْطَعُ تِلْكَ ٱلنَّفْسُ مِنْ بَيْنِ شَعْبِهَا. سِتَّةَ أَيَّامٍ يُصْنَعُ عَمَلٌ، وَأَمَّا ٱلْيَوْمُ ٱلسَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا. فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلسَّبْتَ لِيَصْنَعُوا ٱلسَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلامَةٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ. لِأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ ٱلرَّبُّ ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابعِ ٱسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ». ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ ٱلشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبعِ ٱللهِ». وفي خروج ٣٥: ٢ «سِتَّةَ أَيَّامٍ يُعْمَلُ عَمَلٌ، وَأَمَّا ٱلْيَوْمُ ٱلسَّابعُ فَفِيهِ يَكُونُ لَكُمْ سَبْتُ عُطْلَةٍ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ فِيهِ عَمَلًا يُقْتَلُ». وفي سفر العدد ١٥: ٣٢ - ٣٥ «وَلَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلًا يَحْتَطِبُ حَطَبًا فِي يَوْمِ ٱلسَّبْتِ. فَقَدَّمَهُ ٱلَّذِينَ وَجَدُوهُ يَحْتَطِبُ حَطَبًا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ ٱلْجَمَاعَةِ. فَوَضَعُوهُ فِي ٱلْمَحْرَسِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْلَنْ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتْلًا يُقْتَلُ ٱلرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ ٱلْجَمَاعَةِ خَارِجَ ٱلْمَحَلَّةِ.»».

هذا هو حكم التوراة على وصية حفظ السبت ومن يكسر هذه الوصية. أما القرآن فيجيء لنا بقصة خيالية في سورة البقرة ٢: ٦٥ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وورد في الأعراف ٧: ١٦٣ ﴿وَٱسْأَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ

يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وفي عدد ١٦٦ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. قال المفسرون إنَّ بني إسرائيل كانوا بقرية بأرض أيلة، وحرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت. فكان إذ دخل يوم السبت لم يبقَ حوت في البحر إلَّا اجتمع هناك، حتى لا يُرى الماء من كثرتها. فإذا مضى السبت تفرَّقت الحيتان ولزمت قعر البحر فذلك معنى قوله إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم. فوسوس لهم الشيطان: أن اصطادوا يوم السبت، فاصطادوا وملّحوا وأكلوا وباعوا واشتروا، فمسخهم الله وجعلهم قردةً وخنازير.[٢٦]

وحاشا لله أن يجرّب عباده على اقتراف المنكر، ويجعل الحيتان تأتي يوم السبت ولا تظهر في باقي الأيام. قال الإنجيل: «لَا يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ ٱللهِ»، لِأَنَّ ٱللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِٱلشُّرُورِ، وَهُوَ لَا يُجَرِّبُ أَحَدًا. وَلٰكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا ٱنْجَذَبَ وَٱنْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ». (يعقوب ١: ١٣، ١٤) ومما يدل على ذلك أن الله لما أمطر على بني إسرائيل المن، أمرهم أن يلتقطوا يوم الجمعة ما يكفيهم ليوم السبت، لأنه حجب نزول المن يوم السبت (خروج ١٦).

والخلاصة: إننا لم نقرأ عن مسخ الإنسان إلى كائنات أخرى إلَّا في كتاب ألف ليلة وليلة وأساطير الملكة زنوبيا!

---

٢٦ «القرطبي» في تفسير البقرة ٦٥

القتل بين الكتاب المقدَّس والقرآن

يقول الكتاب في (خروج ٢٠: ١٣) «لَا تَقْتُلْ». والكتاب القدس كلّه لم يخرج عن هذا المعني بلا قيد ولا شرط ولا حصر.

أما القرآن:

النساء ٤: ٩٢ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

الأنفال ٨: ٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

البقرة ٢: ٢١٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾.

التوبة ٩: ٤١ و٧٣ ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ... يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

محمد ٤٧: ٤-٦ و٣٥ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لا نْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لهُمْ... فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾.

البقرة ٢: ٢١٦ و٢٤٤ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ... وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

الأنفال ٨: ٦٠ ﴿وَأَعِدُّوالهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

الأنفال أيضًا ٨: ١٢ و١٣ و٣٩ ﴿أُلْقِي فِي قُلُوبِ الذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ... وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

التوبة ٩: ٢٩ و١١١ ﴿قَاتِلُوا الذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ... إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾.

آل عمران ٣: ١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ (أي من حجرة عائشة) تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

النساء ٤: ٧٦ ﴿الذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾.

الأنفال ٨: ٦٧ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وهل يُكرِهون الناس على قبول الدين بالسيف؟ وإذا كان

القتل محللًا فما هو الحرام؟ وكيف يُحرّض نبيٌّ على القتال، وانتهاك الأشهر الحرم، وتجهيز القبائل بالعتاد والسيوف ليقتل وينهب، ويقول إن هذا في سبيل الله والدين، ويغري أتباعه بالغنائم، وأخذ الجزية في الدنيا والجنة وحور العِين في الآخرة؟؟ ولقد جاء في حديث مسلم أن محمدًا قال «اغزوا باسم الله في سبيل الله. فاقتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تَغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليدًا».

سادية محمد في القتل

عندما وصل محمد خبر قتل راعيه يسار وسرقة أغنامه من قِبَل بعض الأعراب أمر وعلى الفور بتشكيل سَرِيَة حربية بقيادة كرز بن جابر للحاق بالجناة وإحضارهم. وفعلًا استطاعت سَرِيَةُ كرز اللحاق بهم وتم إرجاعهم مع الأغنام إلى المدينة، وأمر محمد بالتنكيل بالأعراب وعلى النحو التالي:

١ - قطع أياديهم

٢ - قطع أرجلهم

٣ - سمل عيونهم (إخراج عيونهم)

٤ - تركهم في حرارة الشمس حتى الموت.

ونحن نتساءل: ألم يكن يدعي بأنه رسول من الله؟ هل أن الله يحثُّ على الانتقام والتنكيل بالخصوم حتى ولو كانوا سُرَّاقًا مجرمين؟ بمثل هذه القساوة أتصور أنَّه أراد بهذه الطريقة أن يقول لمن تسوّل له نفسه الاقتراب من أمواله بأنه سيلاقي المصير نفسه. لقد عرفنا عن الرُّسُل السابقين مدى تميزهم بالرحمة والرأفة بالبشر ودعوتهم دائماً للسلام بعكس من اعتبر نفسه خاتم الرسل ونبي

الرحمة! انظر إلى هذه الآيات والدعوات التي فيها الآية ٤ من سورة محمد ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ...﴾ والآية ١٣ من سورة التوبة ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخرَاجِ الرَّسُولِ...﴾.

والآية ١٤ من نفس سورة ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ... وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِين﴾. والآية ٣٣ من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجلُهُمْ مِنْ خلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ...﴾.

كلها دعوات للقتل وضرب للرقاب وقطع من الخلف للأرجل والأيادي والصَّلْب والنفي وأخيرًا التشفِّي برؤية ذلك. ولمن أعدَّ كل هذه الأنواع من القتل والتنكيل؟! للمشركين والكفار أو لمن نكثوا العهود! لماذا أباح لنفسه ولدينه كل هذه الأنواع من الردود للمعارضين في حين أن المعارضة التي تمثلت بقريش ومَنْ والاها لم يكن ردهم وسلاحهم وطرحهم بهذا القسوة والعنف؟ فلقد كان محمد يجهر بآياته القرآنية في الكعبة ويدعو إلى التغيير في كل شيء. فهل كان لقريش أن دعوا إلى قتله إلَّا بعد أن قطعوا جميع سبل التحاور والتفاهم معه والذي استغرق أكثر من عشر سنوات؟ ولماذا يكون حلف محمد وميثاقه أبديًا في حين أن العُرْف والعادات لم يكن يلزم المتعهد سواء أكان شخصًا أو قبيلة بالتعهد الإجباري غير القابل للانفكاك إلَّا بموافقة المتعهد نفسه؟

ومن دعواته الغريبة عن العُرْف السائد وفي موضوع القتل أيضًا فإنه استباح في غزوة حنين السلْب بعد القتل عندما قال «من قتل قتيلًا فله سلبه»! وقد قام المسلمون بقتل كل من اعتبر رجلًا

وحتى الذرية أبادوها. وبهذه الطُرق أتوا العرب مفاهيم لم يكونوا يعرفونها، مفاهيم في العنف والقسوة غير المحدودة. مما جعلهم يهابون المسلمين ويحسبون لهم ألف حساب لا لكونهم يدعون إلى البر والتقوى والعمل الصالح بل لأن القائمين به ومشرِّعيه من أقسى وأعنف الناس.

ملاحظة: لقد قرأت الكثير من قصص الروَّاد والفاتحين وقادة الجيوش في جميع العصور حتى أسوأهم هتلر النازي وموسوليني وستالين، فلم أجد أنجس من محمد!

السرقة

في (خروج ٢٠: ١٥) «لَا تَسْرِقْ.» ونجد هذه الآية مكررة في سفر اللاويين والتثنية وباقي أسفار الكتاب.

ثم جاء الإنجيل ليعلن أنَّ العقوبة واحدة لكل الآثام ضمن العقاب السماوي.

أمَّا القرآن فقيول في سورة المائدة ٥: ٣٨ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ ٱللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فالقرآن في هذه الحالة جعل العقوبة انتقام لا تأديب، لأنه لو سرق وقُطِعَت يده ومرة أخرى رجله وثالثة فبماذا يعاقب؟

وإذا كان القرآن وضع شريعة قطع يد السارق خلافًا لكل الشرائع السماوية والوضعية، ألا يسيء هذا إلى الإنسانية ويجعل أصحاب الأيدي المقطوعة، حتى بعد توبتهم، عالةً على المجتمع، يعيشون فيه بمرارة ناقمين عليه؟ إن قطع يد السارق يحرمه من

العمل وكسب رزقه بعرق جبينه. وجاء في كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني أنَّ قطع يد السارق عقوبة جاهلية، فلماذا شرَّع محمد عوائد الوثنيين الذميمة في دينه؟

أما القرآن فقد أباح غزو ونهب وقتل أي شخص غير مسلم وإكراهه على الإسلام. ويُعتَبر هذا الفعل جهادًا في سبيل الله، وسأورد تعليقنا على هذا الموضوع قبل أن نستعرض آراء المفسرين المسلمين وتبريراتهم الواهية لتحليل فقه الاستباحة لدى المسلم، فالمسلمون مستبيحون لأموال وأعراض غيرهم أينما وُجِدوا. لم يكتفي محمدٌ بممارسة الرزيلة وفعل الموبيقات فحسب، بل جعلها سُنَّة لأتباعه من بعده!

محمد وشريعة السلب والنهب

سورة الأنفال مدنية وهي السورة الثامنة والثمانون من حيث تسلسل نزوله ويذكر في الآية ٤١ ما يلي ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ هنا الغنيمة تُقَسَّم وتكون حصة الله والرسول فيه الخُمس! ولا نفهم ما حاجة الله إلى الغنيمة (حتى ولو كان المعنى مجازيًا) ألم يكن الأجدر بالله أن يُنْزِل على المسلمين المَن من السماء أو أن يمدهم بطيور السلوى (كما فعل مع بني إسرائيل) بدلًا من أن يعتمد هو ورسوله على سرقة ونهب القبائل لتمشية أمور وأحوال المسلمين!

بنو إسرائيل والصاعقة

في سفر الخروج ٢٠: ١٨ – ٢١ «وَكَانَ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ يَرَوْنَ

ٱلرُّعُودَ وَٱلْبُرُوقَ وَصَوْتَ ٱلْبُوقِ، وَٱلْجَبَلَ يُدَخِّنُ. وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ ٱرْتَعَدُوا وَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالُوا لِمُوسَى: «تَكَلَّمْ أَنْتَ مَعَنَا فَنَسْمَعَ. وَلَا يَتَكَلَّمْ مَعَنَا ٱللهُ لِئَلاَّ نَمُوتَ». فَقَالَ مُوسَى لِلشَّعْبِ: «لَا تَخَافُوا. لِأَنَّ ٱللهَ إِنَّمَا جَاءَ لِكَيْ يَمْتَحِنَكُمْ، وَلِكَيْ تَكُونَ مَخَافَتُهُ أَمَامَ وُجُوهِكُمْ حَتَّى لَا تُخْطِئُوا». فَوَقَفَ ٱلشَّعْبُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَمَّا مُوسَى فَٱقْتَرَبَ إِلَى ٱلضَّبَابِ حَيْثُ كَانَ ٱللهُ».

ومن طالع التوراة ظهر له أنه لم يطلب أحد من بني إسرائيل أن يرى الله جهرة، بل بالعكس طلبوا من موسى أن يكلّم هو الله، وأن يأذن لهم بأن يقفوا على بُعد لئلا يموتوا (خروج ٢٠: ١٨ - ٢١) وقد استحسن الله طلبهم (تثنية ٥: ٢٣ - ٣٢). ولكن القرآن قال إنَّهم علّقوا إيمانهم على هذه الرؤيا.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى ٱللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ (البقرة ٢: ٥٥ - ٥٧).

قال مفسرو المسلمين إن السبعين الذين اختارهم موسى للميقات هم الذين طلبوه. وقيل: عشرة آلاف من قوم موسى هم الذين طلبوا ذلك. وقيل: جاءت نار من السماء أحرقتهم، وقيل: صيحة، وقيل: جنود سمعوا بحسيسها فخرّوا صعقين ميتين يومًا وليلة، ثم بعثهم المولى وسخّر لهم السحاب يظلّلهم من الشمس حين كانوا في التيه. وكذلك ورد في النساء ٤: ١٥٣ ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ﴾.

أما السبعون شخصًا المُشار إليهم في تفاسيرهم، فلم يطلب

أحدٌ منهم أن يرى الله جهرة، بل إن الله هو الذي طلب من موسى أن يصعد إليه مع هارون وناداب وأبيهو وسبعين من شيوخ إسرائيل ليسجدوا من بعيد، ويقترب موسى وحده إلى الرب، فامتثلوا للأمر (خروج ٢٤: ١ - ١٨).

فهنا أربعة أخطاء:

(١) لم يطلب أحدٌ من بني إسرائيل أن يرى الله جهرة.

(٢) لم يمت أحد منهم بالصاعقة.

(٣) لم يبعث الله أحدًا من الموت.

(٤) قالوا كان يظللهم بسحاب في التيه من الشمس، والتوراة تعلّمنا أن الله كان يهديهم في رحلاتهم بعمود سحابٍ في النهار وعمود نارٍ في الليل (خروج ٤٠: ٣٥ – ٣٨، مزمور ٧٨: ١٤).

السِحر والشعوذة بين الكتاب المقدَّس والقرآن

يقول الكتاب المقدَّس في سفر الخروج ٢٢: ١٨ «لَا تَدَعْ سَاحِرَةً تَعِيشُ»، وأمر في اللاويين ١٩: ٢٧ برجم كل ساحر. ونهى عن السِحر بقوله: «لَا يُوجَدْ فِيكَ لَا سَاحِرٌ ... وَلَا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً، وَلَا مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً، وَلَا مَنْ يَسْتَشِيرُ ٱلْمَوْتَى» (تثنية ١٨: ١٠ و١١).

فقد نهت التوراة عن السحر وأمرت باستئصال السحرة والمشعوزين. ونقرأ التوراة من أولها إلى آخرها لا نجد شيئًا اسمه «الجن»! يوجد ملائكة وشياطين، لكن الجن موجود في كتاب

«ألف ليلة وليلة».

لكن محمد جاء ليقول في القرآن (الأنعام ٦ : ١١٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

ويقول أيضًا في سورة البقرة ٢: ١٠٢ ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو ٱلشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾

قال مفسِّرو القرآن إن الشياطين كتبوا السحر على لسان آصف (هذا ما علم آصفُ بن برخيا سليمانَ الملك) وكتبوه ودفنوه تحت كرسيه، وذلك حين نزع الله منه المُلك ولم يشعر بذلك. وقيل إنَّ بني إسرائيل اشتغلوا بتعليم السِحر في زمانه فمنعهم سليمان من ذلك، وأخذ كتبهم ودفنها تحت سريره. فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس: «إنما مَلَكَكُم سليمانُ بهذا، فتعلَّموه.» وأنكر اليهود نبوّة سليمان، وقالوا إنما حصل له هذا المُلك وسُخِّرت الجنُّ والإنس له بسبب السِحر، فردّ عليهم القرآن بقوله: «وما كفر سليمان.»

وقال ابن عباس: إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس، عيّروهم وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم وهم يعصونك، فقال الله: أو أنزلكم في الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتكم مثل ما ركبوا.

قالوا: سبحانك، ما كان لنا أن نعصيك. قال الله: اختاروا مَلَكين من خياركم أُهبطهما إلى الأرض، فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة. فركّب الله فيهما الشهوة، واهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشِرك، والقتل بغير الحق، والزِنا، وشرب الخمر. فكانا يقضيان في النهار ويصعدان في الليل. فأتت إليهما امرأة من أجمل أهل فارس، ففافتتنا بها، فحكما لها، بل عبدا الصنم حبًا فيها. ولما رغبا الصعود إلى السماء لم تطاوعهما أجنحتهما، فتوجَّها إلى إدريس النبي وسألاه أن يشفع لهما، فخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، وهما لغاية الآن معلّقان ببابل من شعورهما إلى قيام الساعة.[٢٧]

(١) الخطأ الأول في عبارة القرآن: أنَّه لم يكن في عهد النبي سليمان شياطين يعلّمون الناس السِحر، وأقبح من ذلك قوله إنَّ الله أنزل على الملَكين السِّحر، يعني الغِش. ولما رأى علماء المسلمين قُبْح هذا قال الطبري: إنَّه سبحانه علّم الملَكين السِحر ليجعلهما فتنة لعباده من بني آدم، ولكنهما كانا يخبران من جاء يتعلّم ذلك بأنهما فِتنة. وحاشا لله أن يضع عثرة للبشر بأن يقيم فيهم من يعلّمهم الضلال.

ولا نتصوّر أنّ الله الذي أمر بإبادة الساحر، وملاشاة كل عمل غش وكذب يُنزل على الملَكين الأكاذيب والضلالات للتفريق بين المرء وزوجه، والإنجيل يعلِّمنا أنه لما اهتدى الوثنيون إلى المسيحية واقتنعوا بصدقها، أحرقوا كتب سحرهم، وحسبوا

٢٧ تفسير القرطبي في تفسير البقرة ١٠٢.

أثمانها فوجدوها ٥٠ ألفًا من الفضة (أعمال ١٩ : ١٩) لأن صناعة السحر هي صناعة غشٍّ وتدليس.

(٢) الملائكة معصومون من الخطية لأنهم خدَّام الله القائمون بطاعته. والقرآن هنا يفيد أنهم غير معصومين، مع أنه ورد فيه أيضًا ما يفيد عصمتهم ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ ٱللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم ٦٦ : ٦) وفي الأنبياء ٢١ : ٢٠ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ وفي النحل ١٦ : ٥٠ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

غير أن مسألة هاروت وماروت شَوَّشَت عقول المسلمين فتارة قالوا بعصمة الملائكة، وأخرى نفوها عنهم. وهذه القصة مأخوذة من الخرافات الوثنية القديمة.

(٣) لم يرد في التوراة أنَّ اليهود نسبوا إلى سليمان الكُفر وإنَّهم لم يؤمنوا به، بل كانوا متعلّقين به وكانت له منزلة رفيعة عندهم. والتوراة تشهد أنَّ الله أعطى سليمان حكمةً وفهماً كثيرًا، وأنَّ حكمته فاقت حكمة الجميع، وأنَّه تكلّم بثلاثة آلاف مَثَل، وكانت نشائده ألفًا وخمسًا، وكان الملوك يأتون ليسمعوا حكمته (ملوك الأول ٤ : ٣٠ - ٣٤) وزادت الثروة في مدته زيادة فائقة حتى كانت الفضة كالحجارة في الكثرة.

(٤) من الأخطاء قوله إنَّ الملَكين ظهرا ببابل، وسليمان كان في أورشليم. فكأنه ظنَّ أنَّ بابل هي أورشليم.

(٥) لم نقرأ في التوراة أونسمع عن نبي ٱسمه إدريس!

وفي موضع آخر يقول القرآن في سورة صَ ٣٨ : ٣٤ و٣٥ «وَلَقَدْ

فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾

قال مفسرو المسلمين إنَّ سليمان قتل ملك صيدون وأخذ بنته جرادة لجمالها فكانت تبكي في بيت سليمان على أبيها. فأوصى سليمان الشياطين فعملوا تمثالًا لأبيها وضعته أمامها وكانت تسجد له أربعين يومًا. وكان لسليمان خاتم يلبسه. وكان إذا دخل للطهارة يعطيه لزوجته أمينة! فمرة دخل للطهارة وظهر الشيطان لأمينة في شكل سليمان وأخذ الخاتم وجلس على سرير الملك وتزوج بنساء سليمان! واستمر في المُلك أربعين يومًا، وسليمان مطرود يستنكره كل من رآه. وطار الشيطان وسقط منه الخاتم في البحر. وصاد الصيادون سمكًا وأعطوا سليمان سمكتين أجرة له على خدمته في حَمل السمك، فوجد الخاتم في جوف السمكة ولما لبسه عاد إليه الملك!

وللتعليق نسأل: فما معنى هذا الخاتم السحري الذي من يلبسه من الإنس أو الجن يصير ملكًا؟ وكيف يتزوج الشيطان النساء وهو من الأرواح؟ ومتى كان سليمان الملك شحاذًا وحمّال سمك أربعين يومًا؟

وأخيرًا المعوذتين في سحر محمد سورة الفلق ١١٣ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِي ٱلْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

قال البيضاوي: ومن شر النفاثات في العقد - ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها، والنفث النفخ مع ريق. وتخصيصه لما رُوي أن يهوديًا سحر

النبي في إحدى عشرة عقدة في وترٍ دسَّه في بئر فمرض النبي ونزلت المعوَّذتان. وأخبره جبريل بموضع السحر. فأرسل عليًا فجاء به، فقرأهما عليه. فكان كلما قرأ آية انحلّت عقدة ووجد بعض الخفة. ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر. وقيل المراد بالنفث في العُقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها وإفرادها بالتعريف لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد .

قال البيضاوي أيضًا: المراد بالسحر ما يُستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يستقل به الإنسان. وذلك لا يستتب إلَّا لمن يناسبه في الشهادة وخبث النفس. فإن التناسب شرط في النظام والتعاون. وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي.

ونحن المسيحيين نؤمن بأنَّه لا سلطان للسحر والشعوذة والأعمال على المسيحي المؤمنَ المحفوظ بعناية الله. لقد نهت شريعة الله عن السحر: «لَا تَتَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ رِجْسِ أُولٰئِكَ ٱلْأُمَمِ. لَا يُوجَدْ فِيكَ مَنْ يُجِيزُ ٱبْنَهُ أَوِ ٱبْنَتَهُ فِي ٱلنَّارِ، وَلَا مَنْ يَعْرُفُ عِرَافَةً، وَلَا عَائِفٌ وَلَا مُتَفَائِلٌ وَلَا سَاحِرٌ، وَلَا مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً، وَلَا مَنْ يَسْأَلُ جَانًّا أَوْ تَابِعَةً، وَلَا مَنْ يَسْتَشِيرُ ٱلْمَوْتَى. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ ٱلرَّبِّ» (تثنية ١٨ : ٩ - ١٢). وهاجم الرسول بولس بار يشوع الساحر بقوله:

«وَأَمَّا شَاوُلُ، ٱلَّذِي هُوَ بُولُسُ أَيْضًا، فَٱمْتَلأَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَشَخَصَ إِلَيْهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا ٱلْمُمْتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وَكُلَّ خُبْثٍ! يَا ٱبْنَ إِبْلِيسَ! يَاعَدُوَّ كُلِّ بِرّ! أَلَا تَزَالُ تُفْسِدُ سُبُلَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَقِيمَةَ؟

فَٱلْآنَ هُوَذَا يَدُ ٱلرَّبِّ عَلَيْكَ، فَتَكُونُ أَعْمَى لَا تُبْصِرُ ٱلشَّمْسَ إِلَى حِينٍ». فَفِي ٱلْحَالِ سَقَطَ عَلَيْهِ ضَبَابٌ وَظُلْمَةٌ، فَجَعَلَ يَدُورُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَقُودُهُ بِيَدِهِ.» (أعمال ١٣ : ٩ - ١٢). وكذلك قال بطرس الرسول لسيمون الساحر «فَتُبْ مِنْ شَرِّكَ هٰذَا، وَٱطْلُبْ إِلَى ٱللهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ، لِأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ ٱلْمُرِّ وَرِبَاطِ ٱلظُّلْمِ.» (أعمال ٨ : ٢٢ و٢٣). هذه هي شريعة الله حقًا، وهؤلاء هم رسل الله فعلاً، ينتهرون السحرة ويعطلون أعمالهم، وقوة الله فوق قوى الساحرين!

التابوت والسكينة:

نقرأ في سفر الخروج ٢٥ – ٢٧ (اقرأ الأصحاحان في الكتاب المقدَّس) عن تابوت العهد وخيمة الاجتماع بتفاصيلها. ولكن عندما نقرأ عنها في القرآن والتفاسير الإسلامية نجد اختلافات كثيرة، وكأننا نقرأ في كتاب «ألف ليلة وليلة»!

ففي سورة البقرة ٢ : ٢٤٨ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

تختلف أقوال المسلمين عن التابوت تمامًا عما جاء بالتوراة. قالوا إن الله أنزل التابوت على آدم فيه صورة الأنبياء، وكان من خشب الشمشاد، طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين، فانتقل من آدم إلى أن وصل إلى موسى، ثم إلى صموئيل.

واختلفوا في السكينة، فقال علي بن أبي طالب هي ريح

خجوج هفافة لها رأسان ووجهُ كوجه الإنسان. وقال مجاهد: هي شيء يشبه الهِرَّة له رأس كرأس الهرة وذَنَب كذَنَب الهرة. وله جناحان، وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرّد وزبرجد، كانوا إذا سمعوا صوته تيقّنوا النصر. وقال ابن عباس: هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، وقال وهب: هي روح من الله تعالى تتكلم إذا اختلفوا في شيءٍ فتخبرهم ببيان ما يريدون. وقال قتادة والكلبي: هي فعيلة من السكون أي طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا.

واختلفوا في تلك «البقية» التي ترك آل موسى وآل هارون، فقال ابن عباس: هي رضاض من الألواح وعصا موسى. وقيل عصا هارون وشيء من ألواح التوراة. وقيل كانت العلم والتوراة. وقيل كان فيه عصا موسى ونعلاه، وعصا هارون وعمامته. وقوله «تحمله الملائكة» قال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت. وقال الحسن: كان التابوت مع الملائكة في السماء، فلما وُلِّي طالوتُ المُلك حملته الملائكة ووضعته بينهم، وقيل وضعته في دار طالوت، فأصبح في داره فأقرّوا بمُلكه.[٢٨]

وسبب اضطراب أقوال المسلمين عن التابوت والسكينة وغيرها هو عدم اطلاعهم على نصوص كتاب الوحي الإلهي. وحقيقة الأمر هي أنَّ الله أمر موسى عند طور سينا أن يصنع خيمة الاجتماع لتقديم الذبائح والعبادة فيها، قبل بناء هيكل سليمان بنحو ٤٨٠ سنة. وسُميت «خيمة» لأنها كانت مصنوعة من ألواح،

---

٢٨ الرازي، الطبري، ابن كثير، في تفسير البقرة ٢٤٨

وسُميت «خيمة الاجتماع» لأن الله كان يجتمع بشعبه فيها، وتُسمّى أيضًا خيمة الشهادة ومسكن الشهادة، لأن لوحي الشهادة وُضعا فيها، وكانت منقوشة بنقوش بديعة، ومغشاة بالذهب وطولها ثلاثون ذراعًا وعرضها عشر أذرع وارتفاعها عشر أذرع. وكانت هذه الخيمة محاطة بدارٍ غير مسقوفة، مستطيلة الشكل، طولها مائة ذراع وعرضها خمسون ذراعًا.

ونجد في البقرة ٢٤٨ أربعة أخطاء:

(١) قوله إنَّ التابوت تحمله الملائكة، ولم يرد في كتاب الله أن الملائكة حملت التابوت وأدخلته إلى بيت شاول علامةً على المُلك، بل العلامة التي خصّه الله بها هي أنه لما مسحه صموئيل حلّ عليه روح الله وتغيّر عما كان عليه وهزم العمونيين.

(٢) قوله فيه «سكينة» وصوابه شخنيا، وهي كلمة عبرية معناها «الروح». أو هي مأخوذة من شاخونة ومعناها سكن، وكان اليهود يطلقون هذه اللفظة للدلالة على تجلّي الحضرة الإلهية بين الكروبيم والغطاء، وللدلالة على جلاله الأقدس.

(٣) قوله «فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون». والحقيقة هي إنه لم يكن فيه سوى لوحيّ العهد.

(٤) عدم معرفته اسم النبي الذي مسح شاول، ولا يخفى أن اسمه صموئيل.

هارون والعجل الذهبي

تقول التوراة في سفر الخروج ٣٢: ١ - ٤ إنَّ موسى صعد

إلى الجبل بناءً على أمر الرب له. وعندما أبطأ هناك ضجر بنو إسرائيل وتوجَّهوا إلى هارون وحدث الآتي: «وَلَمَّا رَأَى ٱلشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي ٱلنُّزُولِ مِنَ ٱلْجَبَلِ، ٱجْتَمَعَ ٱلشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ ٱصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هٰذَا مُوسَى ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «ٱنْزِعُوا أَقْرَاطَ ٱلذَّهَبِ ٱلَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَآتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ ٱلشَّعْبِ أَقْرَاطَ ٱلذَّهَبِ ٱلَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذٰلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِٱلْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلًا مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هٰذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ ٱلَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»

سورة الأعراف ٧: ١٣٨﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى ٱجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾

أ- النَّص الكتابي يقول إن موسى كان غائبًا في الجبل والكلام كان مع هارون.

ب- الذي صنع العجل هو بنو إسرائيل وليس شعب آخر، لكن القرآن يقول إنهم أتوا على قوم يعبدون أصنامًا بعدما تجاوزوا البحر.

غضب موسى

تقول التوراة في سفر الخروج ٣٢: ١٥ - ٢٩ «فَٱنْصَرَفَ مُوسَى وَنَزَلَ مِنَ ٱلْجَبَلِ وَلَوْحَا ٱلشَّهَادَةِ فِي يَدِهِ: لَوْحَانِ مَكْتُوبَانِ عَلَى جَانِبَيْهِمَا. مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا كَانَا مَكْتُوبَيْنِ. وَٱللَّوْحَانِ هُمَا صَنْعَةُ

ٱللهِ، وَٱلْكِتَابَةُ كِتَابَةُ ٱللهِ مَنْقُوشَةٌ عَلَى ٱللَّوْحَيْنِ. وَسَمِعَ يَشُوعُ صَوْتَ ٱلشَّعْبِ فِي هُتَافِهِ فَقَالَ لِمُوسَى: «صَوْتُ قِتَال فِي ٱلْمَحَلَّةِ». فَقَالَ: «لَيْسَ صَوْتَ صِيَاحِ ٱلنُّصْرَةِ وَلَا صَوْتَ صِيَاحِ ٱلْكَسْرَةِ، بَلْ صَوْتَ غِنَاءٍ أَنَا سَامِعٌ». وَكَانَ عِنْدَمَا ٱقْتَرَبَ إِلَى ٱلْمَحَلَّةِ أَنَّهُ أَبْصَرَ ٱلْعِجْلَ وَٱلرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ ٱللَّوْحَيْنِ مِنْ يَدَيْهِ وَكَسَّرَهُمَا فِي أَسْفَلِ ٱلْجَبَلِ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلْعِجْلَ ٱلَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَهُ بِٱلنَّارِ، وَطَحَنَهُ حَتَّى صَارَ نَاعِماً، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ ٱلْمَاءِ، وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هٰذَا ٱلشَّعْبُ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيْهِ خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟» فَقَالَ هَارُونُ: «لَا يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ ٱلشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرّ. فَقَالُوا لِيَ: ٱصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هٰذَا مُوسَى ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيَنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْتُهُ فِي ٱلنَّارِ فَخَرَجَ هٰذَا ٱلْعِجْلُ». وَلَمَّا رَأَى مُوسَى ٱلشَّعْبَ أَنَّهُ مُعَرَّى لِأَنَّ هَارُونَ كَانَ قَدْ عَرَّاهُ لِلْهُزْءِ بَيْنَ مُقَاوِمِيهِ، وَقَفَ مُوسَى فِي بَابِ ٱلْمَحَلَّةِ، وَقَالَ: «مَنْ لِلرَّبِّ فَإِلَيَّ». فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمِيعُ بَنِي لَاوِي. فَقَالَ لَهُمْ: «هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ: ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُّوا وَٱرْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي ٱلْمَحَلَّةِ، وَٱقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ». فَفَعَلَ بَنُو لَاوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ ٱلشَّعْبِ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ. وَقَالَ مُوسَى: «ٱمْلأُوا أَيْدِيَكُمُ ٱلْيَوْمَ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِٱبْنِهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمُ ٱلْيَوْمَ بَرَكَةً.»

أَمَّا القرآن فيقول في سورة الأعراف ٧: ١٥٠ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ

أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾

فكتاب الله يعلِّمنا أن موسى لم يأخذ برأس أخيه هارون يجره إليه ولا شيء من ذلك. بل كل ما ذكره الكتاب في حادثة العجل أن هارون بسط لأخيه قلق الشعب عليه وتصلّبهم في عمل العجل، فعمله حسب رغبتهم.

هل انكسر اللوحان؟

وتعلّمنا التوراة أن الرب قال لموسى: «ٱنْحَتْ لَكَ لَوْحَيْنِ مِنْ حَجَرٍ مِثْلَ ٱلْأَوَّلَيْنِ، فَأَكْتُبَ أَنَا عَلَى ٱللَّوْحَيْنِ ٱلْكَلِمَاتِ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَى ٱللَّوْحَيْنِ ٱلْأَوَّلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا» (سفر الخروج ٣٤: ١). هذا وقد ذُكر لفظ الألواح في كل موضع في القرآن بصيغة الجمع (لا بصيغة المثنَّى) وهو دليل على أنّه كان يظن أنَّ «الألواح» كانت أكثر من اثنين.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف ١٥٤).

قال الإمام الرازي: «ظاهر هذا يدل على أن الألواح لم تتكسّر ولم يُرفع من التوراة شيء».[٢٩]

---

٢٩ الرازي في تفسير الأعراف

سفر اللاويين

دينونة البشر لبعضهم

في سفر (اللاويين ٢٠ : ١٠) «وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ ٱمْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ ٱمْرَأَةِ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ ٱلزَّانِي وَٱلزَّانِيَةُ.»

في إنجيل يوحنا ٨ : ١ - ١١) «أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ فِي ٱلصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ ٱلشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱمْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي ٱلْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ ٱلْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي ٱلنَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هٰذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هٰذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَٱنْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَلَمَّا ٱسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، ٱنْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلَا خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ ٱنْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى ٱلْأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ ٱلشُّيُوخِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَٱلْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي ٱلْوَسْطِ. فَلَمَّا ٱنْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى ٱلْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا ٱمْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولٰئِكَ ٱلْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لَا أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. ٱذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا.»

في الواقع أن حق البشر لإدانة بعضهم البعض ليس حقًّا

مشروعًا لهم لأنه خاص بخالقهم ليس إلَّا. وأما القرآن فيقول في سورة (النساء ٤ : ١٥) ﴿وَٱللَّاتِي يَأْتِينَ ٱلْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾

في الحقيقة أن محاكمة الناس لبعضهم البعض ودينونتهم عن الخطأ أمر في غاية الخطورة. فقد يحكمون على شخص بارتكاب هذه الخطية وهو برئ منها، ومعظمنا يتذكر أنه أثناء عملية جمع القرآن لم يجد عمر ابن الخطاب شاهدًا واحدًا يشهد له بصحة وجود «آية الرجم» في القرآن مع أنَّها مشهورة وذلك كراهية منهم لمدلول الآية. والأمر الواضح أن كل من يقرأ القرآن ويؤمن به يكتسب صفات الكذب والمراوغة واللف والدوران والاستباحة... إلخ فكيف نثق فيمن كانت هذه صفاتهم في الحكم على الناس؟ يكفي مجرد نظرة إلى الدول والحكومات الإسلامية ونرى كيف آلت هذه الشعوب إلى الحضيض خلقيًا وثقافيًا وإنسانيًا يسبب تعاليم كتاب الجهل البدوي.

سفر العدد

قورح أم هامان وقارون وفرعون

في سفر العدد ١٦: ٢٥ – ٣٥ «فَقَامَ مُوسَى وَذَهَبَ إِلَى دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَذَهَبَ وَرَاءَهُ شُيُوخُ إِسْرَائِيلَ. فَكَلَّمَ ٱلْجَمَاعَةَ قَائِلًا: «ٱعْتَزِلُوا عَنْ خِيَامِ هؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ ٱلْبُغَاةِ، وَلَا تَمَسُّوا شَيْئًا مِمَّا لَهُمْ لِئَلاَّ تَهْلِكُوا بِجَمِيعِ خَطَايَاهُمْ». فَطَلَعُوا مِنْ حَوَالَيْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ، وَخَرَجَ دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَوَقَفَا فِي بَابِ خَيْمَتَيْهِمَا مَعَ نِسَائِهِمَا وَبَنِيهِمَا وَأَطْفَالِهِمَا. فَقَالَ مُوسَى: «بِهٰذَا تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ أَرْسَلَنِي لِأَعْمَلَ كُلَّ هٰذِهِ ٱلْأَعْمَالِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي. إِنْ مَاتَ هؤُلَاءِ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ، فَلَيْسَ ٱلرَّبُّ قَدْ أَرْسَلَنِي. وَلٰكِنْ إِنِ ٱبْتَدَعَ ٱلرَّبُّ بِدْعَةً وَفَتَحَتِ ٱلْأَرْضُ فَاهَا وَٱبْتَلَعَتْهُمْ وَكُلَّ مَا لَهُمْ، فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ، تَعْلَمُونَ أَنَّ هؤُلَاءِ ٱلْقَوْمَ قَدِ ٱزْدَرَوْا بِٱلرَّبِّ». فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ ٱلتَّكَلُّمِ بِكُلِّ هٰذَا ٱلْكَلَامِ، ٱنْشَقَّتِ ٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي تَحْتَهُمْ، وَفَتَحَتِ ٱلْأَرْضُ فَاهَا وَٱبْتَلَعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُلَّ مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ ٱلْأَمْوَالِ، فَنَزَلُوا هُمْ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُمْ أَحْيَاءً إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ، وَٱنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمِ ٱلْأَرْضُ، فَبَادُوا مِنْ بَيْنِ ٱلْجَمَاعَةِ. وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِينَ حَوْلَهُمْ هَرَبُوا مِنْ صَوْتِهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: «لَعَلَّ ٱلْأَرْضَ تَبْتَلِعُنَا». وَخَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ ٱلرَّبِّ وَأَكَلَتِ ٱلْمِئَتَيْنِ وَٱلْخَمْسِينَ رَجُلًا ٱلَّذِينَ قَرَّبُوا ٱلْبَخُورَ.»

بينما يقول القرآن في سورة العنكبوت ٢٩: ٣٩ و٤٠ ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱسْتَكْبَرُوا

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ. فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

ويتبادر إلى الذهن من هذه الآيات أنَّ قارون وهامان مصريان من قوم فرعون وأنَّهما مع فرعون قاوموا موسى في مصر. ولكن هذا خطأ، لأن قارون إسرائيلي لا مصري، ومن قوم موسى لا من قوم فرعون، كما جاء في سورة القصص ٢٨ : ٧٦ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾!!

جعل القرآن هامان وزيرًا لفرعون في جملة سور. والحقيقة أنَّه كان وزيرًا للملك أحشويروش، وكانت مملكة هذا الملك تمتد من الهند إلى كوش.

وفي نفس الآية ورد أن موسى أُرسل إلى قارون وفرعون وهامان، وأنَّ الأرض خسفت بقارون.

والحقيقة هي أن قورح وداثان وأبيرام ثاروا على موسى، وكادوا أن يحدثوا انقلابًا، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم (سفر العدد ١٦)

بالاق وبلعام

تقول التوراة في سفر (عدد ٢٢، ٢٣) عن النبي موسى وشعب إسرائيل أثناء رحلة الخروج من مصر متجهين إلى أرض كنعان، إنَّهم لما نزلوا في أرض موآب خاف منهم ملك موآب بالاق بن صفور بسبب ما فعلوه بالأموريين، «فَقَالَ مُوآبُ لِشُيُوخِ

مِدْيَانَ: «ٱلْآنَ يَلْحَسُ ٱلْجُمْهُورُ كُلَّ مَا حَوْلَنَا كَمَا يَلْحَسُ ٱلثَّوْرُ خُضْرَةَ ٱلْحَقْلِ»... فَأَرْسَلَ رُسُلًا إِلَى بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ، إِلَى فَتُورَ ٱلَّتِي عَلَى ٱلنَّهْرِ فِي أَرْضِ بَنِي شَعْبِهِ لِيَدْعُوَهُ قَائِلًا: «هُوَذَا شَعْبٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ. هُوَذَا قَدْ غَشَّى وَجْهَ ٱلْأَرْضِ، وَهُوَ مُقِيمٌ مُقَابِلِي. فَٱلْآنَ تَعَالَ وَٱلْعَنْ لِي هٰذَا ٱلشَّعْبَ، لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنِّي، لَعَلَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَكْسِرَهُ فَأَطْرُدَهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ، لِأَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ ٱلَّذِي تُبَارِكُهُ مُبَارَكٌ وَٱلَّذِي تَلْعَنُهُ مَلْعُونٌ.»

فطُلب من بلعام أن يلعن شعب الرب، لكنه نفر، لكن الله أتى إلى بلعام في رؤيا الليل أن يذهب مع رجاله حتى يقول كما يوحي إليه. فذهب معهم لكن الله أوحى إليه أن يباركهم عوضًا أن يلعنهم. هذه هي قصة التوراة.

أما القرآن فيقول في سورة (الأعراف ٧: ١٧٥، ١٧٦) ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ملخص التفاسير القرآنية تقول: والمشهور في التفسير أنَّه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أنَّ موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفارًا، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنَّه من أهل ديني، ولا ينبغي لي أن أدعوَ عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة لصَلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان له ليدعوَ على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقفت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقَّد قد

منعتني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلبك، فدعا على موسى بٱسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة، فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا ربِّ بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم، فقال: يا رب فكما سمعت دعاءه عليَّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا اللهَ أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنُزع منه.

والفرق والتباين واضح بين القصتين ولا مجال للتوفيق بينهما.

عمرام وليس عمران

جاء في سفر (العدد ٢٦: ٥٩) «وَٱسْمُ ٱمْرَأَةِ عَمْرَامَ يُوكَابَدُ بِنْتُ لَاوِي ٱلَّتِي وُلِدَتْ لِلَاوِي فِي مِصْرَ، فَوَلَدَتْ لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا.»

أما القرآن فيقول عن مريم العذراء تارة بنت عمران، وتارة أخرى أخت هارون! ففي (سورة التحريم ٦٦: ١٢) ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ﴾، وفي سورة (مريم ١٩: ٢٧، ٢٨) ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

ولما كان قوله يا أخت هارون من أعظم الأخطاء قال علماء المسلمين مرّة إنه كان أخا مريم لأبيها. وقيل إنَّه كان أمثل رجل في بني إسرائيل. وقيل إنَّما عنوا هارون أخا موسى لأنها كانت من

نسله. وقيل كان هارون في بني إسرائيل فاسقًا فشبّهوها به.[٣٠]

وبما يؤكد هذه الغلطة ادعاؤه أن مريم هي بنت عمرام، وما درى أن مريم بنت عمرام هي أخت موسى، أما مريم التي هنا فهي من ذرية داود.

وقد خلط القرآن وارتكب أخطاءًا كثير في مسألة الأسماء (عمرام، عمران) (أخنوخ، إدريس) (جليات، طالوط) (يونان، يونس) (يوحنا، يحي) (يسوع، عيسى) إلخ لأن محمدًا كان من شبه جزيرة العرب ويتكلم العربية، ولم يخطر على باله أنَّ أسماء الأنبياء المذكورة في التوراة والإنجيل هي أسماء عبرية ويونانية لها معانٍ في لغتها الأصلية.

٣٠ الرازي في تفسير مريم ١٩: ٢٨

سفر التثنية

لمن ينبغي السجود؟

جاء في سفر التثنية ٦ : ١٣ «اَلرَّبَّ إِلٰهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ» وأيضًا «فَٱلْآنَ يَا إِسْرَائِيلُ، مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ إِلَّا أَنْ تَتَّقِيَ ٱلرَّبَّ إِلٰهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَتُحِبَّهُ، وَتَعْبُدَ ٱلرَّبَّ إِلٰهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ» (تثنية ١٠ : ١٢)، و(إشعياء ٤٥ : ٢٣) «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ، خَرَجَ مِنْ فَمِي ٱلصِّدْقُ كَلِمَةٌ لَا تَرْجِعُ: إِنَّهُ لِي تَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، يَحْلِفُ كُلُّ لِسَانٍ.». وفي العهد الجديد على لسان ربّ المجد «حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «ٱذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (متّى ٤ : ١٠).

بينما نقرأ في القرآن في (سورة الكهف ١٨ : ٥٠) ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾

وفي سورة البقرة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ (آيات ٣١ - ٣٤). وورد في الأعراف ٧: ١١ -

١٣ ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ ٱلسَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾. وورد أيضًا في الحِجْر ١٥ : ٢٨ - ٣٣ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ وكذلك ورد في الإسراء ١٧ : ٦١ ﴿أن الملائكة سجدوا لآدم إلَّا إبليس﴾.

(١) فنسب لله تعجيز الملائكة بطريق الاحتيال. ففي مبدأ الأمر علّم آدم الأسماء، ثم عرضهم على الملائكة فعجزوا عن التسمية، واعترفوا بالعجز.

(٢) أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، وحاشا لله أن يأمر بالسجود لغير ذاته. قال في التوراة: «لا تسجد لِإِلٰهٍ آخر، لِأَنَّ ٱلرَّبَّ ٱسمه غيور. إلٰهٌ غيورٌ هو» (خروج ٣٤: ١٤).

(٣) ولما استقبح علماء الإسلام ذلك قالوا إن سجود الملائكة كان لله، وآدم كان كالقِبلة لهم. ولكن هذا يشبه سلوك بني إسرائيل، لما عبدوا العجل وقالوا: «إننا نعبد الله الذي يشير العجل إليه!»

واعتذروا عن ذلك أيضًا بقولهم إن هذا سجود تكرمة وتفضيل، أو إنه امتحان للملائكة ليُظهر تواضعهم. ولكن حاشا لله أن يجعل له شريكًا في مُلكه لابتلاء الملائكة.

وأقام بعض علماء المسلمين أدلة عقلية ونقلية على أفضلية الملائكة على الأنبياء، ولكننا نقول: إن الملائكة أفضل من البشر، بالنظر إلى تمتعهم بمشاهدة أنوار القداسة الإلهية، ولأنهم في السماء محل الطهارة والقداسة. ولكن الذي خلُص بالفداء بالمسيح هو

أفضل، لأن الله يدعوه ٱبنًا له. وعلى كل حال فإذا كان البشر أفضل من الملائكة، أو أقل منهم درجة، فلا يجوز السجود لغير الله، ولا يصح أن يسجد الملائكة لآدم لأنهم أقل منه درجة، كما لا يجوز لآدم ولا لأحدٍ من ذريته أن يسجد للملائكة حتى لو كانوا أفضل منه.

بنو إسرئيل والبقرة!

يخبرنا العهد القديم في سفر التثنية ٢١: ١ - ١٠ «إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي يُعْطِيكَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعًا فِي ٱلْحَقْلِ، لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ، يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى ٱلْمُدُنِ ٱلَّتِي حَوْلَ ٱلْقَتِيلِ. فَٱلْمَدِينَةُ ٱلْقُرْبَى مِنَ ٱلْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ ٱلْبَقَرِ لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجُرَّ بِٱلنِّيرِ. وَيَنْحَدِرُ شُيُوخُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ بِٱلْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ ٱلسَّيَلَانِ لَمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ ٱلْعِجْلَةِ فِي ٱلْوَادِي. ثُمَّ يَتَقَدَّمُ ٱلْكَهَنَةُ بَنُو لَاوِي، لِأَنَّهُ إِيَّاهُمُ ٱخْتَارَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ لِيَخْدِمُوهُ وَيُبَارِكُوا بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ، وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ خُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ، وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْقَرِيبِينَ مِنَ ٱلْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى ٱلْعِجْلَةِ ٱلْمَكْسُورَةِ ٱلْعُنُقِ فِي ٱلْوَادِي، وَيُصَرِّحُونَ وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هٰذَا ٱلدَّمَ، وَأَعْيُنُنَا لَمْ تُبْصِرْ. اِغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيءٍ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. فَيُغْفَرُ لَهُمُ ٱلدَّمُ. فَتَنْزِعُ ٱلدَّمَ ٱلْبَرِيءَ مِنْ وَسَطِكَ إِذَا عَمِلْتَ ٱلصَّالِحَ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ.»

أما القرآن فيقول في سورة البقرة ٢: ٦٧ – ٧٣ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ

أَعُوذُ بِٱللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ. قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَٱفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ. قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّاظِرِينَ. قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ ٱللهُ لَمُهْتَدُونَ. قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا ٱلْآنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ. وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَٱللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

روى المفسرون أنَّ رجلًا من بني إسرائيل قتل قريبًا له غنيًا، ليرثه، وأخفى قتله له، ورغب اليهود في معرفة قاتله، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة، بعض القتيل ببعض البقرة، ليحيا ويخبر عن قاتله، وقد قاموا بذبح هذه البقرة بعد تساؤلات بينهم وبين موسى تكشف عن لجاجهم وعنادهم، ثمّ ضربوا بعض القتيل بها، فقام حيًا وأوداجه تشخب دمًا، وقال: «قتلني فلان ابن عمي»، ثمّ قبض. ويقول مفسّروا القرآن أيضًا: «يروى عن ابن عباس وسائر المفسرين أن رجلًا من بني إسرائيل قتل قريبًا له، ثم رماه في مجمع الطريق ثم تشكى إلى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في معرفة القاتل. فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ذلك حتى يبينه، فسأله فأوح الله البيان: ﴿إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فتعجبوا من ذلك ثم شدَّدوا على أنفسهم بالاستفهام حالًا بعد حال واستقصوا في طلب الوحي، فلما تعيَّنت لم يجدوها بذلك النعت إلَّا عند إنسان معين لم يبعها إلَّا بأضعاف ثمنها، فاشتروها وذبحوها، وأمرهم

موسى أن يأخذوا عضوًا منها فيُضرب بها القتيل، ففعلوا فصار المقتول حيًّا وسمَّى قاتله، وهو الذي ابتدأ بالنكاية فقتلوه، وبهذا قال القرآن ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَٱللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي ٱللهُ ٱلْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

تاريخ بني إسرائيل مدوَّن في التوراة والتلمود وكذلك الكتب الأبوكريفية، ولم نجد فيها مثل هذه القصص! ولا نعلم من أين أتوا بهذه القصة وتلك التأويلات! لكن ما الحكمة في أن يقوم ميتٌ من الموت ليخبر عن قاتله ثم يموت في الحال؟

فشريعة التوراة تبين بشاعة القتل، وتعلن اعتراف شيوخ الشعب أنَّهم لا يعرفون القاتل بغسل أيديهم على الذبيحة رمز البراءة، ثم يطلبون الغفران لتلك الخطية المجهولة الفاعل. وهذا كله معقول. ولكن هل من المعقول أن قطعة لحم من العِجلة يُضرب بها القتيل فيحيا ويتكلم؟

الطلاق وموقف المطلَّقة!

جاء في سفر (التثنية ٢٤: ١ - ٤) «إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ ٱمْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاق وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَإِنْ أَبْغَضَهَا ٱلرَّجُلُ ٱلْأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاق وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ ٱلرَّجُلُ ٱلْأَخِيرُ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً، لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ

أَنْ تَنَجَّسَتْ. لِأَنَّ ذٰلِكَ رِجْسٌ لَدَى ٱلرَّبِّ. فَلَا تَجْلِبْ خَطِيَّةً عَلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي يُعْطِيكَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ نَصِيبًا». وفي الإنجيل يقول ربُّ المجد في إنجيل (متّى ٥ : ٣١، ٣٢) «وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ ٱلزِّنَى يَجْعَلُهَا تَزْنِي، وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي».

أما القرآن فيقول في سورة (البقرة ٢: ٢٢٨ - ٢٣٠) ﴿وَٱلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ ٱللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى محمد وقالت: إني كنت عند رفاعة فطلّقني فبَتَّ طلاقي (أي قطعه، والبت القطع)، فتزوجْتُ بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل هدبة الثوب (أي طرف الثوب، وهو كناية عن استرخاء الذكر). فتبسّم محمد وقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا! حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته. شبّه لذة الجماع بالعسل وهو كناية عنه.[٣١]

---

٣١ مشكاة المصابيح تحقيق الإلباني حديث رقم ٣٢٩٥.

فانظر إلى هذا القانون. فلا يجوز للرجل أن يرجع إلى امرأته إلَّا إذا جامعت غيره، وكان الأقرب إلى العفّة والعقل والحكمة أن ترجع المرأة إلى زوجها الأول بدون أن يجامعها رجل آخر.

أَلَا يستنكر العقلاء هذا النظام الغريب؟ لماذا يصرّح القرآن بصلح المطلقة ورجوعها إلى زوجها بشرط أن تجامع رجلاً غيره يسمى محلل (وفي العامية المصرية تيس مأجور)؟ ولماذا العن محمد المحلل والمحلل له؟ أليس الأحق باللعنة هو المشرِّع؟

الصوم لموسى

قرأنا قصة موسى من أولها إلى آخرها في التوراة، ولم نجد فيها أن الله أمر موسى أن يصوم أيامًا معينة. أما القرآن فيقول في سورة الأعراف ٧: ١٤٢ ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

وملخص التفاسير الإسلامية تقول: عن موسى أنَّه وعد بني إسرائيل بمصر أنَّه إذا أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يدرون، فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب، فنزلت الآية في كيفية نزول التوراة.

وإنَّه تعالى أمر موسى عليه السلام بصوم ثلاثين يومًا وهو شهر ذي القعدة فلما أتمَّ الثلاثين أنكر خلوف (تغيير رائحة الفم) فيه فتسوَّك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأوحى الله تعالى إليه أما علمت أنَّ خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك، فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة

أيام من ذي الحجة لهذا السبب.

وهل كان موسى يعرف الأشهر العربية (ذي القعدة وذي الحجة)؟

القِبلة لموسى!

نقرأ أسفار موسى الخمسة بل العهد القديم كله فلا نجد فيهما شيئًا يشير إلى تعيين قِبلة لليهود يتوجَّهوا نحوها عند الصلاة.

أما القرآن فيقول في سورة (يونس ١٠ : ٨٧) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. يقول المفسِّرون نقلًا عن ابن عبَّاس إنَّ الكعبة كانت قِبلة موسى، وكان الحسن يقول إن الكعبة كانت قِبلة الأنبياء وإنَّما وقع العدول عنها إلى غيرها بأمر الله تعالى في أيام الرسول بعد الهجرة. وقال أمروية كانت تلك القبلة جهة بيت المقدس.

فلا يوجد أي شيء من هذا في التوراة!

سفر يشوع

بنو إسرائيل وأرض كنعان

ملخص قصة امتلاك أرض كنعان هي كالتالي حسب ما جاءت في كتاب الله:

- موسى يرسل جواسيس يتجسَّسوا أرض كنعان ويعطونه تقريرًا كاملًا عنها (الأرض، الشعوب، الزرع)
- أرسل موسى حسب أمر الرب اثنى عشر رجلًا، رجل من كل سبط.
- رجع الجواسيس من أرض الموعد حاملين من ثمار الأرض وتقاريرهم أنَّ الأرض بالفعل كما وعد الرب تفيض لبنًا وعسلًا.
- عشرة رجال كانت تقاريرهم انهزامية «لَا نَقْدِرُ أَنْ نَصْعَدَ إِلَى ٱلشَّعْبِ، لِأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا... رَأَيْنَا فِيهَا أُنَاسٌ طِوَالُ ٱلْقَامَةِ... فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَٱلْجَرَادِ، وَهٰكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ».
- اثنان فقط وهما يشوع بن نون (من سبط أفرايم) وكالب بن يفنَّة[٣٢] (من سبط يهوذا) قالا: «إِنَّنَا نَصْعَدُ وَنَمْتَلِكُهَا لِأَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَيْهَا»
- تذمَّر الشعب على موسى ووهارون قائلين: «لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هٰذَا ٱلْقَفْرِ... أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجعَ إِلَى

---

٣٢ الأرجح أن كالب من نسل عيسو وليس من نسل يعقوب، فكالب هو كالب بن يفنَّة القنزي، من بني قناز، وبمراجعة تكوين ٣٦ نجد أن بني قناز من نسل عيسو.

مِصْرَ؟ »

■ حدث انقسام في صفوف الشعب وأراد البعض أن يقيموا زعيماً ليرجع بهم إلى مصر.

■ مزَّق يشوع وكالب ثيابهما من تمرد الشعب على الرب ومحاولة انسحابه ورجوعه لمصر وذكَّرا الشعب بجودة الأرض وأنَّ الله معهم؟

■ ظهر مجد الرب في خيمة الاجتماع وأمات العشرة جواسيس بالوباء.

■ كان قرار الرب أنَّ هذا الجيل لن يدخل أرض الميعاد إلَّا كالب بن يفنة ويشوع بن نون. كان هذا سنة (١٤٩٠ ق .م)

■ سنة ١٤٥١ ق.م. مات موسى على جبل نبو، وهو ابن ١٢٠ سنة، وخَلَفَهُ يشوع الذي أرسل جاسوسين إلى أريحا في الشهر الأول، وقد قامت راحاب بإوائهما.

■ وأخيرًا الأصحاح السادس من سفر يشوع يحكي لنا كيف دخل شعب الله أرض كنعان حسب خطة الله بأن يدورون حول المدينة مرة واحدة في اليوم لمدة ستة أيام. وفي اليوم السابع يفعلون نفس الشئ سبع مرات، وعندما يضرب الكهنة بالبوق يهتف جميع الشعب فسقط السور في مكانه.

وهذه هي شواهد النصوص الكتابية بشواهد التي تسرد قصة امتلاك شعب إسرائيل لأرض كنعان حسب ترتيبها تاريخيًا[٣٣]:

سفر العدد أصحاح ١٣؛ ثم سفر العدد أصحاح ١٤؛ سفر

٣٣ فاليراجع القارئ هذه النصوص في الكتاب المقدَّس، فقد حذفتها لطولها، كي لا أثقل عليكم بكثرة القراءة.

(يشوع ٢ : ١ - ٤)؛ (يشوع ٦ : ١ - ١٩)؛

أما القرآن فيقول في سورة (المائدة ٥ : ٢٠ – ٢٦) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن ٱلْعَالَمِينَ. يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا محرَّمة عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ.﴾

وهذا تحليل للنَّص القرآني دون مراوغة أو لف ودوران:

- آية (٢٠، ٢١) يقول موسى لبني إسرائيل أن يذكروا نعمة الله عليهم حيث أقام فيهم أنبياء وملوك! وهذا خطاء تاريخي فادح، فالمعلوم تاريخيًا أن فترة الملوك في إسرائيل جاءت بعد حوالي ٤٠٠ سنة من هذه الحادثة أي بعد التيه في البرية ٤٠ سنة، ثم يشوع وامتلاك الأرض، ثم فترة القضاة وبعد ذلك فترة الملوك التي بدأت بشاول بن قيس ملكًا عام ١٠٩٥ ق.م. أما قول موسى لبني إسرائيل ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ فهذا لم يحدث تاريخيًا ولا كتابيًا! فموسى أرسل أولًا اثنى عشر

جاسوسًا، ثم بعد ذلك عُوقِبَ بني إسرائيل بالتيه والحرمان من دخول أرض كنعان بمن فيهم موسى نفسه، فكيف يقول موسى لبني إسرائيل: «ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ» وهو نفسه محروم من دخولها!

- آية ٢٢ وهو قول بني إسرائيل إن فيهم قومًا جبارين، فالحديث الأصلي لم يكن بين موسى وبني إسرائيل، بل كان بين موسى والاثنى عشر جاسوسًا، وبعد قليل سنرى كيف تناول المفسرون المسلمون هذه القصة بتآويل وقصص خرافية متخبطة. أما قول القرآن ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ فهذا لم يحدث، بل هو تقوُّل على بني إسرائيل، فكل ما قاله بني إسرائيل لموسى بعد أن أشاع عشرة جواسيس المذمة بينهم: «لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا ٱلْقَفْرِ!»
- آية ٢٣ ﴿قَالَ رَجُلانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يبدوا أن كاتب القرآن كان يتلقى القصص منجمة فجاءت قصص القرآن جميعها مشوشة! فهل كان يجهل مؤلف القرآن اسم هذين الرجلين؟ وأي باب هذا الذي يتكلم عنه القرآن؟ وأي باب هذا الذي يسع دخول بني إسرائيل وعددهم وقتئذٍ كان يقدّر ب ٢ مليون نسمة ما عدا والغنم والمواشي.
- أما الآية ٢٤ فلم أسمع بها في ربوع الكتاب كله وهي «فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ.»

- الآية ٢٥ وهي قول موسى لله: «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ» فشتان الفرق بين النَّص الكتابي والنَّص القرآني، فكتاب الله يعلِّمنا أنَّه بعدما تذمَّر الشعب على موسى، كاد الله أن يهلكهم بالوباء، لكن موسى تشفَّع لهم وطلب الرحمة لهم ولم يطلب أن يفترق هو وأخوه عن الشعب: «حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هٰذَا ٱلشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لَا يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ ٱلْآيَاتِ ٱلَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِٱلْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ». فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «فَيَسْمَعُ ٱلْمِصْرِيُّونَ الَّذِينَ أَصْعَدْتَ بِقُوَّتِكَ هٰذَا ٱلشَّعْبَ مِنْ وَسَطِهِمْ، وَيَقُولُونَ لِسُكَّانِ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسَطِ هٰذَا ٱلشَّعْبِ، ٱلَّذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْنًا لِعَيْنٍ، وَسَحَابَتُكَ وَاقِفَةٌ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ سَائِرٌ أَمَامَهُمْ بِعَمُودِ سَحَابٍ نَهَارًا وَبِعَمُودِ نَارٍ لَيْلًا. فَإِنْ قَتَلْتَ هٰذَا ٱلشَّعْبَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، يَتَكَلَّمُ ٱلشُّعُوبُ ٱلَّذِينَ سَمِعُوا بِخَبَرِكَ قَائِلِينَ: لِأَنَّ ٱلرَّبَّ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُدْخِلَ هٰذَا ٱلشَّعْبَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي ٱلْقَفْرِ.»

إلى هنا انتهي تفسيري المباشر للنَّص القرآني لإيضاح الاختلاف فقط بين الكتابين، لكن للأمانة العلمية سأورد تفسير ابن كثير لهذا المقطع لسبب وهو أنَّه أكثر المفسرين المسلمين إسهابًا وإطنابًا لكل ما يتعلَّق ببني إسرائيل، وهو أكثر مفسِّر متَّهَم بالإسرائيليات! وسأقوم بتمييز النَّص عند ذكر الأشياء الغريبة والشاذة عن الحقيقة.

يقول ابن كثير في تفسيره:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾

قول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام، فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلاءه لديهم، في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة، فقال تعالى: «وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء أي: كلما هلك نبي قام فيكم نبي، من لدن أبيكم إبراهيم وإلى من بعد. وكذلك كانوا، لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته، حتى ختموا بعيسى عليه السلام، ثم أوحى الله تعالى إلى خاتم الرسل والأنبياء على الإطلاق محمد بن عبد الله المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم ﷺ. وقوله: «وجعلكم ملوكا» قال عبد الرزاق عن الثوري عن منصور عن الحكم أو غيره، عن ابن عباس في قوله «وجعلكم ملوكا» قال: الخادم والمرأة والبيت. وروى الحاكم في مستدركه، من حديث الثوري أيضًا، عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: المرأة والخادم «وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين» قال: الذين هم بين ظهرانيهم يومئذ، ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سُمِي ملكًا. وقال ابن جرير: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو هانئ؛ أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك

امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء. فقال: إن لي خادمًا. قال فأنت من الملوك. وقال الحسن البصري: هل الملك إلَّا مركب وخادم ودار؟ رواه ابن جرير. ثم روي عن منصور والحكم ومجاهد وسفيان الثوري نحوًا من هذا. وحكاه ابن أبي حاتم عن ميمون بن مهران. وقال ابن شوذب: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كان له منزل وخادم، واستؤذن عليه، فهو ملك. وقال قتادة: كانوا أول من ملك الخدم. وقال السدي في قوله: «وجعلكم ملوكا» قال: يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله. رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة، كتب ملكًا» وهذا حديث غريب من هذا الوجه. وقال ابن جرير: حدثنا الزبير بن بكار حدثنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال «سمعت زيد بن أسلم يقول: «وجعلكم ملوكًا» فلا أعلم إلَّا أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له بيت وخادم فهو ملك» وهذا مرسل غريب. وقال مالك: بيت وخادم وزوجة. وقد ورد في الحديث: «من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها.» وقوله: «وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين» يعني عالمي زمانكم، فكأنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم، من اليونان والقبط وسائر أصناف بني آدم كما قال: «ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوَّة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين» (الجاثية ١٦). وقال تعالى إخبارًا عن موسى لما قالوا: «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ

الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللهِّ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» (الأعراف: ١٣٨ – ١٤٠). والمقصود: أنَّهم كانوا أفضل أهل زمانهم، وإلَّا فهذه الأمة أشرف منهم، وأفضل عند الله، وأكمل شريعة، وأقوم منهاجًا، وأكرم نبيًا، وأعظم ملكًا، وأغزر أرزاقًا، وأكثر أموالًا وأولادًا، وأوسع مملكة، وأدوم عزًا، قال الله عز وجل «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (آل عمران ١١٠) وقال «وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس» (البقرة: ١٤٣) وقد ذكرنا الأحاديث المتواترة في فضل هذه الأمة وشرفها وكرمها عند الله، عند قوله عز وجل: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» من سورة آل عمران. وروى ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبير أنهم قالوا في قوله: «وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين» يعني: أمة محمد ﷺ، وكأنهم أرادوا أن هذا الخطاب في قوله: «وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين» مع هذه الأمة. والجمهور على أنه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما قدمنا. وقيل: المراد: «وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين» يعني بذلك: ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسلوى، وتظللهم من الغمام وغير ذلك، مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات، فالله أعلم.

التعليق: أين الخادم والبيت الذي لبني إسرائيل وهم رُحَّل طوال الليل والنهار في شبه جزيرة سيناء! فالواضح هنا أن المفسِّر أراد الخروج من هذا المأذق التاريخي لفترة الملوك، فأفتى بتأويلات

مضحكة!

يَا قَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾

ثم قال تعالى مخبرًا عن تحريض موسى عليه السلام لبني إسرائيل على الجهاد والدخول إلى بيت المقدس الذي كان بأيديهم في زمان أبيهم يعقوب لما ارتحل هو وبنوه وأهله إلى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام، ثم لم يزالوا بها حتى خرجوا مع موسى عليه السلام فوجدوا فيها قومًا من العمالقة الجبارين قد استحوذوا عليها وتملكوها، فأمرهم رسول الله موسى عليه السلام، بالدخول إليها، وبقتال أعدائهم، وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم، فنكّلوا وعصوا وخالفوا أمره، فعوقبوا بالذهاب في التيه والتمادي في سيرهم حائرين، لا يدرون كيف يتوجهون فيه إلى مقصد، مدة أربعين سنة، عقوبة لهم على تفريطهم في أمر الله تعالى فقال تعالى مخبرًا عن موسى أنَّه قال: «يا قوم ٱدخلوا الأرض المقدَّسة» أي: المطهرة. قال سفيان الثوري عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: «ادخلوا الأرض المقدَّسة» قال: هي الطور وما حوله. وكذا قال مجاهد وغير واحد. وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال: هي أريحا. وكذا ذكر غير واحد من المفسرين. وفي هذا نظر، لأن أريحا ليست هي المقصود بالفتح، ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون اللهم إلَّا أن يكون المراد بأريحا أرض بيت المقدس كما قاله - السدي فيما رواه ابن جرير عنه - لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الغور شرقي بيت المقدس.

وقوله تعالى: «التي كتب الله لكم» أي: التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل: أنه وراثة من آمن منكم. «ولا ترتدوا على أدباركم» أي: ولا تنكلوا عن الجهاد «فتنقلبوا خاسرين»

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾

أي: اعتذروا بأن في هذه البلدة -التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها- قومًا جبارين، أي: ذوي خلق هائلة، وقوى شديدة، وإنّا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها وإلَّا فلا طاقة لنا بهم. وقد قال ابن جرير: حدثني عبد الكريم بن الهيثم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا سفيان قال: قال أبو سعيد قال عكرمة عن ابن عباس قال: أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين. قال: فسار موسى بمن معه حتى نزل قريبا من المدينة -وهي أريحا- فبعث إليهم اثني عشر عينًا، من كل سبط منهم عين، ليأتوه بخبر القوم. قال: فدخلوا المدينة فرأوا أمرًا عظيماً من هيئتهم وجثثهم وعظمهم، فدخلوا حائطًا لبعضهم، فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه، فجعل يجتني الثمار. وينظر إلى آثارهم، فتتبعهم فكلما أصاب واحدًا منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة، حتى التقط الاثني عشر كلهم، فجعلهم في كمه مع الفاكهة، وذهب إلى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا ، فاذهبوا فأخبروا صاحبكم. قال: فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم. وفي هذا الإسناد نظر. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لما نزل موسى وقومه، بعث منهم اثني عشر رجلًا -وهم النقباء

الذين ذكر الله، فبعثهم ليأتوه بخبرهم، فساروا، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فحملهم حتى أتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا نأتيه بخبركم. فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل، فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: اقدروا قدر فاكهتهم فلما أتوهم قالوا: «يا موسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون». رواه ابن أبي حاتم ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحي بن أيوب عن يزيد بن الهاد حدثني يحيي بن عبد الرحمن قال: رأيت أنس بن مالك أخذ عصا، فذرع فيها بشيء، لا أدري كم ذرع، ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمسًا وخمسين، ثم قال: هكذا طول العماليق. وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين، وأنه كان فيهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، وأنَّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع، تحرير الحساب! وهذا شيء يستحى من ذكره. ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن». ثم قد ذكروا أنَّ هذا الرجل كان كافرًا، وأنه كان ولد زانية، وأنه امتنع من ركوب السفينة، وأن الطوفان لم يصل إلى ركبته وهذا كذب وافتراء، فإن الله ذكر أن نوحًا دعا على أهل الأرض من الكافرين، فقال:«رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارًا» (نوح : ٢٦) وقال تعالى: «فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين» (الشعراء : ١١٩ – ١٢٠). وقال تعالى «لا عاصم اليوم

من أمر الله إلَّا من رحم» (هود : ٤٣) وإذا كان ابن نوح الكافر غرق، فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية؟! هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع. ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم.

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

وقوله: «قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما» أي: فلما نكل بنو إسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله موسى عليه السلام، حرضهم رجلان لله عليهما نعمة عظيمة، وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه. وقرأ بعضهم: «قال رجلان من الذين يُخافون» أي: ممن لهم مهابة وموضع من الناس. ويقال: إنَّهما «يوشع بن نون» و«كالب بن يوفنا»، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس وغير واحد من السلف، والخلف، رحمهم الله، فقالا: «ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين» أي: متى توكلتم على الله واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله على أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم، ودخلتم البلدة التي كتبها الله لكم. فلم ينفع ذاك فيهم شيئًا.

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾

وهذا نكول منهم عن الجهاد، ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء. ويقال: إنّهم لما نكلوا على الجهاد وعزموا على

الانصراف والرجوع إلى بلادهم، سجد موسى وهارون، عليهما السلام، قدام ملأ من بني إسرائيل إعظامًا لما هموا به، وشقَّ «يوشع بن نون» و«كالب بن يوفنا» ثيابهما، ولاما قومهما على ذلك، فيقال: إنَّهم رجموهما. وجرى أمر عظيم وخطر جليل. وما أحسن ما أجاب به الصحابة، رضي الله عنهم يوم بدر رسول الله ﷺ حين استشارهم في قتال النفير، الذين جاءوا لمنع العير الذي كان مع أبي سفيان فلما فات اقتناص العير، واقترب منهم النفير، وهم في جمع ما بين التسعمائة إلى الألف، في العدة والبيض واليلب، فتكلَّم أبو بكر رضي الله عنه، فأحسن، ثم تكلَّم من تكلَّم من الصحابة من المهاجرين ورسول الله ﷺ يقول: «أشيروا عليَّ أيُّها المسلمون» وما يقول ذلك إلَّا ليستعلم ما عند الأنصار لأنهم كانوا جمهور الناس يومئذ. فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه كأنك تعرض بنا يا رسول الله، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلَّف منا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنَّا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسِر بنا على بركة الله، فسِر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك. وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار المسلمين، فأشار إليه عمر ثم استشارهم فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار إياكم يريد رسول الله ﷺ. قالوا: إذا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» والذي بعثك بالحق لو ضربت أكبادها إلى برك

الغمام لاتبعناك. ورواه الإمام أحمد عن عبيدة بن حميد الطويل عن أنس به. ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن خالد بن الحارث عن حميد به، ورواه ابن حبان عن أبي يعلى عن عبد الأعلى بن حماد عن معمر بن سليمان عن حميد به.

وقال ابن مردويه: أخبرنا عبد الله بن جعفر أخبرنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا محمد بن شعيب عن الحسن بن أيوب عن عبد الله بن ناسخ عن عتبة بن عبد السلمي قال: قال النبي ﷺ لأصحابه «ألا تقاتلون؟» قالوا: نعم، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.

وكان ممن أجاب يومئذ المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه، كما قال الإمام أحمد. حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن مخارق بن عبد الله الأحمسي عن طارق -هو ابن شهاب-: أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. هكذا رواه أحمد من هذا الوجه، وقد رواه من طريق أخرى فقال: حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله -هو ابن مسعود- رضي الله عنه: لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به: أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: والله يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك، ومن بين يديك ومن خلفك. فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك، وسره بذلك. وهكذا رواه البخاري «في المغازي» وفي «التفسير» من طرق عن مخارق به. ولفظه في كتاب «التفسير» عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكن نقول «امض ونحن معك فكأنه سرى عن رسول الله ﷺ.

ثم قال البخاري: ورواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق أن المقداد قال للنبي ﷺ وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد المشركون الهدي وحيل بينهم وبين مناسكهم: «إني ذاهب بالهدي فناحره عند البيت». فقال له المقداد بن الأسود: أما والله لا نكون كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم: «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون» ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. فلما سمعها أصحاب رسول الله ﷺ تتابعوا على ذلك. وهذا إن كان محفوظا يوم الحديبية، فيحتمل أنه كرر هذه المقالة يومئذ كما قاله يوم بدر.

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

وقوله: «قال رب إني لا أملك إلَّا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» يعني: لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيا عليهم: «رب إني

لا أملك إلَّا نفسي وأخي» أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلَّا أنا وأخي هارون «فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» قال العوفي عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم. وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وكذا قال الضحاك: اقض بيننا وبينهم، وافتح بيننا وبينهم، وقال غيره: افرق: افصل بيننا وبينهم، كما قال الشاعر:

يا رب فافرق بينه وبيني   أشد ما فرقت بين اثنين

قَالَ فَإِنَّهَا محرَّمة عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

وقوله تعالى «فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين» لما دعا عليهم موسى عليه السلام، حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام، وعملت قبة العهد، ويقال لها: قبة الزمان. قال يزيد بن هارون عن أصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن قوله: «فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض» الآية. قال: فتاهوا في الأرض أربعين سنة، يصبحون

كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلوى وهذا قطعة من حديث «الفتون»، ثم كانت وفاة هارون، عليه السلام، ثم بعده بمدة ثلاثة سنين مات موسى الكليم، عليه السلام، وأقام الله فيهم «يوشع بن نون» عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحد سوى «يوشع» و«كالب»، ومن هاهنا قال بعض المفسرين في قوله: «قال فإنها محرَّمة عليهم» هذا وقف تام، وقوله: «أربعين سنة» منصوب بقوله: «يتيهون في الأرض» فلما انقضت المدة خرج بهم «يوشع بن نون» عليه السلام، أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصد بهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب، وخشي دخول السبت عليهم قال «إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي»، فحبسها الله تعالى حتى فتحها، وأمر الله «يوشع بن نون» أن يأمر بني إسرائيل حين يدخلون بيت المقدس أن يدخلوا بابها سجدًا، وهم يقولون: حطة، أي: حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حبة في شعرة، وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قوله «فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض» قال: فتاهوا أربعين سنة، فهلك موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الأربعين سنة، فلما مضت الأربعون سنة ناهضهم «يوشع بن نون»، وهو

الذي قام بالأمر بعد موسى وهو الذي افتتحها، وهو الذي قيل له: «اليوم يوم الجمعة» فهموا بافتتاحها، ودنت الشمس للغروب، فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا، فنادى الشمس: «إني مأمور وإنك مأمورة» فوقفت حتى افتتحها، فوجد فيها من الأموال ما لم ير مثله قط، فقربوه إلى النار فلم تأت فقال: فيكم الغلول، فدعا رءوس الأسباط وهم اثنا عشر رجلا فبايعهم، والتصقت يد رجل منهم بيده، فقال: الغلول عندك، فأخرجه فأخرج رأس بقرة من ذهب، لها عينان من ياقوت، وأسنان من لؤلؤ، فوضعه مع القربان، فأتت النار فأكلتها. وهذا السياق له شاهد في الصحيح.
وقد اختار ابن جرير أن قوله «فإنها محرَّمة عليهم» هو العامل في «أربعين سنة»، وأنهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة، وهم تائهون في البرية لا يهتدون لمقصد. قال: ثم خرجوا مع موسى عليه السلام، ففتح بهم بيت المقدس. ثم احتج على ذلك قال: بإجماع علماء أخبار الأولين أن عوج بن عنق «قتله موسى عليه السلام، قال: فلو كان قتله إياه قبل التيه لما رهبت بنو إسرائيل من العماليق فدل على أنه كان بعد التيه. قال: وأجمعوا على أن «بلعام بن باعورا» أعان الجبارين بالدعاء على موسى قال: وما ذاك إلَّا بعد التيه لأنهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه، هذا استدلاله، ثم قال: حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية حدثنا قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت عصا موسى عشرة أذرع، ووثبته عشرة أذرع، وطوله عشرة أذرع، فوثب فأصاب كعب «عوج» فقتله، فكان جسرًا لأهل النيل سنة.
وروي أيضا عن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبي

إسحاق عن نوف البكالي قال: كان سرير «عوج» ثمانمائة ذراع، وكان طول موسى عشرة أذرع، وعصاه عشرة أذرع، ووثب في السماء عشرة أذرع، فضرب «عوجا» فأصاب كعبه، فسقط ميتًا، وكان جسرًا للناس يمرون عليه.

وقوله تعالى: «فلا تأس على القوم الفاسقين» تسلية لموسى عليه السلام، عنهم، أي: لا تتأسف ولا تحزن عليهم فمهما حكمت عليهم به فإنهم يستحقون ذلك. وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم، ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتهما، فيما أمرهم به من الجهاد، فضعفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم، ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله ﷺ وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، هذا وقد شاهدوا ما أحل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم، وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك: «نحن أبناء الله وأحباؤه» (المائدة : ١٨) «فقبح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقرود، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأبيد الخلود، وقد فعل وله الحمد من جميع الوجود.

الإبقاء على الشعائر الوثنية

جاء في سفر يشوع ٢٤ : ١٤ «فَٱلْآنَ ٱخْشَوْا ٱلرَّبَّ وَٱعْبُدُوهُ بِكَمَالٍ وَأَمَانَةٍ، وَٱنْزِعُوا ٱلْآلِهَةَ ٱلَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمْ فِي عَبْرِ ٱلنَّهْرِ وَفِي مِصْرَ، وَٱعْبُدُوا ٱلرَّبَّ». ويشوع ٢٤ : ٢٣ «فَٱلْآنَ ٱنْزِعُوا ٱلْآلِهَةَ ٱلْغَرِيبَةَ ٱلَّتِي فِي وَسَطِكُمْ وَأَمِيلُوا قُلُوبَكُمْ إِلَى ٱلرَّبِّ إِلٰهِ إِسْرَائِيلَ». وصموئيل الأول ٧ : ٣ «وَكَلَّمَ صَمُوئِيلُ كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ قَائِلًا : «إِنْ كُنْتُمْ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ رَاجِعِينَ إِلَى ٱلرَّبِّ، فَٱنْزِعُوا ٱلْآلِهَةَ ٱلْغَرِيبَةَ وَٱلْعَشْتَارُوثَ مِنْ وَسْطِكُمْ، وَأَعِدُّوا قُلُوبَكُمْ لِلرَّبِّ وَٱعْبُدُوهُ وَحْدَهُ».

أما في القرآن، فالأمر ليس كذلك فقد جاء في سورة البقرة ٢ : ١٥٨ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

قال المفسرون: كان على الصفا والمروة (وهما جبلان) صنمان يقال لهما أساف ونائلة[٣٤]، فكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيماً للصنمين. فلما جاء الإسلام وكُسرت الأصنام تحرَّج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة، فاستفهموا من محمد عن ذلك، فأذن لهم، بل قال إنه من شعائر الله.

قال ابن عباس: «كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل

٣٤ . إساف ونائلة كانا من أشهر أصنام العرب، وقد زعموا أنهما رجل وامرأة من جرهم، زنيا في الكعبة، فمُسخا حجرين، ووضعا على الصفا والمروة، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما زلنا نسمع أن إسافًا ونائلة كانا رجلاً وامرأة من جرهم، أحدثا في الكعبة، فمسخهما الله تعالى حجرين (ابن هشام ج ١ ص ٨٠)ڤ

أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم. فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله، لا نطوف بين الصفا والمروة فإنه شيء كنا نصنعه في الجاهلية. فقال لهم: إنه من شعائر الله».[٣٥]

ونحن نسأل: كيف يجعل القرآن الشعائر الوثنية شعائر الله؟ هل كان الوثنيون ملهَمين فيها من الله؟

٣٥ أسباب النزول للسيوطي، سبب نزول البقرة ١٥٨

سفر قضاة

الخلط بين جدعون وشاول

تقول التوراة في سفر قضاة ٧: ٣ – ٨ «وَٱلْآنَ نَادِ فِي آذَانِ ٱلشَّعْبِ قَائِلًا: «مَنْ كَانَ خَائِفًا وَمُرْتَعِدًا فَلْيَرْجعْ وَيَنْصَرِفْ مِنْ جَبَلِ جِلْعَادَ». فَرَجَعَ مِنَ ٱلشَّعْبِ ٱثْنَانِ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَبَقِيَ عَشَرَةُ آلَافٍ. وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «لَمْ يَزَلِ ٱلشَّعْبُ كَثِيرًا. اِنْزِلْ بِهِمْ إِلَى ٱلْمَاءِ فَأُنَقِّيَهُمْ لَكَ هُنَاكَ. وَيَكُونُ أَنَّ ٱلَّذِي أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هٰذَا يَذْهَبُ مَعَكَ، فَهُوَ يَذْهَبُ مَعَكَ. وَكُلُّ مَنْ أَقُولُ لَكَ عَنْهُ: هٰذَا لَا يَذْهَبُ مَعَكَ فَهُوَ لَا يَذْهَبُ». فَنَزَلَ بِٱلشَّعْبِ إِلَى ٱلْمَاءِ. وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «كُلُّ مَنْ يَلَغُ بِلِسَانِهِ مِنَ ٱلْمَاءِ كَمَا يَلَغُ ٱلْكَلْبُ فَأَوْقِفْهُ وَحْدَهُ. وَكَذَا كُلُّ مَنْ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ لِلشُّرْبِ». وَكَانَ عَدَدُ ٱلَّذِينَ وَلَغُوا بِيَدِهِمْ إِلَى فَمِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ. وَأَمَّا بَاقِي ٱلشَّعْبِ جَمِيعًا فَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ لِشُرْبِ ٱلْمَاءِ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِجِدْعُونَ: «بِٱلثَّلَاثِ مِئَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِينَ وَلَغُوا أُخَلِّصُكُمْ وَأَدْفَعُ ٱلْمِدْيَانِيِّينَ لِيَدِكَ. وَأَمَّا سَائِرُ ٱلشَّعْبِ فَلْيَذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَكَانِهِ». فَأَخَذَ ٱلشَّعْبُ زَادًا بِيَدِهِمْ مَعَ أَبْوَاقِهِمْ. وَأَرْسَلَ سَائِرَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى خَيْمَتِهِ، وَأَمْسَكَ ٱلثَّلَاثَ مِئَةِ ٱلرَّجُلِ. وَكَانَتْ مَحَلَّةُ ٱلْمِدْيَانِيِّينَ تَحْتَهُ فِي ٱلْوَادِي.»

بينما نقرأ في القرآن في سورة البقرة ٢: ٢٤٩ – ٢٥٣ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ

إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُو ٱللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ. وَلَمَا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنْصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ ٱللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ ٱللهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَكِنَّ ٱللَه ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. تِلْكَ آيَاتُ ٱللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

قال المفسرون إنَّ الذين اغترفوا فقط هم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، فإنَّهم لما وصلوا إلى النهر أُلقي عليهم العطش، فشرب منه الكل إلَّا هذا العدد القليل. وكان من اغترف منه غُرفة كما أمره الله كفَتْهُ لشربه وشرب دوابه وقويَ قلبه وصحَّ إيمانه وعبر النهر سالمًا. والذين شربوا منه وخالفوا أمر الله اسودّت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا، وجبنوا، وبقوا على شط النهر. وقيل: جاوزوه كلهم، ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال، ولكن قاتل أولئك القليل.

ونجد في الرواية القرآنية ثلاثة أخطاء:

(١) لم يأخذ شاول جيشه وكان أمامه نهر، فالذي فعل ذلك كان جدعون أحد قضاة بني إسرائيل، وكان قبل الملك طالوت (أي شاول) بمائتي سنة، هو الذي حشد جيشًا جرارًا لمحاربة المديانيين. وقال الرب لجدعون: إن الشعب الذي معك كثير عليّ لأدفع المديانيين بيدهم، لئلا يفتخر إسرائيل قائلًا: يدي خلَّصتني. فنادِ في الشعب بأن يرجع كل من كان خائفًا. فرجع

٢٢ ألفًا وبقي عشرة آلاف. وقال الرب لجدعون: لم يزل الشعب كثيرًا. إنزل بهم إلى الماء، وكل من يَلَغُ بلسانه من الماء كما يَلَغُ الكلب فأوقِفْه وحده، وكذا كل من جثا على ركبتيه للشرب. وكان عدد الذين ولغوا بيدهم ٣٠٠ رجلًا، وأما باقي الشعب فجثوا على ركبهم لشرب الماء. فقال الرب لجدعون: بالثلاث مئة رجل الذين ولغوا أُخلّصكم، وأدفع المديانيين ليدكم. وقد آتاه الله النصر (قضاة ٧).

فطالوت (وصوابه شاول) لم ينزل بجيشٍ إلى نهرٍ ما، وإنما الذي نزل هو جدعون.

(٢) اختار الله من جيش بني إسرائيل ٣٠٠ نفرًا فقط، لإظهار قوَّته، وليوضح لهم أنه هو مُؤتي النصر.

(٣) لم يحارب جدعونُ ورجالُه جلياتَ، بل واقعة جليات مذكورة في ١صموئيل ١٧، فإنه لما كان يصطف بنو إسرائيل والفلسطينيون للقتال كان جليات ينزل ويعيّر بني إسرائيل وديانتهم، فنزل داود وكان فتى، وأتاه بقوة رب الجنود، فضربه بالمقلاع، فارتزَّ في جبهته فسقط وقطع داود رأسه.

لقد خلط القرآن قصة جدعون مع المديانيين التي حدثت سنة ١٢٤٩ق.م. بقصة شاول وجليات التي حدثت سنة ١٠٦٣ق.م.

سفرا صموئيل الأول والثاني

طلب بني إسرائيل ملكًا[36]

جاء في سفر ١صموئيل ٨: ٤ - ٧ «فَٱجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ إِلَى ٱلرَّامَةِ، وَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَٱبْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَٱلْآنَ ٱجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ ٱلشُّعُوبِ». فَسَاءَ ٱلْأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا». وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى ٱلرَّبِّ. فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «ٱسْمَعْ لِصَوْتِ ٱلشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لَا أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ.»

أما القرآن فيروي هذه القصة بطريقة تتعارض مع تاريخ بني إسرائيل إذ يقول في سورة البقرة ٢: ٢٤٦ و٢٤٧ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

يقول القرآن إنَّ بني إسرائيل رغبوا أن يستلم ملكٌ زمام أمورهم، وسببه كما قال المفسرون أن العمالقة الذين كانوا يسكنون

---

٣٦ راجع من فضلك فصل «ملخص محتويات الكتاب المقدَّس» في بداية الكتاب.

ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين هاجموا بني إسرائيل فأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء الملوك ٤٤٠، وهذا هو معنى قول القرآن «وقد أُخرِجنا من ديارنا وأبنائنا». ونجد في هاتين الآيتين أربعة أخطاء:

(١) قوله إن «الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى» وصوابه بعد القضاة، فإن حكومة بني إسرائيل كانت من بعد موسى حكومة جمهورية يحكمها قضاة مدة ٣٠٥ سنوات، وكان عددهم ١٤ قاضيًا، آخرهم صموئيل النبي. ولما شاخ صموئيل جعل ابنيه قاضيين، فلم يسيرا سيرة مرضية، فاجتمع شيوخ إسرائيل وقالوا له: أنت شخت، وابناك لم يقتفيا آثارك، فاجعل لنا ملكًا كسائر الشعوب. فساء صموئيل هذا، فصلّى إلى الرب وطلب منه الإرشاد. فأمره الله أن يجيب طلبهم، وقال له: «إِنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لَا أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ». فولَّى عليهم صموئيلُ النبيُّ شاولَ، وكان شابًا حسنًا، وكان أطول كل الشعب. وقد وردت كيفية مسحه وتوليته عليهم في ١صموئيل ٨ - ١٢.

فقول القرآن إنَّ بني إسرائيل طلبوا من نبيّهم ملكًا بعد موسى، أي من بعد وفاته، كما في البيضاوي، خطأ صوابه: بعد صموئيل آخر قضاة بني إسرائيل.

(٢) قولهم: «أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا» خطأ، فإنه لم يكن قد حدث سبيُ بني إسرائيل، ولا أخرجهم أحدٌ من ديارهم، بل إنهم طلبوا الملك ليقضي لهم ويحارب حروبهم ويخرج أمامهم.

(٣) قوله إن هذا الملك هو طالوت، خطأ صوابه شاول.

(٤) قوله إن بني إسرائيل لم يكونوا راضين عنه، وإنهم قالوا «أَنَّى يكون له المُلك ولم يُؤتَ سَعةً من المال» خطأ، فالتوراة تقول إنه لما تعيَّن شاول ملكًا هتف كل الشعب: ليحي الملك. غير أن بعض اللئام قالوا: «كيف يخلّصنا؟» فاحتقروه ولم يقدموا له هدية، فغضَّ شاول الطرف عنهم.

داود النبي

٢صموئيل ١٢: ١ - ١٥ «فَأَرْسَلَ ٱلرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا غَنِيٌّ وَٱلْآخَرُ فَقِيرٌ. وَكَانَ لِلْغَنِيِّ غَنَمٌ وَبَقَرٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَأَمَّا ٱلْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ صَغِيرَةٌ قَدِ ٱقْتَنَاهَا وَرَبَّاهَا وَكَبِرَتْ مَعَهُ وَمَعَ بَنِيهِ جَمِيعًا. تَأْكُلُ مِنْ لُقْمَتِهِ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِي حِضْنِهِ، وَكَانَتْ لَهُ كَٱبْنَةٍ. فَجَاءَ ضَيْفٌ إِلَى ٱلرَّجُلِ ٱلْغَنِيِّ، فَعَفَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيُهَيِّئَ لِلضَّيْفِ ٱلَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ نَعْجَةَ ٱلرَّجُلِ ٱلْفَقِيرِ وَهَيَّأَ لِلرَّجُلِ ٱلَّذِي جَاءَ إِلَيْهِ». فَحَمِيَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى ٱلرَّجُلِ جِدًّا، وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَيٌّ هُوَ ٱلرَّبُّ، إِنَّهُ يُقْتَلُ ٱلرَّجُلُ ٱلْفَاعِلُ ذٰلِكَ، وَيَرُدُّ ٱلنَّعْجَةَ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لِأَنَّهُ فَعَلَ هٰذَا ٱلْأَمْرَ وَلِأَنَّهُ لَمْ يُشْفِقْ». فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «أَنْتَ هُوَ ٱلرَّجُلُ! هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ، وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا. وَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ قَلِيلًا، كُنْتُ أَزِيدُ لَكَ كَذَا وَكَذَا. لِمَاذَا ٱحْتَقَرْتَ كَلَامَ ٱلرَّبِّ لِتَعْمَلَ ٱلشَّرَّ فِي عَيْنَيْهِ؟ قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا ٱلْحِثِّيَّ بِٱلسَّيْفِ، وَأَخَذْتَ ٱمْرَأَتَهُ لَكَ ٱمْرَأَةً، وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ

بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ. وَٱلْآنَ لَا يُفَارِقُ ٱلسَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى ٱلْأَبَدِ، لِأَنَّكَ ٱحْتَقَرْتَنِي وَأَخَذْتَ ٱمْرَأَةَ أُورِيَّا ٱلْحِثِّيِّ لِتَكُونَ لَكَ ٱمْرَأَةً. هٰكَذَا قَالَ ٱلرَّبُّ: هٰأَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ ٱلشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هٰذِهِ ٱلشَّمْسِ. لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِٱلسِّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ ٱلشَّمْسِ». فَقَالَ دَاوُدُ لِنَاثَانَ: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى ٱلرَّبِّ». فَقَالَ نَاثَانُ لِدَاوُدَ: «ٱلرَّبُّ أَيْضًا قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيَّتَكَ. لَا تَمُوتُ. غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ أَعْدَاءَ ٱلرَّبِّ يَشْمَتُونَ، فَٱلِابْنُ ٱلْمَوْلُودُ لَكَ يَمُوتُ». وَذَهَبَ نَاثَانُ إِلَى بَيْتِهِ. وَضَرَبَ ٱلرَّبُّ ٱلْوَلَدَ ٱلَّذِي وَلَدَتْهُ ٱمْرَأَةُ أُورِيَّا لِدَاوُدَ فَثَقِلَ.»

أما في القرآن فالقصة كالآتي: سورة ص ٣٨: ٢١- ٢٤
﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ. إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾

هذا يشتمل على أخطاء شتى، منها قوله إن الخصم تسوّروا المحراب ودخلوا على داود، ومنها أنهم استفتوه في مسألة مُبهمة. ومن اطّلع على ما ورد في التوراة في هذه القضية ظهرت له الأخطاء.

وهذه القصة هي أكثر القصص التي أصابتني بالصداع،

لأنك ترى فيها جميع المفسرين قد أسهبوا وأطنبوا وراوغوا في اختلاق أساطير وقصص وهمية حول الحادث! فأقل تفسير لهذه الآيات يقع في أربع صفحات من الحجم الكبير على الأقل في لفٍّ ودوران وأحيانًا كثيرة يشرد المفسّر عن القصة الرئيسية ويدخل في قصص فرعية لتضليل القارئ!

داود وسليمان والغنم

جاء في (٢صموئيل ١٥: ١ - ٦) «وَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ أَبْشَالُومَ ٱتَّخَذَ مَرْكَبَةً وَخَيْلًا وَخَمْسِينَ رَجُلًا يَجْرُونَ قُدَّامَهُ. وَكَانَ أَبْشَالُومُ يُبَكِّرُ وَيَقِفُ بِجَانِبِ طَرِيقِ ٱلْبَابِ، وَكُلُّ صَاحِبِ دَعْوَى آتٍ إِلَى ٱلْمَلِكِ لِأَجْلِ ٱلْحُكْمِ، كَانَ أَبْشَالُومُ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «مِنْ أَيَّةِ مَدِينَةٍ أَنْتَ؟» فَيَقُولُ: «مِنْ أَحَدِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ عَبْدُكَ». فَيَقُولُ أَبْشَالُومُ لَهُ: «ٱنْظُرْ. أُمُورُكَ صَالِحَةٌ وَمُسْتَقِيمَةٌ، وَلٰكِنْ لَيْسَ مَنْ يَسْمَعُ لَكَ مِنْ قِبَلِ ٱلْمَلِكِ». ثُمَّ يَقُولُ أَبْشَالُومُ: «مَنْ يَجْعَلُنِي قَاضِيًا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَأْتِيَ إِلَيَّ كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ خُصُومَةٌ وَدَعْوَى فَأُنْصِفَهُ؟». وَكَانَ إِذَا تَقَدَّمَ أَحَدٌ لِيَسْجُدَ لَهُ، يَمُدُّ يَدَهُ وَيُمْسِكُهُ وَيُقَبِّلُهُ. وَكَانَ أَبْشَالُومُ يَفْعَلُ مِثْلَ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ لِأَجْلِ ٱلْحُكْمِ إِلَى ٱلْمَلِكِ، فَٱسْتَرَقَّ أَبْشَالُومُ قُلُوبَ رِجَالِ إِسْرَائِيلَ».

خلاصة القصة أنَّ أبشالوم لما دبَّر للانقلاب الفاشل ضد والده، كان يستميل رجال بني إسرائيل، ويقول: من يجعلني قاضيًا في الأرض، لأُنصف المظلوم؟ وكان يقبّل ويكرم طرفي النزاع. فاستمال الأفئدة، وثار على والده.

أما القرآن فيروي القصة في سورة (الأنبياء ٢١) على النحو

التالي:

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (آيتا ٧٨ ، ٧٩).

قال ابن عباس وغيره إنَّ رجلين دخلا على داود، أحدُهما صاحب زرع، والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن غنم هذا دخلت زرعي ليلًا فوقعَتْ فيه فأفسدَتْه فلم تُبقِ منه شيئًا. فأعطاه رقاب الغنم بالزرع. فخرجا، فمرّا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما؟ فأخبراه. فقال سليمان: لو رأيتُ أمركما لقضيتُ بغير هذا. ويُروى أنه قال: غير هذا أرفق بالفريقين. فأُخبر بذلك داود فدعا سليمان واستفهم منه عن الأرفق بالفريقين، قال: أدفع الغنم للمزارع ينتفع بدرّها ونسلها وصوفها ومنافعها، ويزرع صاحب الغنم لصاحب الأرض مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أُكل دُفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت. وكان عُمْر سليمان يوم حكم إحدى عشرة سنة.

ولا يعقل أنَّ سليمانًا كان يتعقب أحكام والده، ووالده من الرجال المدرَّبين. هذا فضلًا عمّا خصّه الله به من الوحي الإلهي. وكيف يعجز عن الحكم في هذه القضية ويرضى بتغير الحكم أمام رعيته؟ ولكن هذا خَلْطُ أبشالوم بسليمان كما جاء في ٢ صموئيل ١٥: ١ - ٦

وقال القرآن إن الجبال تسبّح مع داود! فقال ابن عباس:

كان يفهم تسبيح الحجر والشجر. وقيل: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. ولم نقرأ في العهد القديم شئ مثل تسبيح الجبال والطير!

سفر ملوك الأول

قصة سليمان

وردت قصة النبي سليمان في سفر الملوك الأول الأصحاحات ١ - ١٢، وكذلك سفر أخبار الأيام الأول. نقرأ فيها عن حكمة وقوَّة ومجد سليمان، ولا نجد أبدًا أحاديث عن الطيور أو تسخير الجن والعفاريت والرياح. بينما أسهب القرآن وأطنب في هذه الحكايات التي لا أصل كتابي لها وإنما مصدرها كتاب «ألف ليلة وليلة».

١ـ الريح والشياطين وسليمان

﴿وَلِسُلَيْمَانَ (سخَّرنا) ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ (الأنبياء ٢١: ٨١، ٨٢). وفي (سبأ ٣٤: ١٢) ﴿وَلِسُلَيْمَانَ (سخّرنا).ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَاله عَيْنَ ٱلقِطْرِ﴾. وفي (سورة صَ ٣٨: ٣٦) ﴿فَسَخَّرْنَا لهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب﴾

قالوا: يعني إنَّ الله سخَّر الريح تجري بأمره، وكانت الشياطين يدخلون تحت الماء فيُخرِجون له من قعر البحر الجواهر، ويعملون عملًا دون ذلك، أي دون الغواص، وهو اختراع الصنائع العجيبة. وكان الله يحفظ العمل لئلا يفسده الشياطين، الذين دأبهم إفساد ما يعملون!

قال البيضاوي في تفسير سورة الأنبياء ٢١: ٨١ الريح عاصفة - شديدة الهبوب من حيث أنَّها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة. وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته. إلى الأرض التي باركنا فيها - إلى الشام رواحًا بعدما سارت به منه بكرة.

ولا يخفى أنَّ الشياطين أرواحٌ شريرة لا شغل لها سوى إغراء الناس على اقتراف كل منكر. ولا نتصور أنهم يخترعون ما ينفع الإنسان. ومن الخطأ قوله إنَّ الله سخَّر الريح لسليمان، وإنَّها تجري بأمره، كأن الله أشرك سليمان في مُلكه، وهو لا يليق بحكمته وقدرته!

ما الفائدة من تسخير الريح لسليمان فتحمل عرشه متى شاء إلى أين شاء، وتشتد إذا رغب وتلين إذا رغب؟ وما هو الهدف من كل هذا؟ ماذا عاد على بني إسرائيل أو على مملكة الله من كل هذا؟

سليمان والخيل

في سفر ١ملوك ٣: ١ – ١٥ «وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ ٱلرَّبِّ وَسُورِ أُورُشَلِيمَ حَوَالَيْهَا. إِلَّا أَنَّ ٱلشَّعْبَ كَانُوا يَذْبَحُونَ فِي ٱلْمُرْتَفَعَاتِ، لِأَنَّهُ لَمْ يُبْنَ بَيْتٌ لِٱسْمِ ٱلرَّبِّ إِلَى تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ. وَأَحَبَّ سُلَيْمَانُ ٱلرَّبَّ سَائِرًا فِي فَرَائِضِ دَاوُدَ أَبِيهِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَذْبَحُ وَيُوقِدُ فِي ٱلْمُرْتَفَعَاتِ. وَذَهَبَ ٱلْمَلِكُ إِلَى جِبْعُونَ لِيَذْبَحَ هُنَاكَ، لِأَنَّهَا هِيَ ٱلْمُرْتَفَعَةُ ٱلْعُظْمَى، وَأَصْعَدَ سُلَيْمَانُ أَلْفَ مُحْرَقَةٍ عَلَى ذلِكَ ٱلْمَذْبَحِ.

فِي جِبْعُونَ تَرَاءَى ٱلرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ فِي حُلْمٍ لَيْلًا، وَقَالَ ٱللهُ: «ٱسْأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ». فَقَالَ سُلَيْمَانُ: «إِنَّكَ قَدْ فَعَلْتَ مَعَ عَبْدِكَ دَاوُدَ أَبِي رَحْمَةً عَظِيمَةً حَسْبَمَا سَارَ أَمَامَكَ بِأَمَانَةٍ وَبِرّ وَٱسْتِقَامَةِ قَلْبٍ مَعَكَ، فَحَفِظْتَ لَهُ هٰذِهِ ٱلرَّحْمَةَ ٱلْعَظِيمَةَ وَأَعْطَيْتَهُ ٱبْنًا يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّهِ كَهٰذَا ٱلْيَوْمِ. وَٱلْآنَ أَيُّهَا ٱلرَّبُّ إِلٰهِي، أَنْتَ مَلَّكْتَ عَبْدَكَ مَكَانَ دَاوُدَ أَبِي، وَأَنَا فَتىً صَغِيرٌ لَا أَعْلَمُ ٱلْخُرُوجَ وَٱلدُّخُولَ. وَعَبْدُكَ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ ٱلَّذِي ٱخْتَرْتَهُ، شَعْبٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَلَا يُعَدُّ مِنَ ٱلْكَثْرَةِ. فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْبًا فَهِيمًا لِأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ، لِأَنَّهُ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ ٱلْعَظِيمِ هٰذَا؟» فَحَسُنَ ٱلْكَلَامُ فِي عَيْنَيِ ٱلرَّبِّ، لِأَنَّ سُلَيْمَانَ سَأَلَ هٰذَا ٱلأَمْرَ. فَقَالَ لَهُ ٱللهُ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ سَأَلْتَ هٰذَا ٱلأَمْرَ، وَلَمْ تَسْأَلْ لِنَفْسِكَ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلَا سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ غِنىً وَلَا سَأَلْتَ أَنْفُسَ أَعْدَائِكَ، بَلْ سَأَلْتَ لِنَفْسِكَ تَمْيِيزًا لِتَفْهَمَ ٱلْحُكْمَ، هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلَامِكَ. هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلَا يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ. وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ أَيْضًا مَا لَمْ تَسْأَلْهُ، غِنىً وَكَرَامَةً حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلَكَ فِي ٱلْمُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ. فَإِنْ سَلَكْتَ فِي طَرِيقِي وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَوَصَايَايَ، كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ، فَإِنِّي أُطِيلُ أَيَّامَكَ». فَٱسْتَيْقَظَ سُلَيْمَانُ وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ. وَجَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَقَفَ أَمَامَ تَابُوتِ عَهْدِ ٱلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَقَرَّبَ ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ، وَعَمِلَ وَلِيمَةً لِكُلِّ عَبِيدِهِ.»

هذه قصة طلب النبي سليمان الحكمة من الله. والآن دعونا نلقي نظرة على ما ورد بشأنها في القرآن وخيالات مفسّريهم حول هذه الحكاية.

جاء في سورة ص ٣٨: ٣٤ - ٣٨ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ. قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّابُ. فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾.

قوله: ولقد فتنا سليمان أي: ابتليناه واختبرناه. قال الواحدي: قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان امرأة من بنات الملوك، فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان، فامتحن بسبب غفلته عن ذلك.

وقيل: إن سبب الفتنة أنَّه تزوج سليمان امرأة يقال لها «جرادة» وكان يحبها حبًّا شديدًا، فاختصم إليه فريقان: أحدهما من أهل جرادة، فأحب أن يكون القضاء لهم، ثم قضى بينهم بالحق.

وقيل: إنَّ السبب أنَّه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد.

وقيل: إنَّه تزوج جرادة هذه وهي مشركة، لأنه عرض عليها الإسلام فقالت: «اقتلني ولا أسلم!»

وقال كعب الأحبار: إنَّه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه. وقال الحسن: إنَّه قارب بعض نسائه في شيء من حيض أو غيره. وقيل: إنَّه أمر أن لا يتزوج امرأة إلَّا من بني إسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم

وقيل: إنَّ سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح أنَّه قال:

لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله. وقيل: غير ذلك.

ثم بيَّن -سبحانه- ما عاقبه به فقال: وألقينا على كرسيه جسدا انتصاب (جسدًا) على أنَّه مفعول «ألقينا»، وقيل: انتصابه على الحال على تأويله بالمشتق أي: ضعيفًا أو فارغًا، والأول أولى.

قال أكثر المفسرين: هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسي سليمان هو شيطان اسمه صخر، وكان متمردًا عليه غير داخل في طاعته، ألقى الله شبه سليمان عليه وما زال يحتال حتى ظفر بخاتم سليمان، وذلك عند دخول سليمان الكنيف، لأنه كان يلقيه إذا دخل الكنيف، فجاء صخر في صورةسليمان فأخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان، فقعد على سرير سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان هارب.

وقال مجاهد: إن شيطانًا قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه نبذه في البحر، فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن، وكان سليمان يستطعم فيقول: أتعرفونني أطعموني؟ فيكذبوه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشقَّ بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه، وهو معنى قوله: ثم أناب أي: رجع إلى ملكه بعد أربعين يومًا. وقيل: معنى أناب: رجع إلى الله بالتوبة من ذنبه، وهذا هو الصواب.[٣٧]

يصعب على العقل وإن كان مختلًّا أن يصدِّق تلك الأساطير التي نقلتها من تفسير «فتح البيات» وهذه القصص مكررة في

٣٧ تفسير فتح البيان

معظم التفاسير!

الصافن من الخيل هو الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل، وهو مِن الصفات المحمودة في الخيل. يعني أن سليمان استعرض الخيل حتى غربت الشمس، وغفل عن صلاة العصر، يمسح يده بأعناقها وسوقها حبًا فيها، وإنَّه قال لأطوفنّ على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس، ولم يقل إن شاء الله. فطاف عليهنّ فلم تحمل إلَّا امرأةٌ جاءت بشق رجل. قال محمد: فوالذي نفس محمد بيده، لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانًا. وقيل: وُلد له ابن فأجمعت الشياطين على قتله، فكان يغدوه في السحاب، فما شعر به إلَّا أنه أُلقي على كرسيه ميتًا، فتنبَّه على خطيئته بأنه لم يتوكّل على الله. وقيل غير ذلك.[٣٨]

ولم يرد في التوراة أن الخيل أشغلت سليمان عن ذكر ربِّه، ولا أن امرأته جاءت بشق رجل، أو أنه رُزق بولد أماتته الشياطين.

ميراث سليمان

في سفر ١ملوك ٤: ٢٩، ٣٠ أنَّ الله أعطى سليمان الحكمة لأنه طلبها أولًا «وَأَعْطَى ٱللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا، وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَٱلرَّمْلِ ٱلَّذِي عَلَى شَاطِئِ ٱلْبَحْرِ. وَفَاقَتْ حِكْمَةُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةَ جَمِيعِ بَنِي ٱلْمَشْرِقِ وَكُلَّ حِكْمَةِ مِصْرَ. وَكَانَ أَحْكَمَ مِنْ جَمِيعِ ٱلنَّاسِ ... وَكَانَ صِيتُهُ فِي جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ حَوَالَيْهِ»

ولم يجئ في الكتاب المقدَّس أن سليمان كان يعلم لغة الطيور والحيوانات كما جاء في سورة النمل ٢٧ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ

٣٨ طبقات ابن سعد ج ٨، باب تفسير الآيات لبتي في ذكر أزواج النبي

يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ. وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّالِحِينَ﴾ (آيات ١٦ - ١٩).

قال المفسرون: صاح ورشان عند سليمان، فسأل سليمان: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا. قال: إنَّه يقول: ليت الخلق لم يُخلقوا. وصاح طاووس، فسأل: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنَّه يقول كما تدين تُدان. وصاح هُدْهُدٌ فسأل: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: لا. قال: إنَّه يقول استغفروا ربكم يا مذنبون. وصاح طيطوي فسأل: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنَّه يقول كل حيّ ميت وكل جديد بالٍ. وصاح خطاف فسأل: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: إنَّها تقول سبحان ربي الدائم. (اختصرنا العبارات فيما يأتي) قال والغراب يدعو على العشار، والحدأة تقول: كل شيء هالكٌ إلَّا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم. والببغاء تقول: ويل لمن كانت الدنيا همَّه. والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس. والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده. والضفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان.

وعن مكحول قال: صاح دراج عند سليمان، فسأل: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا. قال: إنَّه يقول الرحمن على العرش استوى.

(١) لقد خصّ الله الإنسان فقط بالنطق والعقل والبيان، وعليه

يكون سليمان كذب على الناس والطيور، أو يكون ما نُسب إليه هو الكذب.

(٢) هل كانت الطيور والحشرات في عصره تعقل وتدرك، ثم جرّدها الله من العقل الآن؟ إن الذي نَسَب إليها الإدراك هو الذي غلط.

(٣) لم يكن لسليمان جنود من الجنّ، بل كانت جنوده من بني إسرائيل فقط.

تطهير القلب

تقول التوراة في سفر الملوك الأول ٨: ٦١ أن تطهير القلب يكون بالاقتراب إلى الله وتنقية القلب من فعل الإثم وحفظ وصاياه «فَلِيَكُنْ قَلْبُكُمْ كَامِلًا لَدَى ٱلرَّبِّ إِلٰهِنَا إِذْ تَسِيرُونَ فِي فَرَائِضِهِ وَتَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ كَهٰذَا ٱلْيَوْمِ.» وكذلك في رسالة يعقوب ٤: ٨ «اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ»

أما القرآن فيقول في قصة الإسراء والمعراج «سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى» (الإسراء ١٧: ١).

ولهم روايات شتى في هذه الحادثة كالآتي:

عن قتادة، عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه، أنَّ نبي الله حدثهم عن ليلة أُسْرِي به: «بينما أنا في الحطيم- وربما قال في الحجر- مضطجعًا إذ أتاني آت، فشقَّ ما بين هذه إلى

هذه -يعني من ثغرة نحره إلى شعرته- فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيمانًا، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد. وفي رواية: «ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ إيمانًا وحكمة لله ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض يقال له: «البُراق»، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به، فنعم المجيء جاء، ففتح فلما خلصت، فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم، فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية، فاستفتح: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا له، فنعم المجيء جاء، ففتح. فلما خلصت إذا يحي وعيسى وهما ابنا خالة قال: هذا يحي وهذا عيسى فسلّم عليهما، فسلَّمت فردَّا، ثم قالا: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما دخلت إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ. ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما خلصت فإذا إدريس، فقال: هذا إدريس، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح،

قيل: من هذا؟ قال: جبرئيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففتح، فلما دخلت، فإذا هارون. قال: هذا هارون فسلّم عليه، فسلمت عليه، فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبرئيل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردّ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزت بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلامًا بُعث بعدي يدخل الجنة من أمَّته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرئيل، قيل: من هذا؟ قال: جبرئيل. قيل: ومن معك؟ قال :محمد. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه، فسلَّمت عليه، فردّ السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذا سدرة المنتهى، فإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرة أنت عليها وأمتك، ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كلِ يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أُمِرت؟ قلت: أُمِرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إنَّ أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل

أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرًا. فأُمِرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بما أُمِرت؟ قلت: أُمِرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إنَّ أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنّي قد جرَّبت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم. قال: فلما جاوزت، نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي». متفق عليه!

تعليقنا على قصة الإسراء:

«سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى».

اختلف المفسرون فيما يتعلق بالإسراء فقالوا إنَّه كان من الكعبة أو من الحِجْر، أو من بيت أم هانئ.

وقال محمد: بينما كنت نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العِشاء، أُسري بي. فارتدّ كثير من قريش ورأوا أن هذا من أضغاث الأحلام، أو الأوهام. ومن أقواله في الحديث إنَّ الصلاة كانت خمسين، فتوسّط لدى الله وجعلها خمسة وقت الإسراء.

وقد أورد الرازي عدة شُبُهَات حول أحاديث الإسراء والمعراج:

١ - الحركة البالغة في السرعة إلى هذا الحدّ غير معقولة. وصعود الجرم الثقيل إلى السموات غير معقول. وصعوده إلى السموات يوجب انخراق الأفلاك، وذلك محال.

٢ - هذا المعنى لو صحّ لكان أعظم من سائر المعجزات. وكان يجب أن يظهر ذلك عند اجتماع الناس حتى يستدلّوا به على صدقه في ادّعاء النبوّة. فأما أن يحصل ذلك في وقت لا يراه أحد ولا يشاهده أحد، فإنه يكون عبثًا، وذلك لا يليق بالحكيم.

٣ - تمسّكوا بقوله ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلَّا فِتْنةً للناس﴾ (الإسراء ٦٠). وما تلك الرؤيا إلَّا حديث المعراج، وإنما كان فتنة للناس لأن كثيرًا ممن تبع محمدًا لما سمع هذا الكلام كذَّبه وكفر به، فكان حديث المعراج سببًا لفتنة الناس، فثبت أن ذلك رؤيا رآها في المنام.

٤ - اشتمل حديث المعراج على أشياء بعيدة منها ما روي من شق بطنه وتطهيره بماء زمزم وهو بعيد، لأن الذي يمكن غسله بالماء هو النجاسات العينية، ولا تأثير لذلك في تطهير القلب من العقائد الباطلة والأخلاق المذمومة. ومنها ما روي من ركوب البُراق وهو بعيد، لأن الله لما سيّره من هذا العالم إلى عالم الأفلاك، فأيّ حاجةٍ إلى البراق! ومنها ما رُوي أنه تعالى أوجب خمسين صلاة ثم إنَّ محمدًا لم يزل يتردد بين الله وبين موسى إلى أن أعاد الخمسين إلى خمس بسبب شفقة موسى. قال القاضي: وهذا يقتضي نسخ الحكم قبل حضوره، وإنه يوجب البداء وذلك على الله محال، فثبت أن ذلك الحديث مشتمل على ما لا يجوز قبوله، فكان مردودًا.

وبالإضافة إلى كل ما قاله المفسرون عن هذه القصة، فهي باطلة من أصلها لأن بيت المقدس (هيكل سليمان أو المسجد الأقصى) كان قد هُدم عام ٧٠م ولم يُبْنَ إلّا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، بعد محمد بنحو مئة عام. فبعد أن بدأت دولة الأمويين بحكم معاوية، آلت الخلافة لعبد الملك بن مروان عام ٦٥ هـ (٦٨٤م) فنالت مدينة القدس عنايةً كبرى في عهده. وبعد أن زارها بعث إلى وُلاته في أرجاء العالم الإسلامي يقول إن الله وجَّهه لبناء قبَّة الصخرة والمسجد الأقصى، وأنه لا يريد أن ينفذ هذا الأمر إلّا إذا إمرته الرعية. فجاءته الرسائل من أنحاء العالم الإسلامي تحبِّذ الأمر، وتقول إن عليه أن يمضي في ما عزم عليه. ويقول كتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» لمؤلفه قاضي القضاء مجيد السيد الحنبلي (وقد كتبه سنة ٩٠٠هـ) إن عبد الملك بن مروان جدَّ في بناء القبة والمسجد الأقصى ليصرف الناس عن الحج إلى مكة وقت سيطرة عبد الله بن الزبير على الحجاز.

وجمع عبد الملك بن مروان أمهر رجال الهندسة والبناء والزخرفة فأقاموا نموذجًا لقبة الصخرة عُرض على الخليفة، فشاور أعوانه وأقرّوه وتمّ تنفيذه.

وقصة المعراج هذه أُخذت من كتب الفرس ومن خرافاتهم القديمة، فإنها مذكورة في كتبهم ٤٠٠ سنة قبل الهجرة في كتاب يسمى «ارتيوراف نامك» (معراج).

الهدهد وملكة سبأ

جاءت قصة زيارة ملكة سبأ في (١ملوك ١٠: ١ - ١٣)

«وَسَمِعَتْ مَلِكَةُ سَبَا بِخَبَرِ سُلَيْمَانَ لِمَجْدِ ٱلرَّبِّ، فَأَتَتْ لِتَمْتَحِنَهُ بِمَسَائِلَ. فَأَتَتْ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَوْكِبٍ عَظِيمٍ جِدًّا، بِجِمَالٍ حَامِلَةٍ أَطْيَابًا وَذَهَبًا كَثِيرًا جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. وَأَتَتْ إِلَى سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَتْهُ بِكُلِّ مَا كَانَ بِقَلْبِهَا. فَأَخْبَرَهَا سُلَيْمَانُ بِكُلِّ كَلَامِهَا. لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مَخْفِيًّا عَنِ ٱلْمَلِكِ لَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ. فَلَمَّا رَأَتْ مَلِكَةُ سَبَا كُلَّ حِكْمَةِ سُلَيْمَانَ، وَٱلْبَيْتَ ٱلَّذِي بَنَاهُ، وَطَعَامَ مَائِدَتِهِ، وَمَجْلِسَ عَبِيدِهِ، وَمَوْقِفَ خُدَّامِهِ وَمَلَابِسَهُمْ، وَسُقَاتَهُ، وَمُحْرَقَاتِهِ ٱلَّتِي كَانَ يُصْعِدُهَا فِي بَيْتِ ٱلرَّبِّ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا رُوحٌ بَعْدُ. فَقَالَتْ لِلْمَلِكِ: «صَحِيحًا كَانَ ٱلْخَبَرُ ٱلَّذِي سَمِعْتُهُ فِي أَرْضِي عَنْ أُمُورِكَ وَعَنْ حِكْمَتِكَ. وَلَمْ أُصَدِّقِ ٱلْأَخْبَارَ حَتَّى جِئْتُ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ، فَهُوَذَا ٱلنِّصْفُ لَمْ أُخْبَرْ بِهِ. زِدْتَ حِكْمَةً وَصَلَاحًا عَلَى ٱلْخَبَرِ ٱلَّذِي سَمِعْتُهُ. طُوبَى لِرِجَالِكَ وَطُوبَى لِعَبِيدِكَ هٰؤُلَاءِ ٱلْوَاقِفِينَ أَمَامَكَ دَائِمًا ٱلسَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ. لِيَكُنْ مُبَارَكًا ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ ٱلَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّ ٱلرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلْأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا». وَأَعْطَتِ ٱلْمَلِكَ مِئَةً وَعِشْرِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ وَأَطْيَابًا كَثِيرَةً جِدًّا وَحِجَارَةً كَرِيمَةً. لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِثْلُ ذٰلِكَ ٱلطِّيبِ فِي ٱلْكَثْرَةِ، ٱلَّذِي أَعْطَتْهُ مَلِكَةُ سَبَا لِلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. وَكَذَا سُفُنُ حِيرَامَ ٱلَّتِي حَمَلَتْ ذَهَبًا مِنْ أُوفِيرَ، أَتَتْ مِنْ أُوفِيرَ بِخَشَبِ ٱلصَّنْدَلِ كَثِيرًا جِدًّا وَبِحِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ. فَعَمِلَ سُلَيْمَانُ خَشَبَ ٱلصَّنْدَلِ دَرَابَزِينًا لِبَيْتِ ٱلرَّبِّ وَبَيْتِ ٱلْمَلِكِ، وَأَعْوَادًا وَرَبَابًا لِلْمُغَنِّينَ. لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يُرَ مِثْلُ خَشَبِ ٱلصَّنْدَلِ ذٰلِكَ إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ. وَأَعْطَى ٱلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ لِمَلِكَةِ سَبَا كُلَّ مُشْتَهَاهَا ٱلَّذِي طَلَبَتْ، عَدَا مَا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ حَسَبَ كَرَمِ ٱلْمَلِكِ سُلَيْمَانَ. فَٱنْصَرَفَتْ وَذَهَبَتْ إِلَى أَرْضِهَا هِيَ وَعَبِيدُهَا»

بينما القرآنُ ذكر أن سليمانَ أرسل جوابًا على يد الهدهد يدعو الملكة وقومَها إلى الإيمان، وأنها استشارت قومها فسلَّموا لها الأمر، فأرسلت هديةً، ثم أمر سليمانُ عفريتًا من الجن يأتي بعرشها قبل أن تصل إليه، فأتاه به. ثم أتت إليه فأراها إياه فأسلمت (آيات ٢٠-٤٥).

﴿وَتَفقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ. لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٠ - ٢٤).

وحقيقة هذه الحادثة هي ما ورد في (١ملوك ١٠ : ١٣-١) أنَّ ملكة سبأ سمعت بعظمة سليمان ونعمة الله عليه، فأتت بموكبٍ عظيم إلى أورشليم بهدايا عظيمة أهدتها لسليمان وامتحنته بمسائل، فاندهشت من حكمته ومن نظامه، وترتيب مأكله ومشربه، وحسدت رجاله على سماع حكمته كل ساعة. وقالت: لم أصدِّق ما بلغني إلَّا بعد أن شاهدت بعيني، ولم يبلغني نصف ما رأيت. وأهداها الملك سليمان هدايا جمّة فانصرفت إلى وطنها. فلا أرسل سليمان عفريتًا من الجن سرق عرشها، ولا أتاه هدهدٌ بأخبارها ويبدو أن ذلك الهدهد أعلم من سليمان!

سفرا أخبار الأيام

آيات شيطانية

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٥ - ١٦ «فَأَرْسَلَ ٱلرَّبُّ إِلٰهُ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلًا لِأَنَّهُ شَفِقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ ٱللهِ، وَرَذَلُوا كَلَامَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ حَتَّى ثَارَ غَضَبُ ٱلرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَكُنْ شِفَاءٌ.»

وفي سفر عاموس ٣: ٧ «إِنَّ ٱلسَّيِّدَ ٱلرَّبَّ لَا يَصْنَعُ أَمْرًا إِلَّا وَهُوَ يُعْلِنُ سِرَّهُ لِعَبِيدِهِ ٱلْأَنْبِيَاءِ»

ومن هنا نعلم أنَّ لا سبيل للشيطان إلى التلاعب بكلام الله، كذلك أنبياء الله الأطهار كانوا يقومون بواجبهم في تبليغ الرسالة دون تلاعب منهم لأن الله الذي أرسلهم هو خير حافظ.

أما في القرآن فالأمر ليس كذلك! والدليل هذه الحادثة المشينة والشهيرة في كتب التاريخ والأحاديث والتفاسير:

١- جاء في كتاب «الملل والنحل والأهواء»[٣٩] «قدم نفر من مهاجري الحبشة حين قرأ عليه السلام (سورة النجم ٥٣ الآية ٢،١٩) «وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (حتى بلغ) أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ» (ألقى الشيطان في أمنيته (تلاوته) تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لتُرتجى). فلما ختم السورة سجد ﷺ وسجد معه المشركون، لتوهُّم أنه ذكر آلهتهم بخير. وفشى

٣٩ كتاب «الملل والنحل والأهواء» للشهرستاني ص ١٩

ذلك بين الناس وأظهره الشيطان، حتى بلغ أرض الحبشة ومن بها من المسلمين مثل عثمان وأصحابه، وتحدَّثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلُّوا معهﷺوقد آمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعًا من الحبشة».

٢- ومن تفسير هذه الآية في الفخر الرازي: «من المسائل في تفسير هذه الآية أن رسول الله لما رأى إعراض قومه عنه، شقَّ عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به، فتمنَّى أن يأتيه الله بشيء ما يقارب بينه وبينهم لحرصه على إيمانهم. فجلس ذات مرة في ناد من أندية قريش، وجلس معه كثيرون من أبناء قريش، وأحبّ يومئذ ألَّا يأتيه من الله شيء ينفر منه، وتمنى ذلك فأنزل تعالى (سورة النجم ٥٣: ١ - ٧) ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فقرأها (حتى بلغ) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ ألقى الشيطان على لسانه «تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى». فلما سمعت قريش فرحوا، ومضى رسول الله في قراءته فقرأ السورة كلها، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون، وتفرَّقت قريش وقد سرَّهم ما سمعوه، وقالوا: «قد ذكر محمد آلهتا بأحسن الذِّكْر». فلما أمسى الرسول أتاه جبريل فقال :«ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتيك به من عند الله»، فحزن الرسول حزنًا شديدًا وخاف من الله خوفًا عظيماً حتى نزل قوله تعالى في (سورة الحج ٢٢: ٥٢) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ﴾[٤٠]. وقد ذكرها ابن هشام البيضاوي والجلالان.

---

٤٠ «الفخر الرازي» ج ٦ ص ٢٤٤-٢٤٩

هذه رواية عامة المفسِّرين الظاهرين، أما البعض فقد قالوا: «هذه الرواية باطلة وملفَّقة»، واحتجوا على ذلك بالمعقول والمول. أما من المنقول فهو القرآن والسُّنَّة:

١- فالقرآن ينفي ذلك بقوله في (سورة النجم ٥٣ :٣،٤) «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىَ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىَ»

٢- والسُّنَّة تنفي ذلك بكلام لا حاجة إلى ذِكره، لأنه غير مبنى على حقائق بل مبني على آراء، إذ يقولون لا يمكن أن نبي الله الأعظم ورسوله الأكرم يفعل مثل هذه الأشياء. أما المعقول فهو:

(أ) – إذا جاز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان.

(ب)- لو جوَّزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه. وقد فسَّر أهل التحقيق (الأمنية) إما القراءة أو الخاطر.

اعتراضات أهل التحقيق والرد عليها

الاعتراض الأول:

إنَّ النبي لم يتكلَّم بهذا القول «تلك الغرانيق»، ولا الشيطان تكلم بها ولا أحد، بل كل ما في الأمر أنه لما قرأ سورة النجم اشتبه الأمر على الكفَّار، فحسبوا بعض ألفاظه ما رواه من قولهم، وذلك حسب ما جرت العادة بهم من توهُّم بعض الكلمات على غير ما يُقال؟

الرد على الاعتراض الأول:

١- إن التوهُّم في مثل هذه الأمور يصحُّ على الأشياء التي جرت العادة بسماعها، أما غير المسموع فلا يقع عليه ذلك، لأنه جديد لم يسمعوه من قبل.

٢- إنه لو كان الأمر كذلك لوقع الأمر لبعض السامعين دون البعض، فإنه من المستحيل أن يحدث التوهُّم للجميع لنفس الكلام وفي نفس الموضع من السورة!

٣- لو كان الأمر كذلك، فلماذا نسبوه إلى الشيطان حسب الآية في (سورة الحج ٢٢ : ٥٢).

الاعتراض الثاني:

إن ذلك الكلام هو كلام شيطان الجن، وذلك بأن تلفَّظ بكلام من تلقاء نفسه وأوقعه في درج التلاوة، ليُظَن أنه من درج الكلام المسموع من الرسول، والذي يؤكد ذلك هو أن الجن والشياطين يتكلَّمون، فلا يُمتنع أن يأتي الشيطان بصوت مثل صوت رسول الله، والدليل على ذلك أن القوم الذين سمعوه لم يروا شخصًا آخر فظنوا أن هذه الكلمات من فم الرسول.

الرد على الاعتراض الثاني

إنَّنا إذا اقتنعت بهذا الرأي، وقلنا: «إنَّه من الممكن أن يتكلَّم الشيطان في أثناء كلام الرسول بما يشتبه على السامعين كونه كلام الرسول»، بقى هذا الاحتمال في كل ما يتكلَّم به الرسول، فينتج من ذلك رفع الثقة عن القرآن كله.

الاعتراض الثالث

قالوا إن رسول الله قال هذه الجملة «تلك الغرانيق» سهوًا كما يُرْوَى عن قتادة ومقاتل -من أصحاب محمد- أنهما قالا: «إنه كان يصلى عند المقام، فنعس وجرت على لسانه هذه الكلمات «تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى»، فلما فرغ من السورة، سجد وسجد كل من في المسجد، وفرح المشركون بما سمعوه. فأتاهُ جبريل فاستقراءهُ السورة، فلما انتهى من أفرأيتم آللات والعزى ومناة الثالثة الأُخرى تلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى، قال جبريل لم آتيك، بهذا فحزن الرسول إلى أن نزلت سورة الحج ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ﴾ (الحج ٢٢: ٥٢)

الرد على الاعتراض الثالث:

١- لو جاز على النبي السهو هنا، لجاز أيضًا في سائر المواضع وحينئذ تزول الثقة عن القرآن كله.

٢- إن الساهي لا يجوز أن تقع منه هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقتها ومعناها.

٣- افترض أنَّه تكلم بذلك سهوًا، فلماذا لم ينتبه إلى ذلك حين قرأ السورة مع جبريل؟! فهل يقع السهو عليه مرتين ويكرر نفس الألفاظ في نفس موضعها؟

الاعتراض الرابع:

إن الرسول تكلَّم بهذه الكلمات مجبرًا «أي الشيطان أجبر الرسول على أن يتكلم هذه الكلمات».

الرد على الاعتراض الرابع:

١- إنَّ الشيطان لو قدر على ذلك في حق النبي، لكان اقتداره علينا أقوى، فوجب أن يزيل الشيطان العباد عن الدين، ولجاز في أكثر مما يتكلم به الواحد منا أن يكون إجبارًا من الشيطان.

٢- إنَّ الشيطان لو قدر على هذا الإجبار لارتفع الأمان عن الوحي لقيام مثل هذا الاحتمال.

الاعتراض الخامس:

إنَّ النبي تكلم بهذه الكلمات بمحض إرادته حسب هذه الرواية: «قال ابن عباس في رواية عطا: «إن الشيطان يقال له الأبيض، أتى النبي على صورة جبريل، وألقى على لسانه هذه الكلمة «تلك الغرانيق» فقرأها، فلما بلغ تلك الجملة قال: «جبريل أنا ما جئتك بذلك»، فحزن الرسول، وقال أتاني على صورتك فألقاها على لساني».

الرد على الاعتراض الخامس:

إنَّ الذين يؤمنون بهذا الرأي عليهم أن يوضّحوا لنا ويجيبوا عن هذا السؤال: هل النبي غير قادر على التميز بين جبريل والشيطان؟! وما المانع أن يكون الشيطان أتاهُ بصورة جبريل في مواضع أخرى؟!

الاعتراض السادس:

إن الرسول لشدة حرصه على إيمان القوم أدخل هذه

الكلمات من نفسه ثم رجع عنها.

الرد على الاعتراض السادس:

إن الرسول في هذه الحالة خائنًا في الوحي، وهذا خروج عن الإيمان بوجه عام، وعن النبوَّة بوجه خاص.

ومن تفسير «الجلالين» لنص (سورة الحج ٢٢ : ٥٢)، الجزء الثاني، صفحة ٤٥ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ﴾. «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته (قراءته) ما ليس من القرآن بما يرضاه المرسَل إليهم، وقد قرأ النبي في سورة النجم بمجلس من قريش بعد أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه «وتلك الغرانيق العُلى إن شفاعتهن لترتجى». ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك، فحزن فسُلِّي بهذه الآية ليطمئن ﷺ فينسخ الله (يبطل) ما يلقى الشيطان، ثم يحكم آياته (يثبتها)، والله عليم حكيم (عليم بإلقاء الشيطان) (الحج ٢٢ : ٥٢).»

تعليقنا على الحادثة

لا يخفى أن هذا الحادث حقيقة مؤكدة بشهادتي القرآن والتاريخ، الذي لم ولن يجد المسلمون مخرجًا لإنكار هذا الحادث. وها قد رأينا المفسّرين المسلمين بمذاهبهم المتضاربة السخيفة في

هذه المسألة، قد طعنوا -وهم لا يدرون- في دعوى محمد بالنبوّة والرسالة من الله، وإني أرى أنه من الأنسب لو قالوا: «إن رسول الإسلام فعل ذلك لغاية حميدة من نفسه، وإن ذلك درج على لسانه لمؤالفته سماع ذلك من قومه على توالى الأيام، كما هو شأن الضعف البشري، ثم انتبه إلى غلطته ورجع عنها، وإن ذلك كان إلقاءًا أدبيًا من الشيطان». فلنا عدة تعليقات على هذه القصة:

١- حقيقة هذه الحادثة إلقاء الشيطان على لسانه المديح لآلهة قريش.

٢- تكذيب فريق لهذه الحادثة، ورمى محدّثيها بالافتراء.

٣- الإقرار بإلقاء الشيطان على لسان النبي يطعن في نبوّته

٤- تضارب الآراء بشأن هذا الحادث

(١) حقيقة هذه الحادثة إلقاء الشيطان على لسانه المديح لآلهة قريش. ما من عاقل نبيه لدى اطلاعه على هذه المسالة، إلّا ويرى في قصة مدح محمد للأصنام حادثة واقعية لا تقبل الشك لخمسة أسباب:

(١) بساطة القصة الأمر الدال على أنها قصة تاريخي غير مؤلّفة.

(٢) إنها مروية عن فريق من الصحابة، كقتادة ومقاتل وإلياس، الذين بعضهم نسبوا هذه القصة إلى السهو وبعضهم إلى إلقاء على لسانه من الشيطان يُقال له الأبيض.

(٣) تعليق الفريق الذين رجعوا من الحبشة على هذا الحادث.

(٤) اعتراف مفسّر الجلالين والرازي وغيرهم ممن كتبوا سيرة النبي مثل ابن هشام وابن إسحاق بوقوع الحادث.

(٥) العلاقة الطبيعية بين الآية (الحج ٢٢:٥٢) وبين القصة في (سورة النجم ٥٣)، فعلى افتراض ضياع القصة ونكران هذا الحادث من عامة المسلمين، وإجماعهم على بطلان القصة، فالآية تدل دلالة راهنة على تمني محمد شيئًا أو أشياء على إلقاء الشيطان في أمنيته، وهنا الفاجعة الكبرى، لأنه عوّض تقييد النص بحادث، وهذا يعني أنه يصبح مطلق الإشارة إلى حوادث شتى. إذًا على الذاهبين ببطلان واختلاق هذه القصة أن يبيّنوا لنا -إن كان في استطاعتهم- الباعث على ذلك النص «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ أَوْ نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ ٱللهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ» سورة الحج ٢٢:٥٢)، ويشرحوه لنا شرحًا وافيًا يقبله العقل. وهل من عاقل لا يرى أن ذلك لم يكن إلَّا لتعزية قلب محمد على حزن وخوف خامره بسبب إلقاء الشيطان على لسانه.

فاسمحوا لنا أن نشرح هذا النص: يقول الله لمحمد: «لا يرهبك ولا يجذعك ما ألقى الشيطان على لسانك من تعظيم أوثان قريش الباطلة، ولست أنت النبي الوحيد الذي جرى له مثل ذلك، لقد طرأ مثل هذا على بعض أسلافك من أنبيائي ورسلي إذ تمنّوا على نحو ما تمنيت، فألقى الشيطان في أمنيتهم كلامًا في درج تلاوتهم كلامي، فنسخت ما ألقى الشيطان وأحكمت آياتي، فلك يا محمد أُسوةٌ بهم، وكنْ مطمئنًا مرتاحًا، فإني نسخت ما ألقى الشيطان على لسانك في درج كلامي».

(٢) تكذيب فريق لهذه الحادثة، ورمى محدّثيها بالافتراء.

وهم الذين نعتهم الرازي بأهل التحقيق بأن قالوا: «هذه الرواية باطلة»، وعلّلوا بطلانها بما عللوا.

أولًا: لقد أخطأ الرازي بنعته مثل هؤلأ بأهل التحقيق، وهم لم يأتوا بشيء من التحقيق، وكان الأحقّ بهذا النعت الفريق الأول الذي نعتهم بالظاهريين، التي تنطبق روايتهم كل الانطباق على النص القرآني، وعلى ما يُنسب إلى بعض الصحابة وأمر رجوع من مهاجرة الحبشة، ولا يُرى قول هؤلاء المنعوتين بأهل التحقيق هذه الرواية باطلة موضوعة إلَّا إفكًا وبهتانًا، إذ ليس في احتجاجهم ما يُعتَبر برهانًا على صحة دعواهم. فهم آهلين بأن يُنعتوا بأهل التمويه لا بأهل التحقيق.

ثانيًا: وليس من مسلم عاقل يسلِّم بأن نفرًا من أصحاب محمد المخلصين يختلقون على نبيهم العزيز هذا الأمر المشين، لو لم يكن هذا الأمر أكيدًا، وما ذكروه لو لم يكن مشهورًا، وما نسب بعضهم إلى السهو من قبيل النعاس، وآخرون إلى شيطان يُقال له «أبيض» جاء محمد بصورة جبريل وألقى على لسانه تلك الجملة التي كررناها، فضلًا عن العلاقة الكلية بين النص والحادث لا تدع سبيلًا إلى إنكاره أو تكذيبه.

ثالثًا: وما احتجاجهم بالمنقول والمعقول إلَّا احتجاجًا صبيانيًا لا يحرز شيئًا، فما أوهى حجتهم «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىَ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىَ» (سورة النجم٥٣: ٣،٤). فسخافة هذه الحجة تظهر في:

إن هذا النص حسب شرح الفخر الرازي ما كان إلَّا ردًّا

على طعن المشركين الذين رموا محمدًا بالافتراء على الله إذ قالوا: «ٱفْتَرَاهُ عَلَىَ غَيْرِ ٱللهِ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ»

إن هذا الاحتجاج باطل أيضًا، لأن (سورة النجم ٥٣: ٣،٤) وما ينطلق عن الهوىَ لأنه إذا كان الشيطان ألقى على لسان محمد ذلك المديح، وهو يفتكرها إلقاء الله فلا يمكن أن يكون نطق بها عن الهوى (أي الغرض الذاتي)، فما كان أغناهم عن مثل هذا الاحتجاج الفارغ بهذا المول الدال على عدم رويّتهم وتدبُّرهم نصوص القرآن.

وليس في احتجاجهم بالمعقول أقل سخافة إذا قالوا: «إن من جوَّز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، بداعي أن أعظم سعيه كان نفي الأوثان، وجواز ذلك يعنى رفع الأمان عن شرعه. فعجبًا لهؤلاء المحققين كيف للداعي الذي ذكروه قد كفَّروا من أجاز على محمد تعظيم الأوثان بطريقة إلقاء الشيطان ذلك على لسانه، متجاهلون نص القرآني المبين (سورة الحج ٢٢: ٥٢)، فقد أجاز القرآن ما اعتبروه أهل التحقيق كُفْرًا، وكيف لهم أن ينكروا على القرآن ما أجازه ويكذِّبون ما شهد بوقوعه بمحمد وأصحابه. أليس ذلك امتهان لكتابهم ولأصحاب نبيهم؟!

(٣) الإقرار بإلقاء الشيطان على لسان النبي يطعن في نبوّته. ومن قولهم: «إن ذلك الكلام هو كلام شيطان الجن، أوقعه في درج التلاوة، ليُظن أنه من جنس الكلام المسموع من الرسول، فلا يُمتنع أن يأتي الشيطان في أثناء كلام الرسول بصوت مثل صوته، والحاضرون إذ لم يروا شخصًا آخر ظنوا أن هذا الكلام هو كلام

رسول الله، ثم هذا لا يكون قادحًا في النبوَّة»

هؤلاء القوم أذكياء، إذ أنكروا على محمد تفوُّهه بهذه الكلمات، لكي يهربوا من النتيجة المرَّة المترتبة على ذلك، فهربهم هذا لا يعتبر بالضرورة هربًا أو تخلُّصًا من تلك النتيجة، بل هي محاولة فارغة لا تجديهم شيئًا، لبقاء هذا الاحتمال في كل ما تفوَّه به الرسول أو سُمع أنه تكلَّم به، وبذلك يرتفع الأمان عن شرع محمد وعن قرآنه.

(٤) تضارب الآراء بشأن هذا الحادث. إذ قد ذهب بعضهم «إنه كان النبي يتلو في أحد أندية قريش سورة النجم حتى بلغ تلاوته أفرأيتم اللاَّت والعزى ألقى الشيطان على أمنيته كلام ذلك المديح». وبعضهم: «إن ذلك وقع على الرسول سهوًا من جراء النعاس». وبعضهم قال: «إن ذلك كان كلام شيطان الجن أوقعه في درج التلاوة». وبعضهم قال: «إن الشيطان أتى محمدًا بصورة جبريل، فظنه محمد جبريل». وبعضهم قال: «إن محمدًا تكلَّم ذلك الكلام من تلقاء نفسه، ثم رجع عن ذلك». وبعضهم قال: «إن ذلك كلام الرسول، أجبره عليه الشيطان». فلماذا هذا التضارب؟!

فهل من مسلم عاقل لا يرى في هذه المذاهب المتضاربة، التي بها حاولوا عبثًا إخراج نبيهم من وصمة عار هذا الحادث تطعن في أركان دعوى محمد نبي الإسلام بالنبوَّة والرسالة من الله؟ لأنك كيفما قبلتها لا تراها إلَّا سهماً طاعنًا في دعواه، ألا ترى أنهم بتضاربهم هذا قد نزعوا من عقلاء المسلمين الثقة بكل ما يرونه. فكان من الأصلح للمسلمين أن يسلِّموا بصحة القصة من أولها قبل أن ينسبوا إلى نبيهم عدم المقدرة على التمييز بين الأرواح،

ومعرفة الملاك الصالح من الملاك الشرير. وكل باحث أمين يرى أن ما ألجأ القوم إلى السهو والإجبار إلَّا معرفتهم الأكيدة أن محمدًا قال في أثناء قرآته السورة كلمات التعظيم للأوثان، فلكي يتفادوا سهام النقد نسبوا ذلك إلى ما نسبوه مما زاد الطين بلَّة.

لكن أحدًا من فقهاء المسلمين لم يخبرنا بمن من الرسل والأنبياء الصادقين السابقين لمحمد ألقى الشيطان في أمنيته، ولا ما هو الذي ألقاه الشيطان، ولا كيف نسخ الله ما ألقى الشيطان، ولا ما هي الآيات التي أحكمها الله بعد أن نسخ منها ما ألقاه الشيطان – وليت أحدهم يخبرنا، ويوثِّق لنا ما يخبر به. أما إطلاق الكلام بدون برهانه فليس من شيم العلماء ولا سيما علماء الدين!

سفر عزرا

ابن اللّه أم كاتب؟

كل ما جاء عن شحصية عزرا الكاهن يتلخص في الآية المأخوذة من السفر الذي يحمل اسمه (عزرا ٧: ٦) «عَزْرَا هٰذَا صَعِدَ مِنْ بَابِلَ، وَهُوَ كَاتِبٌ مَاهِرٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى ٱلَّتِي أَعْطَاهَا ٱلرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرَائِيلَ».

فكل ما تقوله التوراة عنه إنَّه كاهن وكاتب.

أما القرآن فيدَّعي على اليهود كعادته بقوله في سورة (التوبة ٩ : ٣٠) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللهِ﴾. فنحن نقرأ العهد القديم من أوله إلى آخره لا نجد أن اليهود قالوا عن عزرا أكثر مما ذكرنا.

سفر أستير

فرعون وهامان

كل ما جاء عن هامان في التوراة هو أنَّه كان وزيرًا لأحشويرش ملك الفُرس كما جاء سفر أستير الأصحاح السابع «فَجَاءَ ٱلْمَلِكُ وَهَامَانُ لِيَشْرَبَا عِنْدَ أَسْتِيرَ ٱلْمَلِكَةِ. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِأَسْتِيرَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي أَيْضًا عِنْدَ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ: «مَا هُوَ سُؤْلُكِ يَا أَسْتِيرُ ٱلْمَلِكَةُ فَيُعْطَى لَكِ؟ وَمَا هِيَ طِلْبَتُكِ؟ وَلَوْ إِلَى نِصْفِ ٱلْمَمْلَكَةِ تُقْضَى». فَأَجَابَتْ أَسْتِيرُ ٱلْمَلِكَةُ وَقَالَتْ: «إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ، وَإِذَا حَسُنَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ، فَلْتُعْطَ لِي نَفْسِي بِسُؤْلِي، وَشَعْبِي بِطِلْبَتِي. لِأَنَّنَا قَدْ بِعْنَا أَنَا وَشَعْبِي لِلْهَلَاكِ وَٱلْقَتْلِ وَٱلْإِبَادَةِ. وَلَوْ بِعْنَا عَبِيدًا وَإِمَاءً لَكُنْتُ سَكَتُّ، مَعَ أَنَّ ٱلْعَدُوَّ لَا يُعَوِّضُ عَنْ خَسَارَةِ ٱلْمَلِكِ». فَتَكَلَّمَ ٱلْمَلِكُ أَحَشْوِيرُوشُ وَقَالَ لِأَسْتِيرَ ٱلْمَلِكَةِ: «مَنْ هُوَ؟ وَأَيْنَ هُوَ هٰذَا ٱلَّذِي يَتَجَاسَرُ بِقَلْبِهِ عَلَى أَنْ يَعْمَلَ هٰكَذَا؟» فَقَالَتْ أَسْتِيرُ: «هُوَ رَجُلٌ خَصْمٌ وَعَدُوٌّ، هٰذَا هَامَانُ ٱلرَّدِيءُ». فَٱرْتَاعَ هَامَانُ أَمَامَ ٱلْمَلِكِ وَٱلْمَلِكَةِ. فَقَامَ ٱلْمَلِكُ بِغَيْظِهِ عَنْ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ إِلَى جَنَّةِ ٱلْقَصْرِ. وَوَقَفَ هَامَانُ لِيَتَوَسَّلَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى أَسْتِيرَ ٱلْمَلِكَة، لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ ٱلشَّرَّ قَدْ أُعِدَّ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ ٱلْمَلِكِ. وَلَمَّا رَجَعَ ٱلْمَلِكُ مِنْ جَنَّةِ ٱلْقَصْرِ إِلَى بَيْتِ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ، وَهَامَانُ مُتَوَاقِعٌ عَلَى السَّرِيرِ ٱلَّذِي كَانَتْ أَسْتِيرُ عَلَيْهِ، قَالَ ٱلْمَلِكُ: «هَلْ أَيْضًا يَكْبِسُ ٱلْمَلِكَةَ مَعِي فِي ٱلْبَيْتِ؟» وَلَمَّا خَرَجَتِ ٱلْكَلِمَةُ مِنْ فَمِ ٱلْمَلِكِ غَطَّوْا وَجْهَ هَامَانَ. فَقَالَ حَرْبُونَا، وَاحِدٌ مِنَ ٱلْخِصْيَانِ ٱلَّذِينَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ: «هُوَذَا ٱلْخَشَبَةُ أَيْضًا ٱلَّتِي عَمِلَهَا

هَامَانُ لِمُرْدَخَايَ ٱلَّذِي تَكَلَّمَ بِٱلْخَيْرِ نَحْوَ ٱلْمَلِكِ قَائِمَةٌ فِي بَيْتِ هَامَانَ، ٱرْتِفَاعُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا». فَقَالَ ٱلْمَلِكُ: «ٱصْلِبُوهُ عَلَيْهَا». فَصَلَبُوا هَامَانَ عَلَى ٱلْخَشَبَةِ ٱلَّتِي أَعَدَّهَا لِمُرْدَخَايَ. ثُمَّ سَكَنَ غَضَبُ ٱلْمَلِكِ.»

أما قصة هامان في القرآن فهي كالتالي:

في سورة القصص ٢٨: ٨ و٣٨ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ... وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَلْ لِي صَرْحًا لعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾. وجاء في سورة غافر ٤٠: ٣٦ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ﴾.

يقول القرآن إنَّ هامان كان وزير فرعون، بينما يثبت التاريخ أنَّ هامان كان وزيرًا لأحشويرش، وأنَّ بين فرعون وهامان زهاء ألف سنة! ثم أنَّ فرعون كان ملك مصر وكان هامان وزيرًا في بابل! وما أبعد الزمان والمكان بين فرعون وهامان. فكيف يكون هذا وزيرًا لذاك؟ ويقول سفر أستير في التوراة إن هامان كان وزيرًا وخليلا لأحشويرش ملك الفُرْس الذي يدعوه اليونان زركيس.

سفر الأمثال

الغدر والخيانة

جاء في سفر الأمثال ١١ : ٦ «بِرُّ ٱلْمُسْتَقِيمِينَ يُنَجِّيهِمْ، أَمَّا ٱلْغَادِرُونَ فَيُؤْخَذُونَ بِفَسَادِهِمْ.»

وأول جريمة قتل حدثت بسبب الغدر والخيانة كانت لقايين حيث قام على هابيل أخيه وقتله. وبالرغم من جريمته التي اقترفها يتجاوب مع الخالق بكل قساوة القلب حينما سألهُ عن أخيه «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لِأَخِي؟» (تكوين ٤ : ١ – ١٥)

دليلة هي الأخرى ظلَّت تلحُّ أربع مرات على زوجها شمشون ليخبرها بسرِّ قوَّتِهِ حتى ضجر وفقد الصبر واستسلم في النهاية وبسبب كلماتها المعسولة! ففقد قوَّته في نهاية المطاف لأن امراته كانت تبحث عن ما يرضي نفسها والآخرين (قضاة ١٦ : ٤ – ٢٢)

غدر آخر جماعي لعبيد يوآش حيث أمور مملكة يهوذا تزحزت فتآمروا عليه ثارا لدم زكريا بن يهوياداع الكاهن فدخل على يوآش اثنان من ضباطه وهما زاباد ويهوزاباد فقتلوا يوآش غدرًا وهو نائم في سريره. (٢أخبار أيام ٢٤ : ٢٣ – ٢٦).

وأخيرًا خيانة يهوذا الإسخريوطي لرب المجد بثلاثين من الفضة. كل هذه مجرد أمثلة على استهجان الغدر والخيانة في الكتاب المقدَّس، فهيا بنا نلقي نظرة عليها في القرآن والسيرة المحمدية.

الوفاء كان من أهم ما تميز به سكان شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام. الوفاء بالدَين عند المديونية، والوفاء بالكلمة عند التعهد بأي نص يكون قد أعطي عليه الالتزام بمضمون معين. والوفاء بعدم المحاربة في الأشهر الحرام كان أكرم وأجلّ أنواعها حيث كان الالتزام قطعيًا فيه حتى ولو تقابل الأعرابي مع قاتلي إخوته أو أهله، أو أحد أفراد عشيرته والذي لا يمكن له قبوله أو السكوت عليه إلَّا في الأشهر الحرام استجابة للتعهد الذي قطعه العرب بعدم المحاربة فيهم.

ولكن محمدًا قد غيَّر من عادة الوفاء الكثير باستباحة القتل في الأشهر الحرام. وكما ورد في الآيات القرآنية التي نصت على ذلك مثل الآية ٢١٧ من سورة البقرة حيث يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ..﴾. والآية ١٩٤ من نفس السورة ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾ وبذلك حرم العرب من التمتُّع بالسلام والأمن لتلك الفترة من كل سنة. ونتيجة لهذا الطرح الجديد أصبح القتل وعدم الالتزام بمبادئ الأشهر الحرام وعدم الوفاء سُنَّة إسلامية، لأن مجرد فتح باب من أي عدد من الأبواب المسدودة على الشر والحرب والانتقام يسرع بفتح بقية الأبواب وبنفس الاتجاه نحو الشر.

أما ما ذكر في سورة التوبة الآية ٣٦ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَاعَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَ كُمْ كَافَّةً...﴾ فهي تحديد لعدد الأشهر

الحرام والمعروفة سلفًا عند العرب ولكن بإضافة «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» أي مشروعية القتال والحرب فيهم مع بقية الأشهر الأخرى عندما يتطلب الأمر ذلك.

وبذلك ضرب محمد في إحدى أهم ركيزة من ركائز أخلاقيات وأعراف القبائل العربية الذي كناهم بالجاهلية ظلماً!

الجديد في الغزو «الغدر والخيانة»

كان من عادات القبائل العربية وعند قيامهم بالغزو أن يبارزوا وجهًا لوجه ولا يأتون العدو من دُبر (الخلف) ولا يقتحمون المضارب والقرى إلَّا بوجود رجالها. ولكن محمدًا أثَّر في هذه العادات وبالاتجاه المعاكس تمامًا. ففي غزوة «ذات الرقاع» وعندما بعث السرايا رجعوا إليه وأخبروه بأنهم لم يجدوا أحدًا (اعترافًا بمقابلة الخصم وجهًا لوجه) فساءهُ سماع ذلك وقاد بنفسه المسلمين حتى نزل نخلاء وهو موضع من نجْد في أراضي غطفان ولكن لم يجد في مجالسهم إلَّا نسوة فأخذهن سبايا دون أن يدخل في أية مواجهة. وقد تكررت مثل هذه الحالة في مرَّات عديدة وبصور مختلفة! فمرة سلَب القتيل ومرة أخرى اغتصب النساء. ومثل هذه الإنجازات الغريبة (الغزو بدون مواجهة، والسلب واغتصاب النساء) قد شذَّت عن قاعدة الأخلاق العربية في موضوع المواجهة الصريحة وعدم النكوث بالمبادئ المتوارثة في فن الحرب والسلام. وبذلك ومرة أخرى قد أثَّر تأثيرًا سلبيًا حول موروثة أخلاقية جميلة وكبيرة المعاني، أليس هو من قال: «الحرب خدعة»! وبالتدريج مع الوقت لم يبقَ للعرب في الفترات اللاحقة وحتى الآن الالتزام الأصيل بحرفيات الحرب والسلام بينهم وبين الغير وبينهم وبين

بعضهم، وما اغتيال ثلاثة من أربعة خلفاء راشدين (وأكثرهم طعن من الخلف) وقتل الحسين بالطريقة الوحشية المعروفة والفِتَن والحروب الذي لم يهدأ بعد وفاته إلَّا بعض من نتاج تلك المفاهيم الجديدة.

الغدر والأسر

إنه لمن الشائع لدى كافة المسلمين وفي جميع الأقطار الإسلامية على أن الإسلام كان قد ضرب المثل الرائع والجديد في التعامل مع الأسرى وخاصة والكل يعلم حتى الآن بأن محمدًا الرسول الكريم قد أمر بإخلاء سبيل أسرى معركة بدر من المشركين مقابل أن يقوم كل واحد منهم بتعليم عشرة من المسلمين. ولكن الحقيقة التاريخية والتي لا يريد المنتفعين بالإسلام أو المنافقين من كتَّاب سيرة محمد ذكرها هو أنه فعلًا قد أمر بإخلاء سبيل من يستطيع من الأسرى تعليم عشرة من المسلمين القراءة ولكن بعد أن قام وأمر بما يلي:

١ - إطلاق سراح كل من يستطيع دفع دية (دفع المقابل للمتضرر) أي إطلاق سراح الأغنياء.

٢ - إطلاق سراح أقاربه (عمه العباس) بعد ترتيب بعض الأحداث التراجدية له.

٣ - أمر بقتل عقبة بن أبي معيط. ولم يحدث بين العرب أبدًا أن يدعو إلى قتل الأسير. وقد تم التنفيذ فورًا. وكان عقبة هذا قد لفَّ ثوبه في عنق محمد بمكة أيام دعوته للإسلام أول مرة وعند حائط الكعبة، ولكن يظهر أن محمدًا لم ينسَ له ذلك

فاستغل فرصة وقوعه في الأَسْرِ وأمَرَ بقتله، ولم يعفُ عنه وهو القادر!

وقد أضيف في معركة بدر شائنة أخرى لم يكن للعُرْف والعادات العربية قبولها، إلَّا أنه كان من جديد فنًا من فنون محمد الحربية. فلقد جاءه عبد الله بن مسعود وكان قزمًا لا يتجاوز طوله ذراعًا (وهو سادس من آمن برسالة محمد) وطالب بالمشاركة في الجهاد، فقال له محمد وبعد انتهاء المعركة «خُذْ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمقٌ فاقتله فإنك بذلك ستنال ثواب المجاهدين» وفعلًا فقد شاهد هذا القزم أبا جهل مصروعًا يخور وينازع مع الموت فوضع الرمح على منخره وطعنه. هذا بخلاف ذبح الأسير وشيِّه وأكله وهو مما يُدرَّس الآن في الأزهر! وبهذا التعامل الرهيب في فن الحرب أباح محمد أخلاقيات ومناسك جديدة غير معروفة أو متَّبعة عند العرب مما جعل بهذه الفنون والممارسات أن تتكون لدى كل مسلم شيمة الغدر دائمًا، ولأن يقسو ويظلم ويقتل من لا يقبل أو لا يتبع عقيدته. وما الحركات الإسلامية ودعواتها وأسلوبها إلَّا نموذجًا من النماذج الذين تتّبع تلك الفنون للتعبير والوصول إلى مبتغاهم ونظرياتهم الإسلامية.

سفر إشعياء

يقول الكتاب المقدَّس في سفر (إشعياء ١ : ١٨) «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ.»

بينما يقول القرآن في سورة (المائدة ٥ : ١٠١ – ١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللهُ عَنْهَا وَٱللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ. قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾

المسيح مركز النبوّات

تقول التوراة في سفر (إشعياء ٩ : ٦، ٧) «لِأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ٱبْنًا، وَتَكُونُ ٱلرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى ٱسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلٰهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ ٱلسَّلَامِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلَامِ لَا نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِٱلْحَقِّ وَٱلْبِرِّ، مِنَ ٱلْآنَ إِلَى ٱلْأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ ٱلْجُنُودِ تَصْنَعُ هٰذَا» وتقول أيضًا في (إشعياء ٥٣ : ٤ – ٩) «لٰكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ ٱللهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلَامِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى ٱلذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ ٱلضُّغْطَةِ وَمِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ ٱلْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ

ٱلْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.».

ويقول النبي دانيال في (دانيال ٧: ١٣، ١٤): «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى ٱللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ ٱلسَّمَاءِ مِثْلُ ٱبْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى ٱلْقَدِيمِ ٱلْأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ ٱلشُّعُوبِ وَٱلْأُمَمِ وَٱلْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ.».

أما العهد الجديد كله من أوَّله إلى آخره مبني على أن المسيح هو أقنوم الله الثاني «الابن» وأنَّه تجسَّد صُلب من أجل الخطاة وقام من الأموات في اليوم الثالث.

لكن القرآن يقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ ٱللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا، وَلِله مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة المائدة ٥: ١٧).

مسألة صلب المسيح والشبه

إن من يطالع الكتاب المقدَّس من التكوين إلى الرؤيا يجده يدور حول موضوعٍ واحد وهو الخلاص عن طريق كفَّارة وصَلب المسيح. وهاك بعض الأمثلة الصريحة من العهدين:

«لٰكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ ٱللهِ وَمَذْلُولًا. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ

لِأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَٱلرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى ٱلذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ ٱلضُّغْطَةِ وَمِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ ٱلْأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ ٱلْأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.»

سفر (العدد ٢١ : ٨، ٩) «فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «ٱصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى ٱلرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ ٱلنُّحَاسِ يَحْيَا»

وموضوع العهد الجديد كلّه أن المسيح صُلِب وقام من الأموات لأجل غفران الخطايا.

إنجيل (يوحنا ٣: ١٦) «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى ٱلْحَيَّةَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ هٰكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ هٰكَذَا أَحَبَّ ٱللهُ ٱلْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ٱبْنَهُ ٱلْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ ٱلْأَبَدِيَّةُ.»

إنجيل (متَّى ١٢ : ٤٠) «لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ ٱلْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هٰكَذَا يَكُونُ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ ٱلْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ»

أما القرآن فيقول: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ

رَسُولَ ٱللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

ولهم في موضوع الشبه روايات وأساطير شتى

أ - أنّ اليهود لمّا صمّموا على قتل عيسى رفعه الله إلى السماء، فخاف رؤساؤهم من انتفاض الشعب عليهم فأخذوا إنسانًا وقتلوه وصلبوه ولبَّسوا على الناس أنّه عيسى.

ب - أنّ الله ألقى شبه عيسى على إنسانٍ آخر فمات هذا بديلًا عنه. ولهذه الرواية عدّة وجوه:

- دخل تيطاوس اليهوديّ بيتًا، كان المسيح فيه بقصد اعتقاله، فلم يجده. وألقى الله شبه عيسى عليه، فلمّا خرج ظنّوه أنّه عيسى فأخذوه وصلبوه.
- إنّ اليهود حين اعتقلوا عيسى، أقاموا عليه حارسًا. ولكنّ عيسى رُفِعَ إلى السماء بأعجوبة، وألقى الله شبهه على الحارس فأخِذَ وصُلِبَ وهو يصرخ أنا لست بعيسى.
- وُعِدَ أحد أصحاب عيسى بالجنّة فتطوّع بالموت عنه، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرِجَ وصُلِبَ. أمّا عيسى فرُفِعَ إلى السماء.
- نافق أحد تابعِي عيسى (أي يهوذا) وجاء مع اليهود ليدلّهم عليه. فلمّا دخل معهم لأخذه ألقى الله عليه شبهه فأخِذ وقُتِل وصُلِبَ.

وقد سرد أبو جعفر الطبري في كتابه «جامع البيان» عدّة روايات في هذا الصدد.

الأولى: إنَّ بعضهم قال: لمّا أحاطت اليهود بعيسى

وبأصحابه أحاطوا به، وهم لا يثبتون في معرفة عيسى عينه. وذلك أنّهم جميعًا حُوِّلوا في صورة عيسى. فأُشكِل الأمر على الذين كانوا يريدون قتلَ عيسى. فخرج إليهم بعض مَن كان في البيت مع عيسى فقتلوه وهم يحسبونه عيسى.

الثانية: مروية عن ابن حمية، عن يعقوب القمّيّ، عن وهب بن منبّه. قال: أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريّين في بيت وأحاطوا به. فلمّا دخلوا صوّرهم الله كلّهم على صورة عيسى. فقالوا لهم سحرتمونا. لتبرزنَ لنا عيسى، أو لنقتلنّكم جميعًا. فقال عيسى لأصحابه: مَن يشتري نفسه منكم اليوم بالجنّة؟ فقال رجل منهم أنا. فخرج إليهم، فقال أنا عيسى فأخذوه، فقتلوه وصلبوه. فمِن ثمّ شُبّه لهم. وظنّوا أنّهم قتلوا عيسى. ورفع الله عيسى من يوم ذلك.

الثالثة: مروية عن محمّد بن الحسين، عن أحمد بن المفضّل، عن أسباط، عن السديّ، قال إنّ بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلًا من الحواريّين في بيت. فقال عيسى لأصحابه: مَن يأخذ صورتي، فيُقتَل وله الجنّة؟ فأخذها رجل منه، وصعد بعيسى إلى السماء. فلمّا خرج الحواريّون أبصروهم تسعة عشر، فأخبروهم أنّ عيسى عليه السلام قد صعد بهم إلى السماء فجعلوا يعدّون القوم، فيجدون أنّهم ينقصون رجلًا من العدّة، ويرون صورة عيسى فيهم فشكّوا فيه. وعلى ذلك الرجل. وهم يرون أنّه عيسى فصلبوه.

الرابعة: مروية عن ابن حميد، عن سلمة عن ابن إسحاق. قال: كان اسم ملك بني إسرائيل الذي أرسَل إلى عيسى رجلًا

منهم ليقتله داود. فلمّا أجمعوا لذلك، لم يفزع عبد من عباده بالموت فزعه. ولم يجزع جزعه. وإنّه ليقول عمّا يزعمون: اللهمّ إِن كنتَ صارفًا هذه الكأس عن أحد من خلقك، فاصرفها عنّي وحتّى إِن جلده من كرب ذلك، ليتفصّد دمًا. فدخل المدخل الذي أجمعوا أن يدخلوا عليه فيه، ليقتلوه، هو وأصحابه، وهم ثلاثة عشر بعيسى. فلمّا أيقن أنّهم داخلون عليه ألقى شبهه على أحدهم فأمسكوه وصلبوه.

الخامسة: مروية عن سلمة، قال حدّثني رجل كان نصرانيًا فأسلم، أنّ عيسى حين جاءه من الله إنّي رافعك إليّ، قال: يا معشر الحواريّين أيّكم يحب أن يكون رفيقي في الجنّة، على أن يشبّه للقوم في صورتي فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس. أنا يا روح الله. قال فاجلس في مجلسي. فجلس فيه ورفع عيسى، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه. فكان هو الذي صلبوه وشُبّه له.[٤١]

لقد اختلفت الروايات! فتارة يروي أنَّ الله تعالى ألقى شبهه على بعض الأعداء الذين دلُّوا اليهود على مكانه حتّى قتلوه وصلبوه، وتارة يروي أنَّه رغب بعض خواصّ أصحابه في أن يلقي شبهه حتّى يُقتل مكانه. والسؤال هنا: أرونا ما اتفقتم عليه من أمور عقيدتكم في مسألة صلب المسيح كي نناقشه معكم!

وسنورد هنا إشكاليات الرازي الستة في موضوع الشبه قبل أن نكتب تعليقنا:

وبالجملة فكيفما كان، ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

---

٤١ مجمع البيان ٦: ١٢ – ١٤

الإشكال الأول: أنّا لو جوّزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر، لزم السفسطة. فإنّي إذا رأيت ولدي، ثمّ رأيته ثانيًا فحينئذٍ أجوز أن يكون هذا الذي رأيته ثانيًا، ليس بولدي، بل هو إنسان أُلقي شبهه عليه. وحينئذٍ يرتفع الأمان على المحسوسات. وأيضًا فالصحابة الذين رأوا محمّدًا، يأمرهم وينهاهم، وجب أن لا يعرفوا أنّه محمّد، لاحتمال أنّه ألقى شبهه على غيره. وذلك يفضي إلى سقوط الشرائع. وأيضًا فمدار الأمر في الأخبار المتواترة، على أن يكون المخبر الأول، إنّما أخبر عن المحسوس. فإذا جاز وقوع الغلط في المبصرات، كان سقوط خبر التواتر أولى. وبالجملة ففتح هذا الباب، أوّله سفسطة، وآخره أبطال النبّوات بالكلّيّة.

الإشكال الثاني: هو أنّ الله تعالى كان قد أمر جبريل عليه السلام، بأَن يكون معه في أكثر الأحوال. هكذا قال المفسّرون في تفسير قوله «إذ أيّدتُك بروح القدس» ثمّ أنّ طرف جناح واحد من أجنحة جبريل، كان يكفي العالم من البشر. فكيف لم يكفِ في منع أولئك اليهودِ عنه؟ وأيضًا (المسيح) لمّا كان قادرًا على إحياء الموتى، وإبراء الأكمة والأبرص فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود، الذين قصدوه بالسوء، وعلى إسقامهم، وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتّى يصيروا عاجزين عن التعرّض له؟

الإشكال الثالث: إنّه تعالى كان قادرًا على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء. فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره، إلَّا إلقاء مسكين في القتل، من غير فائدة إليه؟

الإشكال الرابع: إنّه ألقى شبهه على غيره، ثمّ أنّه رُفِعَ بعد ذلك إلى السماء فالقوم اعتقدوا فيه أنّه عيسى، مع أنّه ما كان عيسى.

فهذا كان إلقاء لهم في الجهل والتلبيس، وهذا لا يليق بحكمة الله.

الإشكال الخامس: إنّ النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدّة محبّتهم للمسيح وغلّوهم في أمره. أخبروا أنّهم شاهدوه مقتولًا ومصلوبًا. فلو أنكرنا ذلك، كان طعنًا في التواتر. والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوّة محمّد، ونبوّة عيسى، بل في وجودهما، ووجود سائر الأنبياء، وكلّ ذلك باطل.

الإشكال السادس: إنّه ثبت بالتواتر أنّ المصلوب بقي حيًّا زمانًا طويلًا. فلو لم يكن ذلك عيسى، بل كان غيره، لأظهر الجزع، ولَقال: إنّي لست بعيسى بل إنّما أنا غيره. ولبالغ في تعريف هذا المعنى. ولو ذُكِر ذلك، لاشتهر عند الخلق هذا المعنى. فلمّا لم يوجد شيء من هذا، علمنا أنّ الأمر ليس على ما ذكرتم. (التفسير الكبير ٧: ٧٠ – ٧١).

التعليق:

﴿وَقَوْلِهِمْ (أي اليهود) إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ١٥٧

١ - لقد قوَّل القرآن اليهود ما لم يقُولُوه، فمن المفترض (عقلًا ومنطقيًا) أن اليهود لم يقولوا إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فلو أنَّهم اعتقدوا أنه رسول الله لما صلبوه وقتلوه.

٢ - أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه.

٣ - صلب المسيح حادثة حقيقية مؤيَّدة بالنبوات والتواريخ والمؤرخين اليهود والرومان من أمثال فيلو ويوسيفوس

فكيف ينكرها القرآن بعد ٦٠٠ سنة من حدوثها، والبيّنة على من ادَّعى؟

٤ - ناقض القرآن نفسه، فهو يقول ما قتلوه ولكنه يقول إني متوفِّيك (آل عمران ٣: ٥٥) ويقول فلما توفَّيتني (المائدة ٥: ١١٧) و يقول السلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت (مريم ١٩: ٣٣).

٥ - ونقول إن قتلوه ترجع لليهود. فلماذا ينكر المسلمون تاريخية الصليب؟ ولماذا لا يكون المعنى أن اليهود صلبوا المسيح فعلًا (تاريخيًا). ولكن لم يصلبوه أثرًا، أي لم تتحقق لهم النتيجة المرجوَّة من صلبه وهي اندثار دعوته. إن القرآن نفسه يعترف بقتل بعض الناس دون أن يعترف بوفاتهم، فيقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ٢: ١٥٤).

سفر حزقيال

حزقيال النبي والعظام

جاء في سفر (حزقيال ٣٧: ١ – ١٤) «كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأَخْرَجَنِي بِرُوحِ ٱلرَّبِّ وَأَنْزَلَنِي فِي وَسْطِ ٱلْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلآنَةٌ عِظَامًا، وَأَمَرَّنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْلِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا عَلَى وَجْهِ ٱلْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَابِسَةٌ جِدًّا. فَقَالَ لِي: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، أَتَحْيَا هٰذِهِ ٱلْعِظَامُ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ ٱلرَّبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ». فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَى هٰذِهِ ٱلْعِظَامِ وَقُلْ لَهَا: أَيَّتُهَا ٱلْعِظَامُ ٱلْيَابِسَةُ، ٱسْمَعِي كَلِمَةَ ٱلرَّبِّ: هٰكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ لِهٰذِهِ ٱلْعِظَامِ: هٰأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ». فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنبَّأُ كَانَ صَوْتٌ، وَإِذَا رَعْشٌ، فَتَقَارَبَتِ ٱلْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ. ونَظَرْتُ وَإِذَا بِٱلْعَصَبِ وَٱللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ ٱلْجِلْدُ عليْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ. فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأْ يَا ٱبْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هٰكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحُ مِنَ ٱلرِّيَاحِ ٱلْأَرْبَعِ وَهُبَّ عَلَى هؤُلَاءِ ٱلْقَتْلَى لِيَحْيَوْا». فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمِ ٱلرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، هٰذِهِ ٱلعِظَامُ هِيَ كُلُّ بيتِ إِسْرَائِيلَ. هَا هُمْ يَقُولُونَ: يَبِسَتْ عِظَامُنَا وَهَلَكَ رَجَاؤُنَا. قَدِ ٱنْقَطَعْنَا. لِذٰلِكَ تَنَبَّأْ وَقُلْ لَهُمْ: هٰكَذَا قَالَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ: هٰأَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي، وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ عِنْدَ فَتْحِي قُبُورَكُمْ وَإِصْعَادِي إِيَّاكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي.

وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيَوْنَ، وَأَجْعَلُكُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ تَكَلَّمْتُ وَأَفْعَلُ، يَقُولُ ٱلرَّبُّ.»

والقرآن يقول في سورة (البقرة ٢: ٢٤٣) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

قال مفسرو المسلمين: كانت قرية يقال لها داروردان وقع بها الطاعون، فخرج عشرة آلاف، وقيل سبعون ألفًا، وبقيت طائفة. فسلَّم الذين خرجوا وهلك أكثر من بقي بالقرية. غير أن الله أمات من هرب أيضًا ثم أحياهم، بأن مرّ عليهم حزقيل بن بوذي، وهو ثالث خلفاء بني إسرائيل، وقد عريت عظامهم وتفرّقت أوصالهم، فتعجّب من ذلك. فأوحي إليه: نادِ فيهم أن قوموا بإذن الله، فنادى فقاموا يقولون: سبحانك اللهمّ وبحمدك لا إلٰه إلَّا أنت[٤٢]. والغاية من هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرّض للشهادة وحثّهم على الاستسلام للقضاء.

وقد جاءت القصة في سفر النبي حزقيال بالتوراة مختلفة، ففي عصر حزقيال النبي لم يهرب عشرة آلاف من بني إسرائيل من الطاعون كما قال القرآن، ولا الله أماتهم، ولا النبي حزقيال بعثهم من الموت. ولكن الله أمر حزقيال النبي أن ينزل في وسط بقعة كانت موقعًا لمعركة حربية ملآنة عظامًا ويتنبأ على العظام فتحيا، ويضع عليها الله عَصَبًا ولحماً ويبسط عليها جلدًا ويجعل فيها روحًا فتحيا: ففعل. وبينما هو يتنبأ كان صوتٌ وإذا رعشٌ، فتقاربت العظام وكُسيت بالعصب واللحم وبُسِط الجلد عليها وليس فيها

٤٢ القرطبي في تفسير البقرة ٢: ٢٤٣

روح. فأمره الله أن يتنبأ عليها ثانية، فتنبّأ فدخل فيها الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جدًا جدًا. فأخبره الله أن هذه العظام هي كل بني إسرائيل يقولون: يبست عظامنا وهلك رجاؤنا فقال لهم: هٰكذا قال السيد الرب: «هٰئَنَذَا أَفتَحُ قُبُورَكُمْ وأُصْعِدُكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ يَا شَعْبِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وأَجْعَلُ رُوحِي فِيكُمْ فتَحْيُونَ» (حزقيال ٣٧: ١ - ١٤).

وهدف هذه الرؤيا إنعاش بني إسرائيل وإحياء آمالهم بعد اليأس الذي استولى عليهم في السبي فيما بين النهرين، فشبّه حالتهم بالعظام اليابسة المبدَّدة في القبر. غير أن الله علّمهم من حزقيال ٣٧ أنه على كل شيء قدير، يحيي الرفات ويرجعهم من سبيهم. والواجب الإيمان بمواعيده الصادقة.

سفر دانيال

جبريل وميكائيل

تقول التوراة في سفر دانيال ٨: ١٦ – ١٩ «وَسَمِعْتُ صَوْتَ إِنْسَانٍ بَيْنَ أُولَايَ، فَنَادَى وَقَالَ: «يَا جِبْرَائِيلُ، فَهِّمْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ ٱلرُّؤْيَا». فَجَاءَ إِلَى حَيْثُ وَقَفْتُ، وَلَمَّا جَاءَ خِفْتُ وَخَرَرْتُ عَلَى وَجْهِي. فَقَالَ لِي: «ٱفْهَمْ يَا ٱبْنَ آدَمَ. إِنَّ ٱلرُّؤْيَا لِوَقْتِ ٱلْمُنْتَهَى». وَإِذْ كَانَ يَتَكَلَّمُ مَعِي كُنْتُ مُسَبَّخًا عَلَى وَجْهِي إِلَى ٱلْأَرْضِ، فَلَمَسَنِي وَأَوْقَفَنِي عَلَى مَقَامِي. وَقَالَ: «هٰأَنَذَا أُعَرِّفُكَ مَا يَكُونُ فِي آخِرِ ٱلسُّخَطِ. لِأَنَّ لِمِيعَادِ ٱلِانْتِهَاءَ.» وفي الأصحاح ١٢: ١ «وَفِي ذٰلِكَ ٱلْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ ٱلرَّئِيسُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ».

لكن القرآن يقول شيئًا آخر، في سورة البقرة ٢: ٩٨ ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ثم نقرأ تفسيرات غريبة بهذا الشأن منها: يقول المفسّرون: إن جبريل عدوٌ لليهود. قال ابن صور إن جماعة من اليهود قالوا: إن أول هذه العداوة أن الله تعالى قال سيُخرِّب بيت المقدس في زمن بختنصر، ووصفه لنا وطلبناه، فلما وجدناه بعثنا لقتله رجلاً فدافع عنه جبريل وقال: إن الله قد سلَّطك على قتله فهذا ليس هو ذاك الذي أخبرنا الله عنه أنه سيُخرِّب بيت المقدس، فلا فائدة في قتله، ثم أنَّه كبر وقوى وملك وغزانا وخرَّب بيت المقدس وقتلنا، ولهذا يتَّخذه اليهود عدوًّا. أما ميكائيل فإنَّه عدو جبريل، فقال عمر فإني أشهد من كان عدوًا لجبريل فهو عدو عدو لميكائيل، وهما عدوان

لمن عاداهما، فأُنكر ذلك على عمر فنزلت الآية!

أولًا: وبإجماع المفسرين والمؤرخين في أمهات المراجع الإسلامية أن هذه من جملة الأشياء التي أخذها محمد من الصحابة إذا أعجبته مضمونها وفصاحتها[٤٣]

ثانيًا: الموضوع بسيط ولا يحتاج إلى كل هذا الإسهاب والإطناب في معرفة الفرق بين جبريل وميخائيل، فالأول ملاك بسيط،والآخر رئيس للملائكة.

٤٣ انظر كتاب «تنوير الأفهام في مصادر الإسلام» سنكلير تسدل، على موقعنا

إنجيل متى

العذراء مريم وولادة المسيح

يقول الإنجيل في (متَّى ١ : ١٨ – ٢٣) «أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ فَكَانَتْ هٰكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا، أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. وَلٰكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ، إِذَا مَلاَكُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ٱبْنَ دَاوُدَ، لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ ٱمْرَأَتَكَ. لِأَنَّ ٱلَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ. فَسَتَلِدُ ٱبْنًا وَتَدْعُو ٱسْمَهُ يَسُوعَ. لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». وَهٰذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ ٱلرَّبِّ بِٱلنَّبِيِّ ٱلْقَائِلِ: «هُوَذَا ٱلْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ٱبْنًا، وَيَدْعُونَ ٱسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ» ٱلَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا»

أمّا القرآن فيقول في سورة مريم ١٩ : ٢٣-٢٦ ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾

قالوا إن وجع الولادة ألجأ القديسة مريم إلى الاستناد على نخلةٍ لتستمسك بها من شدة الطَلْق ووجع الولادة، فناداها جبريل (وقيل عيسى) بأن لا تحزني. وضرب برِجْله في الأرض فظهرت

عين ماء عذبة وجرت، وقيل: كان هناك نهرٌ يابس فجرى فيه الماء بقدرة الله. وحنَّت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت، فأتاها الله بالأكل والشرب. وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك، إن أمرتيه أن يجري جرى، وإن أمرتيه بالإمساك أمسك. وأضربت عن كلام الناس لأن عيسى تكلَّم عنها.

فالقرآن نسب ما حصل لهاجر أم إسماعيل إلى مريم، فإن هاجر أخذت إسماعيل وتاهت في برية بئر سبعٍ. ولما فرغ الماء من القِربة طرحت الولد تحت شجرة وبعُدت قليلاً عنه، لأنها قالت: «لا أنظر موت الولد». وبكت، فأرسل الله إليها ملاكًا شجعها وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام.

ولم يأتِ المخاضُ مريمَ تحت جذع النخلة، فإنها ولدت المسيح في بيت لحم كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين، وليس بجوار جذع نخلة! ووضعت مريم وليدها في مذود (لوقا ٢: ١ - ٢٠). ولم تكن في البرية. ولم تهزّ مريمُ جذع نخلة ولا غيرها، ولم يضرب ملاكٌ ولا غيره برجله، وكذلك لم تنذر لله السكوت.

بين الزنى وزواج المتعة

يقول الإنجيل في (متى ٥: ٢٧، ٢٨) «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ»

بينما يقول القرآن في سورة (النساء ٤ : ٢٤) ﴿وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

يقول البيضاوي تفسيرًا لهذه الآية: «إن هذه الآية نزلت في المتعة ثلاثة أيام حين فُتِحت مكة، ثم نُسِخت كما روى أنَّه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول: أيُّها الناس إني كُنْتُ أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلَّا أن الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامة. وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم وسُمّي بها إذًا لغرضٍ منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى»

رُوي عن سعيد بن جبير: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمَّى وقال هذه قراءة أُبيّ بن كعب[٤٤]. وأُبيّ هذا هو أحد الأربعة الذين أُخذ عنهم القرآن[٤٥].

وهذه القراءة هي ما يستدل به الشيعة على إباحة زواج المتعة، وهو أن يتزوج الرجل بأيّ امرأةٍ لفترةٍ محدودة وبأجر محدّد دون عقد أو شهود.[٤٦]

وإن كانت هذه القراءة صحيحة أو غير صحيحة. فهي تبين أن القرآن قد حُذف أو أُضيف إليه أشياء أثناء الجمع لأسباب يعلمها جامعوه!!

٤٤ كتاب «المصاحف» للساجستاني فصل مصحف أُبيّ.
٤٥ البخاري باب جمع القرآن.
٤٦ كتاب الفقه على المذاهب الخمسة الفقه الجعفري.

وكذلك أية في سورة (الممتحنة ٦٠: ١١) ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَٱسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ ٱللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ﴾

هذه مجرد دراسة نقدية عن الآية كي لا يتبجَّح البعض وينكر زواج المتعة. أما عن تحليل ماهية هذا الزواج فهو كما يلي موثَّق تاريخيًا وفقهيًا من القرآن والحديث:

زواج المتعة

أولًا زواج المتعة من الأحاديث

جاء في «صحيح البخاري»[٤٧] «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللهِ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ لَنَا شَيْءٌ فَقُلْنَا أَلَا نَسْتَخْصِي فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ وَقَالَ أَصْبَغُ أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهم قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ

---

٤٧ صحيح البخاري» «كتاب النكاح» ٤٦٨٦

قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ» (وكذلك «البخاري» كتاب النكاح ٤٦٨٣).

جاء في «صحيح مسلم»[٤٨] «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي وَوَكِيعٌ وَابْنُ بِشْرٍ عَنْ إِسْمَعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ يَقُولُ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ فَقُلْنَا أَلَا نَسْتَخْصِي فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَخَّصَ لَنَا أَنْ نَنْكِحَ الْمَرْأَةَ بِالثَّوْبِ إِلَى أَجَلٍ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة المائدة ٥: ٨٧) وحَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ إِسْمَعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ مِثْلَهُ وَقَالَ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا هَذِهِ الآيَةَ وَلَمْ يَقُلْ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ وحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَعِيلَ بِهَذَا الإِسْنَادِ قَالَ كُنَّا وَنَحْنُ شَبَابٌ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَسْتَخْصِي وَلَمْ يَقُلْ نَغْزُو».

جاء في «صحيح البخاري»[٤٩] «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَرَخَّصَ فَقَالَ لَهُ مَوْلًى لَهُ إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ وَفِي النِّسَاءِ قِلَّةٌ أَوْ نَحْوَهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ نَعَمْ».

جاء في «صحيح مسلم»[٥٠] «وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ سَمِعْتُ

---

٤٨ صحيح مسلم «كتاب النكاح» ٢٤٩٣

٤٩ صحيح البخاري «كتاب نكاح» ٤٧٢٤

٥٠ صحيح مسلم «كتاب نكاح» ٢٤٩٤

الْحَسَنَ بْنَ مُحَمَّدٍ يُحَدِّثُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ وَسَلَمَةَ بْنِ الَاكْوَعِ قَالَا خَرَجَ عَلَيْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا يَعْنِي مُتْعَةَ النِّسَاءِ».

جاء في «صحيح البخاري»[٥١] «حَدَّثَنَا عَلِّي حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ عَمْرٌو عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ وَسَلَمَةَ بْنِ الَاكْوَعِ قَالَا كُنَّا فِي جَيْشٍ فَأَتَانَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَسْتَمْتِعُوا فَاسْتَمْتِعُوا وَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ ابْنِ الَاكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا تَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا فَمَا أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً قَالَ أَبو عَبْد اللهِ وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ»

ثانيًا: لنا عدة تعليقات

١ – تواتر الروايات بشأن هذه الممارسة في كتب الأحاديث والسُّنَّة والسيرة، وعدم تصدِّى أئمة الإسلام وعلمائهم لدحضه وتكذيبه دليل على أن محمدًا قد أباح هذا النوع من الزنى حتى ولو لمرة واحدة.

٢ – أما قوله: «أَيُّمَا رَجُلٍ وَٱمْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا تَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا» فهو بذلك يفتح الباب على مصراعيه للبغاء والدعارة!

٣ - أطلق عليه الفقهاء قديمًا «نكاح بالثوب» والبعض الآخر «نكاح

---

٥١ صحيح البخاري «كتاب نكاح» ٤٧٢٥

بالأجر» والبعض «نكاح المتعة» وهو ما أباحه وأجازه محمد لأصحابه، وكلنا نعلم أن معاشرة النساء ومضاجعتهن على سبيل الأُجرة وهو معروف عند كل الأمم بزنى لا شبهة فيه، أمر معروف يُمارس في «وبيوت الدعارة» أو «بيوت البغاء». وهو مُحرَّم في كتب الوحي الصادقة كالتوراة والإنجيل، وضار جدًا بالهيئة الاجتماعية والسمعة المحلية والدولية.

٤ - هل إباحة المرأة نفسها نظير أجر (ثوب كان أم مال، أو أي شئ) أمر مستحب وحلال عند المسلمين؟! فلماذا أباحه محمد لرجاله؟! ألم يرد في القرآن والسُّنَّة أمر قصاص الزاني والزانية رجمًا وجلدًا ونفيًا دون التفات إلى الأجرة وعدمها؟ فهل الأجرة تجعل مضاجعة النساء حلالًا؟

٥ - فالإسلام يعتبر إتيان المرأة بدون عقد النكاح أو بدون أن تكون ملك يمينه (سرية) زنى، بأُجرة كان أم بغير أُجرة، ويفرض على مرتكبيه القصاص الصارم. فكيف لمحمد وأصحابه أن يروا أن بذل المال والمتاع يحلل الحرام؟!

٦ - أما رواية جرير بعد قوله «ثم رخَّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب» ثم قرأ علينا ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (سورة المائدة ٥ :٨٧). لنا هنا وقفة!

ألا ترى أن محمدًا أراد بهذه القراءة إن الله أحلَّ لرجاله التمتع بالنساء بالمتاع، بشرط ألَّا يأتى الرجل ذلك على سبيل التعدِّي أي الاغتصاب؟ فإذا كان هذا هو المراد من النص الذي يزعم أنه كلام الله إليه، فلماذا عاد فحرَّمه حسب رواية عبد الله ثم

أباحه ثم حرَّمه تحريمًا مطلقًا؟

٧ - القارئ الجيد للنَّص لا يلاحظ من قراءته أنه حكم مؤقت، لأن النَّص لا يقول «لا تحرموا «الآن» ما أُحلَّ الله. إلى يوم أو يومين أو شهر، بل لا تحرِّموا طيبات» كلام مطلق غير مقيد بزمان أو مكان!

٨ - لماذا لَمْ يقف عند حد هذا النهي «لا تحرموا» بل على ذمة الراوي عاد فحرَّمه بعد أن قضى رجاله شهوتهم من النساء. ولماذا يحرِّمه المسلمون الآن؟ فإذا كان النص (المائدة ٥ : ٨٧) يعلن إباحة الله لمحمد لرجاله مضاجعة النساء بأجرة متاع لها، فيجوز للمسلمين الاستمرار في هذا الأمر! والمضحك في هذه الروايات أن الله نفسه هو من أباحه، ومحمد هو من حرَّمه! فهل محمد أدرى من الله بعباده؟ وهل محمد أكثر قدسية وأخلاق من إلٰهه الذي أباح له ولأتباعه الزني؟

٩ – نلاحظ من قراءة الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ﴾ (المائدة ٥ :٨٧) اعتراض وإستنكار فريق من أصحاب محمد عليه إباحة وترخيص ما أجمعت كتب الأنبياء على تحريمه! فرأى نفسه أنه سقط من أعين أصحابه بإباحته لهم المحرَّمات والموبيقات، وليس لديه حجه يحتج بها عمد إلى أُسلوب ما يسميه «الوحي»، وأتى منه بهذه القراءة كحجة الله له على ما أباحه ورخَّصه، فأخرَسَ أولئك المعارضين. لكن هل يحلِّل الله الحرام لعباده مجاراة لميولهم الحيوانية؟!

١٠ - ويظهر لك من حديث شبعة أن ابن عباس توقَّف عن مجاوبة سائله عن متعة النساء، لماذا ارتجَّ الجواب على ابن عباس؟!

ولاحظ ذلك عبده فجاوب عنه: «إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ وَفِي النِّسَاءِ قِلَّةٌ» فاستحسن سيده الجواب وصادق عليه بقوله «نَعَمْ»! فالظاهر من السؤال والجواب أن نبي الإسلام لم يحرِّم المتعة بالنساء بعد أن رخَّص بها لرجاله، وإنه متى كان المسلمون في مثل هذه الظروف التي كانوا فيها يومي خَيْبر ومكة، أي في حالة اشتداد شوقهم إلى النساء والنساء قليلات جاز لهم استعمالها، والسؤال هنا: ماذا عن المغتربين عن بلادهم ونسائهم طلبًا للرزق؟ هل ممارسة الجنس والبغاء هناك حلال بناء على هذا الحديث والقاعدة الفقهية التي تقول: «إن الضرورات تبيح المحظورات!»

١١ - ولو كان محمد حرَّم مضاجعة النساء بالثوب بعد أن رخَّص به، لأجاب ابن عباس سائله على الفور: «إن رسول الله ألقى أمر المتعة بالنساء وحرَّمها بعد أن أباحها يومي خيبر ومكة تحريمًا مطلقًا»، وبما أنه لم يجاوب وصادق على كلام عبده تبيَّن أن باب المتعة كان لم يزل مفتوحًا، وإن كره البعض ذلك. وعدد كثير من الباحثين المسلمين يؤكِّدون أن محمدًا مات ولم يحرِّم المتعة.

١٢ - الزعم بأنه حرَّمها بعد إباحتها لا يُعار شيئًا من الاعتبار لخلوه من البرهان. لأنه لا حديث عن محمد أنه قال يومًا بتحريمها، ولا نص قرآني ناسخ لذلك النص الذي أعلن كونه حلالًا طيبًا للمسلمين، بل إن هناك آية تجعل من نكاح النساء بالمتعة والأُجرة بابًا مفتوحًا وواسعًا في الإسلام وهو ما جاء في سورة النساء ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء ٤ : ٢٤). وعددٌ كبيرٌ من مؤرخي الإسلام يؤكدون بكل صدق وشجاعة هذه الرواية: «إنه قام سوق الجدال بهذا الموضوع في إمارة عمر بن الخطاب، ولما احتج بعضهم بحضرته أن النبي أجاز نكاح المرأة بالثوب أو المتاع ومات ولم يحرِّمه. أجاب عمر بن الخطاب: «حرَّمه أو لم يحرِّمه، لا أعلم، فأنا أنهي عنه، وأعلوا بسيفي هذا عنق من أتاهُ»[٥٢]. ويُقال أنه تجدد هذا الجدال ثانية في خلافة المأمون ولم يُفْصَلُ الخلاف على وجه ما قيل إن أهل الشيعة لا يزالون يفعلون ذلك في حال اغترابهم عن أولادهم. هذا ولعل القول: «إن محمدًا حرَّمهُ بتاتًا يوم فتح مكة» ناشئ عن رؤية ثقاة المسلمين وذوي الأخلاق فظاعة الأمر وشر بقاء المسلمين عليه.

١٣ - أما القول ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المراد به النهي عن مضاجعة النساء على سبيل الاغتصاب والقهر. إن الاعتداء على المرأة واغتصابها مُنكرٌ عند جميع الأمم، وإن الأمم الجاهلية التي كانت تبيح الفواحش كانوا يعاقبون بصرامة من اغتصب امرأة، وكثيرًا ما نشأ عن مثل التعدِّي حروبٌ مهلكة، كما يروى في أخبار العرب عن طُسُم وجديس. إذًا محمد بقوله من هذه الحيثية لم يأتِ بجديد.

١٤ - أما حديث ابن الأكوع إن محمدًا تدرج في أمر المتعة إلى نوع الموافقة بين الرجل والمرأة، بصرف النظر عن إعطاء أُجرة لها

٥٢ راجع كتاب «تاريخ الأمم والملوك» للإمام الطبري، الجزء الثالث، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. وكذلك «مروج الذهب» للمسعودي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

بقوله على عهدة الراوي: «أَيُّمَا رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ تَوَافَقَا فَعِشْرَةُ مَا بَيْنَهُمَا ثَلَاثُ لَيَالٍ فَإِنْ أَحَبَّا أَنْ يَتَزَايَدَا أَوْ يَتَتَارَكَا تَتَارَكَا» قال الراوي: «فَمَا أَدْرِي أَشَيْءٌ كَانَ لَنَا خَاصَّةً أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟!». أَلَا ترَ أن محمدًا بهذه الإباحة قد وسَّع من دائرة ارتكاب هذا المحرَّم؟ وهكذا أطلق العنان للنفس الشهوانية الجامحة إلى الآثام لترتكب بضمير مستريح خطية الفجور؟! فإنَّه اقتصر هنا على الموافقة. لماذا؟! لأن الموافقة المذكورة هنا قد تكون حُبًّا أو غرامًا أو شهوةً بين الطرفين، بصرف النظر عن الأُجرة.

١٥ - فبحسب هذا الرأي يبيح الإسلام للرجل أمر مضاجعة لامرأة غير زوجته على سبيل التوافق بينهما. أَلَا ترى أن هذا زنًا لا شبهة فيه وإفساد للنظام العائلي المقدَّس الذي صمَّمه الله منذ البدء؟ فالزنى ما هو إلَّا اتفاق بين رجل وامرأة، وإذا انتفى الاتفاق أصبح اغتصابًا.

١٦ - السؤال هنا للمسلم: هل زواج المتعة حلال أم حرام؟ فإن قال: «حلال»، قلنا: «لا حرج على من يأتيه اليوم؟». وإن قال: «حرام، لا يجوز»، قلنا: «كيف إذًا أباحه محمد؟». وإن قال: «أباحه مؤقتًا مراعاة لضرورة الحال ثم حرَّمه»، قلنا: «قد تبيَّن فيما تقدَّم أنَّه مات ولم يحرِّمه. وإن محارم الله الأدبية كالزنى والسرقة وعبادة الأوثان، لا تحللها الظروف والأهواء.

١٧ - ولم يجيء قط في الكتاب المقدَّس تحليل شيء من قبيل ذلك لشعب الله في ظرف من الظروف أو حال من الأحوال، فالحرام كان حرامًا دائماً، والحلال كان حلالًا دائماً. فالمكان والزمان والعواطف لا تبيح المحظورات، ولا تحلِّل المحرَّمات.

١٨ – إنَّ نفس السبب الذي دعى محمدًا إلى ذلك، قد يكون في كل زمان، ولاسيما في هذا العصر الذي زاد على كل العصور بكثرة الاغتراب ومفارقة الأهل طلبًا للرزق أو للحرب، فعلى جواب عبد بن عباس وموافقة سيده عليه، وبناءً على الزعم أن محمدًا أباحه مؤقتًا لضرورة الحال متى وُجِدَ سببٌ جازت هذه الإباحة، فهل يعترف مسلموا زماننا بجواز ذلك؟ وهل يرتضون بالسير علية؟ هل يرتضونه لأخواتهم وبناتهم وأمهاتهم مهما كانت الدواعي؟ فذلك منهم بالنتيجة اللازمة، وهى عدم قدسة ما أباحه محمد لرجاله بداعي فرط اشتياقهم إلى النساء، أفلا يكون ذلك سهماً قادحًا بدعواه النبوَّة والرسالة من عند الله؟»

١٩ - أما القول «وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ». فهذا القول لا يُعار جانب الاعتبار لسببين: السبب الأول: إنه لا يُشمّ قط من كلام محمد رائحة الموقِّت، لأنه لم يعلِّقهُ على أسباب ودواعي، ولأنه كلام معمَّم لا مخصص بقوله «أيُّما رجل وامرأة» يعنى أي رجل كان وأي امرأة كانت، بغض النظر عن الظروف والأحوال. السبب الثاني: لا رواية ولا حديث عن لسان محمد أنه نسخ ذلك، أي لم يرو عنه أنه قال: «إني نسختُ كلامي السالف بخصوص إباحتي نكاح المتعة» أو حتى وحيًا نزل عليه بذلك.

٢٠ - والراجح الدعوى بتحريم زواج المتعة منشأها استهجان ذلك النظام المقزز لمنافاته الكتب المقدَّسة، والنظام العائلي الشريف، ولم يسعهم نكران هذه الرواية، دفعتهم الحسرة إلى

وضع ذلك القول: «وقال أبو عبدالله وَبَيَّنَهُ عَلِيٌّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ». وخلاصة الأمر ينجلي لنا مما تقدم أن تصرُّف محمد هكذا ليس بتصرف نبي من الله، بل كتصرف قائد ماهر، جارَى به ميول قوم دعاهم إلى نصرته وشدة أزره. يرغب منهم الاستماتة في سبيل الأخذ بناصره، والتهالك في بسط يده وإعلاء شأنه.

٢١- ثم من أين جاء محمد وأصحابه بالثوب الذي هو أُجرة النكاح؟ أليس هو مما اغتنموه؟! أمن مالهن يعطوهن أجرة نفوسهن؟ أهكذا يتصرف أنبياء اله؟

ما جاء في الكتاب المقدَّس

وإذا أتينا إلى تاريخ شعب الله القديم بنى إسرائيل، لا نرى في حروبهم الكثيرة والعظيمة ولاسيما في عهد يشوع بن نون قائدهم الأكبر وفاتح أرض كنعان، وملكهم المظفر داود، أنهم شكوا مرَّة إلى أحد قاداتهم ما اشتكاه رجال محمد إليه بشأن النساء. ولا أن أحدًا من القادة أو قضاة بنى إسرائيل أباح لهم يومًا ما بالتمتع بنساء القوم المهزومين منهم في الحرب، وكل ما يقوله شرع الله لموسى من هذه الحيثية هو ما جاء في (سفر التثنية ٢١: ١٠ ١٣-) «إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ ٱلرَّبُّ إِلٰهُكَ إِلى يَدِكَ وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا، وَرَأَيْتَ فِي ٱلسَّبْيِ ٱمْرَأَةً جَمِيلَةَ ٱلصُّورَةِ وَٱلْتَصَقْتَ بِهَا وَٱتَّخَذْتَهَا لكَ زَوْجَةً، فَحِينَ تُدْخِلُهَا إِلى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا، وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ ٱلزَّمَانِ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا

فَتَكُونُ لكَ زَوْجَةً». تأمل لم يسمح الله له أن يدخل عليها وهى مخلوعة القلب حزينة الروح على هلاك زوجها في الحرب، بل فرض سبحانه لها شهرًا من الزمان أيام حِداد ثم يتزوجها. فكيف صحَّ في عيني محمد وفى أعين رجاله الدخول هكذا على نساء القوم المقهورين بالحرب والجرح دامي القلوب، غرقى في بحار الحزن، فيا لشئوم هذا، ويا لقداسة شرع الله في كتابه. وباللفرق الشاسع بين نص التوراة وبين النص الذي قرأهُ نبي الإسلام على رجاله (سورة المائدة ٥ : ٨٧).

إن محمدًا بمثل هذه الإباحة قد شذَّ شذوا كليًا عن أنبياء الله ومرسليه، وقواد جنده، وبالتالي قد نافى به شرعه الذي شرَّعه، والمطلع على السيرة النبوية يعرف أنه لم يكن يهم محمد شيئا إلَّا مرضاة أصحابه، ومسرتهم الذين عرف طباعهم وتحكم الشهوة فيهم[٥٣]. رأى من الحكمة مجاراتهم في أمر قضاء شهوتهم على سبيل الأجرة أو كما يسميه نكاح بالثوب. فكأن القوم حين نظروا نساء العدو في قبضة يدهم، هوت إليهم نفوسهم. ولم يروا أن يمسوهن إلَّا بإذن من نبيهم، فشكوا إليه هيجان الشهوة الجنسية فسارع في الحال لهم في هواهم، وأجابهم إلى منيتهم. إنما بالثوب كمهر أو أُجرة لهن!

الحث على الانتقام

قال الرَّبُّ يسوع المسيح في إنجيل (متَّى ٥ : ٣٨ - ٤١) «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا

٥٣ أُنظر كتاب «مجتمع يثرب» للدكتور: خليل عبد الكريم، دار سيناء، القاهرة، ١٩٩٧.

تُقَاوِمُوا ٱلشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ ٱلْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ ٱلْآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَٱتْرُكْ لَهُ ٱلرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَٱذْهَبْ مَعَهُ ٱثْنَيْنِ».

أما القرآن فيقول في الأنفال ٨: ٦٤، ٦٥) ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ، يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

ويقول في آية ٦٧ من نفس السورة ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

رُوي إنه جيء لمحمد بسبعين أسيرًا، فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل، فاستشار فيهم أصحابه فقال له أبو بكر: دعهم. وأشار عليه عمر بقتلهم. فأخذ برأي أبي بكر. ولما رأى أن هذا الرأي ليس في صالحه، قال إن الله أنزل عليه هذه الآية.[٥٤]

وقد أجمع مفسّروا القرآن على أنَّ الأسْر كان مشروعًا بشرط عدم الإثخان أي كثرة القتل.

المحبَّة إلى أبعد الحدود

قال الرَّبُّ يسوع المسيح في إنجيل (متَّى ٥: ٤٣ - ٤٥) «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ،

---

٥٤ راجع أسباب نزول هذه الآية للواحدي والسيوطي

وَصَلُّوا لِأَجْلِ ٱلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ»

والقرآن يقول في سورة (التوبة ٩: ١، ٢)، وهي أكثر سور القرآن عنصرية ودموية، ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَافِرِينَ﴾

قالوا إن هذه العبارة هي إلغاء للمعاهدة بينهم وبين المشركين، وإنَّه حدد لمدة إلغائها أربعة شهور يجوز في خلالها للمشركين أن يسيح في الأرض ما شاء في أمان لأنه لا يكون حرب فيها، وبعدها يكون الخيارات الثلاثة: الإسلام، الجزية، الحرب. وللتوضيح دعنا نرى كيف غيَّر محمد أفضل عادات العرب إلى الحضيض.

الوفاء والأشهر الحرام: الوفاء كان من أهم ما تميَّز به سكان شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام. الوفاء بالدَين عند المديونية، والوفاء بالكلمة عند التعهد بأي نَص يكون قد أعطي عليه الالتزام بمضمون معين. والوفاء بعدم المحاربة في الأشهر الحرام كان أكرم وأجلّ أنواعها حيث كان الالتزام قطعيًا فيه حتى ولو تقابل الأعرابي مع قاتلي إخوته أو أهله، أو أحد أفراد عشيرته والذي لا يمكن له قبوله أو السكوت عليه إلَّا في الأشهر الحرام استجابة للتعهد الذي قطعه العرب بعدم المحاربة فيهم.

ولكن محمدًا قد غيَّر من عادة الوفاء الكثير باستباحة القتل في الأشهر الحرام. وكما ورد في الآيات القرآنية التي نصَّت على

ذلك مثل الآية ٢١٧ من سورة البقرة حيث يقول: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ...». والآية ١٩٤ من نفس السورة «ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ...» وبذلك حرم العرب من التمتُّع بالسلام والأمن لتلك الفترة من كل سنة. ونتيجة لهذا الطرح الجديد أصبح القتل وعدم الالتزام بمبادئ الأشهر الحرام وعدم الوفاء سُنَّة إسلامية، لأن مجرد فتح باب من أي عدد من الأبواب المسدودة على الشر والحرب والانتقام يسرع بفتح بقية الأبواب وبنفس الاتجاه نحو الشر.

أما ما ذكر في سورة التوبة الآية ٣٦ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِنْدَ ٱللهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ ٱللهِ يَوْمَ خلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَ كُمْ كَافَّةً...﴾ فهي تحديد لعدد الأشهر الحرام والمعروفة سلفًا عند العرب ولكن بإضافة «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» أي مشروعية القتال والحرب فيهم مع بقية الأشهر الأخرى عندما يتطلب الأمر ذلك.

وبذلك ضرب محمد في إحدى أهم ركيزة من ركائز أخلاقيات وأعراف القبائل العربية الذي كناهم بالجاهلية ظلماً!

النَّسخ بين الكتاب المقدَّس والقرآن

جاء في إنجيل (متَّى ٥: ١٧، ١٨) «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ ٱلنَّامُوسَ أَوِ ٱلْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ

لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ ٱلْكُلُّ.»

أما في القرآن فالأمر ليس كذلك، فقد ورد في الآية ١٠٦ من سورة البقرة يقول الله ﴿مَا نَنْسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. هل من المنطق أن الله ينسى ويسهو أو أنَّه لا يعرف ما يقول حتى ينزل اليوم آية ويأتي بعد أسبوع ليلغيها ويستنسخها؟ إن بعض المبرِّرات الواهية للمسلمين كون الله أراد أن لا يثقل كاهلهم أو أنه أراد أن يعودهم على اتِّباع حالة ما جديدة وبطريقة التقطير لهو طرح ومبرر لا يمر إلَّا على السُّذَّج من الناس. لأنه وببساطة فعندما يطالب الله العباد بتنفيذ أمر ما فمن المنطقي أن تلبى دعوته فورًا، لأنهم مسلمين أولًا ومن ثم فإن الله وبقدرته الواسعة وغير المحدودة يستطيع التصور والتوقع. وبذلك لا يحتاج إلى أن يستنسخ بين الآونة والأخرى ليأتي بالأحسن أو بالمثل وبدلًا من ذلك يستطيع أن يقرر ومن الأول ما هو الأفضل والأحسن لعباده.

ويأتي في الآية ١٤٤ من نفس ليقول في موضوع القِبْلَةِ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ لماذا يأمر الله وبعد السورة السابعة والثمانون من القرآن بتغيير القِبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام؟ هل كان يخاف الله من اليهود والنصارى ولحد السورة السادسة والثمانين ومن ثم تشجَّع وأمر بالتغيير وقد قارب القرآن على الانتهاء؟! ألم يكن من

المعقول أو من المفضل أن يكون طلب مثل هذه الأساسيات منذ البداية؟ وهل أن في مثل هذا المطلب إحراج لله؟! أم أن المنطق يحكم بأنه عندما استطاع محمد وقويت شكيمته فرض ورتب كل ما أراده لمصلحته الشخصية ولمصلحة المسلمين. وأين كان المسجد الأقصى وقتها؟ المعلوم تاريخيًا أن المسجد الأقصى بُنِيَ أيام عبد الملك بن مروان عام ٦٥هـ. والغريب أن الصلاة فُرِضَت على المسلمين في في حادثة الإسراء والمعراج أي قبل هجرة محمد للمدينة بثلاث سنوات، فكيف يكون هناك بناء لمسجد قبل أن يُفرَض شيء على المسلمين اسمه الصلاة؟

﴿مَا نَنْسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة البقرة ٢ : ١٠٦).

قالت العرب: «إنّ محمدًا يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولًا ويرجع عنه غدًا. ما يقول إلّا من تلقاء نفسه». وكان ذلك سبب ضياع ثقتهم به. وجاء في النحل ١٦ : ١٠١ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. والحق أن كلام الله ثابت لا يتغيّر. قال المسيح: «إِلَى أَنْ تَزُولَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ ٱلنَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ ٱلْكُلُّ.»(متَّى ٥ : ١٨) فالعرب قالوا إنَّ محمدًا افترى على الله بقوله إنه ينسخ كلامه ويبدّل آياته.

وعن ابن عباس قال: «كان ربما ينزل على محمد الوحي بالليل ونسيه بالنهار» فأورد قوله ﴿ما ننسخ﴾ إلى آخره (الطبري في تفسير هذه الآية، وأسباب النزول للسيوطي في سبب نزولها).

وعلى كل حال فلا يليق بالله أن يأمر بشيءٍ ثم ينهاهم عنه، فكلامه كذاته وصفاته لا يتغيّر. أما البشر فكلامهم يتغيّر لأن صفاتهم الضعف والجهل والعجز، ولذا أنكرت طائفةٌ من المسلمين إمكان وقوع النسخ في القرآن.

ومن الغرائب أن محمدًا كان ينسى بالنهار ما يُوحَى إليه بالليل، فإن الله يعلّم الرسل والأنبياء الحكمة والفهم، ويحفظهم من الخطأ والنسيان. وبما أن محمدًا كان ينسى فهو ليس منهم. وقوله إنَّ الله على كل شيء قدير، بعد قوله إن الله ينسخ آياته ليس في محله، فكأنه قال إن الله قادر أن يغيّر ذاته وصفاته، مع أنَّ قدرة الله لا تتعلَّق إلَّا بالممكنات لا بالواجبات، كما هو مقرَّر في علم الكلام.

وقد أجمع المسلمون على عدم امتناع النسيان من الأنبياء، ومع ذلك قال محمد: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون»[٥٥]. كما أنَّه نسي أيضًا في أمور مختصة بالمعاملات والعبادات، حتى قيل له في التوبة ٩: ٤٣ ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾. قال المفسرون: «اثنتان فعلهما محمد لم يُؤمر بشيء فيهما» إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من أسارى بدر. وورد في الأنفال ٨: ٦٧ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾. وورد في التحريم ٦٦: ١﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾. وورد في الأحزاب ٣٣: ٣٧ ﴿تَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾. وكذا نسيانه في الصلاة، فقام من ركعتين وسلم، حتى سألوه: «أقصرتَ الصلاة أم نسيتَ يا رسول الله؟».

٥٥ مشكاة المصابيح تحقيق الألباني حديث ١٠١٦

فاعتدوا عليه

بقول المسيح له المجد: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ ٱلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ» (متى ٥: ٤٤).

أما القرآن فيقول في سورة البقرة ٢: ١٩٤﴿فَمَنِ ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾.

والقرآن مشحونٌ بما يحضُّ على قتل من خالف المسلمين في الدين، فإذا وُجدت آية قرآنية تأمر بمعروفٍ أو إحسانٍ نُسخَت بما يحضّ المسلمين على القتال، كما قال علماء المسلمين الذين ألّفوا كتاب الناسخ والمنسوخ، مثل أبي القاسم هبة الله ابن سلامة أبي النصر وابن حزم وغيرهما، فقرروا أن عبارة القتال نَسَخت وألغت كل عبارات الرفق واللين. وعليه فالمعمول به هو قوله ﴿فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة ٥) وهذه الآية نسخت ١٢٤ آية من القرآن تأمر بالعفو. وقوله في التوبة ٢٩ ﴿قَاتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ إلى أن قال ﴿حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وورد في التوبة ٧٣ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ وورد في النساء ٤: ٨٩ ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ولا يخفى أن محمدًا أمر المسلمين بقتال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب.

كيفية الصلاة والدعاء إلى الله

يقول ربُّ المجد في إنجيل متَّى ٦: ٩ - ١٣ «فَصَلُّوا أَنْتُمْ

هٰكَذَا: أَبَانَا ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ. لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا ٱلْيَوْمَ. وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ. لِأَنَّ لَكَ ٱلْمُلْكَ، وَٱلْقُوَّةَ، وَٱلْمَجْدَ، إِلَى ٱلْأَبَدِ. آمِينَ». وفي إنجيل لوقا ١٨ : ١٠ - ١٤ عن مَثَلِ الفريسي والعشار «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَٱلْآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا ٱلْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هٰكَذَا: اَللّٰهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي ٱلنَّاسِ ٱلْخَاطِفِينَ ٱلظَّالِمِينَ ٱلزُّنَاةِ، وَلَا مِثْلَ هٰذَا ٱلْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي ٱلْأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا ٱلْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: ٱللّٰهُمَّ ٱرْحَمْنِي، أَنَا ٱلْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هٰذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ.»

فعند قراءتنا للصلاة الربانية نجد نموذجا يحتذى به في كيفية الصلاة دون إدانة أو تكفير لأحدٍ، أو غمز وهمز ولمز في طائفة أو دينٍ أوملَّة كما فعل الفريسي. فسورة الفاتحة في القرآن وهي أول سورة في القرآن تعتبر تطبيق عملي لصلاة الفريسي التي حذَّر رب المجد منها وخاصة آية ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾.

﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّالِّينَ﴾.

(١) يقول المسلمون «إنّ القرآن هو كلام الله، نزَّله على محمد».

فهل يقول الله: إيّاك نعبد، وإيّاك نستعين؟ وهل يطلب الله من نفسه، ولنفسه، أن يهتدي للصراط المستقيم؟ ولمن يوجّه الله هذا الدعاء؟ ألا يعني هذا أنّ الفاتحة هي كلام محمد ودعاؤه إلى الله طالبًا الهداية؟

(٢) وألم يكن أكثر بلاغة أن يدعو: بك نستعين من أن يقول: وإيّاك نستعين؟

(٣) أجمع مفسّرو المسلمين إنّ المغضوب عليهم هم اليهود وإنّ الضالين هم النصارى. فكيف يصحّ هذا التفسير أو يتفق مع القرآن نفسه حيث يقول عن اليهود إنّ عندهم التوراة فيها حكم الله وفيها هدى ونور (المائدة ٥: ٤٣، ٤٤) والنصارى عندهم الإنجيل فيه هدى ونور (المائدة ٥: ٤٦).

أليس من الأنسب أن يكون المغضوب عليهم والضالون هم المنافقين والكافرين؟

يقول المسلمون إن القرآن معجزة لغوية، وبالتالي لا بد وأن تتوفّر فيه عناصر البلاغة والفصاحة. وإذا تأمَّلنا سورة الفاتحة وجدنا فيها لغو وزيادة، مثل تكرار كلمة «صراط». وكذلك اختلفت النُّسخ في قراءة هذه الآية، فمنهم من كان يقرأها «صراط الذين أنعمت عليهم» ومنهم من كان يقرأها «صراط من أنعمت عليهم».

ونحن المسيحيين نرى أن بمقدورنا أن نأتي بسورة مثل سورة الفاتحة، تضاهيها بلاغة وفصاحة، وكذلك خالية من التكرار واللغو مثل القول ﴿الحمد لله ربُّ الأكوان، الملك الديَّان، لك العبادة وبك المُستعان، اهدنا صراط الإيمان﴾.

وأخيرًا، إنَّ من يستطيع أن يفكِّر روحيًا حسب الإنجيل يفزع عند قراءة هاتين الطلبتين الأخيرتين في الفاتحة. فهما تضاهيان العناد والإصرار اللذين يتكرران سبع عشرة مرة في اليوم تقريبًا. فيطلب المسلم إلى الله بإلحاح أن لا يهديه طريق موسى، وأن يحفظه في كل حال من إيمان المسيحيين. وبهذا يهرب قصدًا من معرفة الخطايا على صفحة مرآة الوصايا العشر، ويدعو الله متوسلًا أن ينجيه من تأثير دم يسوع المسيح ابنه الوحيد. يعلّم المسلم التقي أولاده مسبقًا أن المسيحيين يؤمنون بآلهة ثلاثة، ويدّعون أن أحدهم صُلب، فيشدِّد عليهم أن لا ولن يؤمنوا بأكاذيب كهذه وإلَّا يسقطون في جهنم.

ليست الفاتحة صلاة المسلمين الرئيسية فحسب بل هي إحدى الوسائل الفعالة أيضًا التي تقسي قلوبهم وتحجّر أذهانهم تجاه الخلاص في المسيح. وإن ظهرت الفاتحة في بادىء الأمر كصلاة التقوى الطبيعية فيتضح في آخر الأمر أنها أداة نفوذ ضد الإيمان بالمسيح. فسورة القرآن الأولى تبعد الكثيرين من المسلمين عن الحياة الأبدية التي أعدَّها المسيح لهم.

ترينا المقارنة بين الفاتحة والصلاة الربانية أن الصلاة والصوم والتدين لا ولن تخلِّص الإنسان. وإن ظلت التقوى الطبيعية بقية من الفردوس المفقود. فحالما تمنع الديانات العظمى أتباعها عن الخلاص المُعدّ لهم بموت يسوع، تتغيَّر إلى قوى سلبية وتحارب المصلوب الحي وتثبت المتقين في شرائعها ومحاولة إنشاء الخلاص الذاتي. فخضوعهم لله وتضحياتهم الكبيرة باطلة وبدون نفع، لأنه لا خلاص إلَّا بدم المسيح. فالأديان التي تعلِّم أنّ طريقة موسى لا

تجلب إلَّا الغضب وطريقة المسيح هي ضلال، تحارب الحق وتربط أتباعها في الهلاك الأبدي وتمنعهم من قبول الخلاص المجاني.

اللّه يأمر الشيطان أن يستفزّ الناس:

«وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ» متّى ٦ : ١٣

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الإسراء ١٧: ٦٤).

هذه الآية تناقض كل معاني الخير والدعوة إليه! وقد وصف بها القرآنُ اللهَ الرحمنَ الرحيم، فقال إنه أمر الشيطان أن يستفزّ الناس ويهيّجهم بدعوتهم للفساد، ويجلب عليهم صياح أعوانه الأبالسة مِن راكبٍ وراجل ليكسبوا المال الحرام ويجمعوه، وليلدوا الأولاد بالسبب المحرَّم. وهذا يعني أن إبليس ينفّذ الأوامر الإلهية!

فإن كان الأمر كذلك فكيف يكون الله قدُّوسًا؟ وكيف يكون للبشر قاضيًا عادلًا؟ وكيف يحاسَب إبليس وهو ينفذ أوامر الله؟

ما أعظم الفرق بين هذه وبين ما علّمنا المسيح أن نصليه: «وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ» متّى ٦ : ١٣

الإغراء بالمال

يقول الإنجيل (متى ١٠ : ٧، ٨) «وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ٱكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا

بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا.»

أما القرأن فيبيح استخدام المال للإغراء في نشر الدين جاء في سورة التوبة ٩ : ٦٠ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

وفسَّرها البيضاوي بقوله: «المؤلَّفة قلوبهم» قوم أسلموا ونيّتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم. أو أشراف قد يترقّب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم. وقد أعطى رسول الله عُيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك. وقيل أشرافٌ يُستألفون على أن يُسلِموا فإنه (صلعم) كان يعطيهم. وقد عدّ منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة. وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام. فلما أعزّه الله وأكثر أهله سقط.

لكن هل يبيح الدين الإغراء بالمال للدخول فيه؟ وهل يُؤجر الناس ويُرشَون ليهددوا ويقتلوا الذين لا يرغبون فيه؟ وهل هذا المال يُعتبر زكاة وصدقة أم يُعتبر رشوة ومفسدة؟

اختلاف أسلوب نشر الدين

يقول الإنجيل (متى ١٠: ٥ - ١٠) «هؤُلَاءِ ٱلِٱثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلِ ٱذْهَبُوا بِٱلْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ٱكْرِزُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ

مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا. لَا تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ،وَلَا مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلَا ثَوْبَيْنِ وَلَا أَحْذِيَةً وَلَا عَصًا، لأَنَّ ٱلْفَاعِلَ مُسْتَحِق طَعَامَهُ.»

أما القرآن يقول في سورة (النساء ٤ : ٧٤) ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. فالآية واضحة وصريحة تحث على نشر الدين بالقتال، وبعد ذلك تجد من يتبجح ويقول إنَّه انتشر بالسلام والمودة والرحمة!

وفي سورة الفتح ٤٨ : ١٦ و١٧ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمالَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

قال البيضاوي: قل للمخلَّفين من الأعراب - كرَّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم وإشعارًا بشناعة التخلف. ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد - بني حنيفة أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله (صلعم).أو المشركين فإنه قال تقاتلهم أو يسلمون - أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا غير كما دل عليه قراءة، أو يسلمون ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطي الجزية. فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا - هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة.

ونحن نسأل: هل يقوم دين صادق إلَّا على الحجة والبرهان، لا على الإرهاب والاستبداد؟ وإن كانت الآيات المكية تحضّ على السلم والآيات المدنية تحض على القتال، فأي آيات منها أرسخ وأثبت؟ وأيها أنسب من حيث الإيمان والثواب؟

إن الإرهاب يدفع للنفاق.

قال الشاعر:

أسلم الكافرون بالسيف قهرًا .... وإذا ما خَلَوا فهم مجرمون

سَلِموا من رواح مالٍ وروحٍ ...... فلا هم سالمون ولا مسلمون

ومما يؤكد أنَّ الإسلام دين شيطاني ولا علاقة له بالله هو كيف عاش محمد وأصحابه هذا الدين وطبَّقوا مبادئهم على سلوكياتهم! فالنلقي نظرة على تاريخهم الذي دُوِّن بأيديهم في أسلوب نشر الدعوة، فالدين هو آخر شيء فكَّروا فيه، فالهدف الأول كان سلب ونهب القبائل والبلاد الذين توجهوا إليها ليفتحوها عن طريق الجهاد.

فنقرأ في سورة (التوبة ٩: ٨١، ٨٢) ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فقالوا إن المراد هنا بالمخلفين هم الذين تخلَّفوا عن القتال في غزوة تبوك اعتبارًا بأنَّها وإن كانت لأجل غزوهم ونهبهم وسلب أموالهم بالقوة، لكنَّها جهاد في سبيل الله!!

فقد كانت الغنائم من الأسباب الرئيسية للغزوات القبلية

حيث كانت القبائل تغزو بعضها بين الحين والآخر، وبحسب موازين القوة في ذلك العمل وبناءًا على الحاجة الملحة لتغطية احتياجات القبيلة وسدها. فكان يتم الغزو للحصول على الغنائم أولًا وأخيرًا. ومبدأ الغنيمة في الحرب قائمٌ لحد الآن وشرعًا ولكن إذا كان هناك موضوع مبدئي وفلسفي أكبر من الغنيمة فإن طرح فكرة ومنهجية الغنائم تنسحب إلى الوراء. وهذا عكس ما حدث وبُنِيَ عليه الإسلام فلقد بدأ محمد وبنفسه بقاعدة الغنيمة أولًا. ثم نَشْرِ الإسلام ثانيًا. وبذلك استمدت موضوع الغنائم وأهميتها أكبر من موضوع وطروحات الإسلام الفكرية وكنتيجة لذلك الطرح. ولو كان الإسلام فعلًا يهتم بالدرجة الأولى بتوصيل كلمة الله ودعواته بالتمسك بالبر والتقوى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لكان من الصعوبة بمكان استمراره حتى الآن. ولكن منح الشرعية للغنيمة وبأوجه عدة جعله يستمر! غنيمة محمد في الأرض وغنيمة الله في السماء؟! وللدلالة على اهتمام محمد الشخصي بمبدأ الغنيمة أولًا فإنه قام وبعد وصوله إلى المدينة (مهاجرًا من مكة) بأيام قليلة فقط ببث أوامره للمسلمين بالهجوم على المضارب والقرى المحيطة بها. وكان يقود المسلمين بنفسه في بعض الأحيان والعملية هنا كانت تطلق عليها اسم «غزوة» وفي أخرى كان يعقد اللواء (يمنح القيادة) لبعض المسلمين للقيام بالمهمة «السَرِيَة»، وهكذا فلقد أتمَّ بنفسه ٢٧ غزوة وبالمسلمين ٣٨ سرية للفترة بين هجرته للمدينة وفتح مكة.

وهكذا فلقد رتَّب محمد أمور المسلمين وهيأهم وبناهم على مبدأ أو على أمل الحصول على الغنائم دائماً، وكان الدافع

الرئيسي للاستمرار بالولاء له ولدينه. وكانت الغنائم تشمل ما يتم السيطرة عليه في الغزوات والسرايا من مال ومتاع وأسلحة ونساء وحتى الذُّرِّية في بعض الأحيان وكانت قطعان الإبل والنساء من الأهداف الرئيسية لهم. وكان تصريف الغنائم يتم وبشكل عام على الوجه الآتي:

١ - المال والمتاع والإبل والنساء وغيرها كانت تخمَّس ويكون نصيب محمد الخُمس. والباقي توزع بإرادته على المساكين في الغزوة أو السرية أولًا ثم على بقية المسلمين (عند الفائض).

٢ - النساء كانت سبايا توزع على المؤمنين. لتبقى عندهم كجواري يفعلون بهن ما يشاؤون.

٣ - الذُّرِّية كانت تُباع في الأسواق لمصلحة المسلمين أو كانوا يبقون عندهم كخدم أو عبيد.

٤ - الأسلحة كانت تُوزَّع عند الحاجة والمتبقي يحفظ عند محمد، وكان يختار منه لنفسه المذهب أو الململع. ومن الجدير بالذكر بأن النساء وطريقة توزيعهن كان يشكِّل نزاعات وخلافات كثيرة بين المسلمين وكان محمد بنفسه طرف في بعض هذه النزاعات.

وهذه بعض من الآيات القرآنية التي ذكرت في مجال الغنيمة وبعض ملاحظتنا: الآية ١٩ من سورة الفتح ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾. الآية ٢٠ من سورة الفتح أيضًا ﴿وَعَدَكُمُ ٱللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾.

وأُنزلت الآيات أعلاه بعد بيعة العقبة التي بايع فيها مجاميع

من قبيلتي الأوس والخزرج محمدًا تحت الشجرة. والغريب في الآيتين أنَّ الله بنفسه يعدهم بمغانم كثيرة يأخذونها! وذكر الغنيمة هنا يأتي بمعناه الحرفي وليس الرمزي «كأن يقصد به الجنة أو ما شابه» ورجوعًا إلى الآية ١٥ من نفس سورة الفتح يتبين أن الغنيمة (غنيمة المال والمتاع) هو المقصود والمراد أبدًا حيث تقول الآية ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي عندما تذهبون لجلب الغنائم أبلغونا حتى نأتي معكم؟! ليس لإعلاء كلمة الله بل للغنيمة. أما التحديد التي تمت لتوزيع الغنائم وحصة محمد فيه فلقد كانت بالآية ٤١ من سورة الأنفال ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾.

وجاء في الآية ٧ من سورة الحشر ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَللهِ وَلِلرَّسُولِ... وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا...﴾ ويقصد بمضمون الآية أن لا يعترض أحدٌ من المسلمين على طريقة توزيع الغنائم والهبات فما يعطيه محمد عليهم أن يأخذوه وما يمنعه عليهم أن يمتنعوه. ومن غريب ما يضاف على فقرة الغنائم والهبات هو ما ذكر في الآية ١٢ من سورة المجادلة ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خيرٌ لَكُمْ...﴾

ويعني يا أيُّها المسلمين إذا حضرتم مقام محمد وتناجيتم (تكلمتم) معه فقدموا له الصدقات ذلك خير لكم! وهنا انقلبت المراسيم والعادات الخاصة باستقبال وضيافة الناس في الديوان العربي المشهور بكون صاحب الديوان سواء أكان أميرًا أو شيخ قبيلة أو تاجرًا هو المعطي والمانح للهبات والصدقات وليس

العكس... ويطبق هنا الكلام الشعبي الشائع عند العراقيين والذي يقول بأن الكلام معه أيضًا بفلوس «الحيحي بفلوس». وأخيرًا وإذا كان هناك من يحاجج من المسلمين ويقول بأن المال والمتاع كان ضروريًا لإدامة وبقاء الإسلام؟ فإنني أقول وببساطة هل إسلامكم دين أم تجارة؟ هل هو دين من عند الله كما تدعون؟ ولكن الله لا يرضى ولا يقبل أبدًا بأن يبنى معبده على مبدأ جمع الغنائم ليستمر دينه ودعواته لأنه أكبر وأعلى من أن يعتمد هو أو من كلَّفه بالرسالة من الاعتماد على المصادر البشرية الفانية للوصول إلى أهداب الخير.

غزوات وسرايا من أجل الغنائم:

من أهم الغزوات (المعارك الذي قادها محمد بنفسه) والتي كانت الغنائم مبدأها وأساسها وليس الدعوة إلى الإسلام:

١ - غزوة بدر الكبرى:

حيث خرج محمد مع المسلمين لقطع الطريق على قافلة لقريش كان يقودها أبو سفيان. والقافلة كانت فيها تجارة وأموال قريش ولم يكن فيها من القريشين (المشركين) إلَّا الأعداد المرافقة لها. ولكن الهدف الأساسي لمحمد كان المال والتجارة وليس الدعوة للدين الجديد ولو كانت هذه الغزوة موجَّهة نحو قريش نفسها وفي عقر دارها كما حدث في فتح مكة لكان مبررنا في الادِّعاء (بأنه كان يقصد المال والمتاع) ضعيفًا.

٢ - غزوة أُحُد:

صحيح أن غزوة أُحُد لم تكن مباشرة من أجل الغنيمة ولكن كاد محمد وأصحابه أن يفنوا من وراء الغنائم! فدافع حُبِّ المال والمتاع واضحة وجليَّة. إن تأثير مبدأ الغنيمة فيه كانت أكبر من مبدأ الالتزام بنصوص ومناسك الدين الإسلامي الذي آمنوا به. حيث ترك مجموعة حماية ظهر الجبل نصائح رسولهم عندما شاهدوا بقية زملائهم يهمُّون بجمع الغنائم وانضموا إليهم مما كشف ظهرهم لخالد بن الوليد وبمناورة عسكرية كاد أن يقضي عليهم لولا أصالة أبو سفيان واحترامه لفنون الحرب واكتفائه بإعلان النصر على محمد بقوله «اعلو هُبَل»

٣ - غزوة ذات الرقاع:

في هذه الغزوة فإن محمدًا ساءهُ سماع خبر بأن المسلمين لم يجدوا أحدًا عندما أرسلهم وعادوا بخفي حنين، ولهذا فقد قادهم بنفسه حتى نزل نخلاء وهو مكان في نجد بأراضي غطفان ولم يجد في مجالسهم إلَّا نسوة فأخذهن سبايا! فلم يكن ليرجع خالي اليدين واكتفى بالنساء وبعض المال كغنيمة في هذه الغزوة غير الناجحة.

٤ - غزوة بني المصطلق:

ومن طرائف هذه الغزوة القاسية أن المسلمين بعد أن قتلوا الرجال والنساء وأخذوا الذرية وساقوا النعم والنساء، قد ظهر بينهم حالة جديدة في مبدأ تقسيم الغنائم وهي أنه كانت من بين جملة السبايا فتاة حسناء وقعت في السهم لثابت بن قيس، وهي «جويرية بنت الحارث» رئيس بني المصطلق ولكن وعند وصول

أخبار جمالها وملامح جسدها إلى محمد فإنه قام بترتيب بعض الأمور والمفاهيم حتى استطاع إخراجها من حصة ثابت وجعلها من حصته هو!

٥ - غزوة بني سليم:

بعد انقضاء سبع ليال فقط من غزوة بدر غزا بنفسه بني سليم! فلقد استغل محمد نصرهِ في بدر وانتشار الروايات والقصص المختلفة عنه كالعون والمدد الإلهي واشتراك الملائكة فأراد التوسع والانتشار وبأسرع ما يمكن لا لنشر الدعوة بل للحصول على أكبر كمية ممكنة من المال والمتاع والسلاح والحالة في هذه الغزوة شاهدة للعيان حيث أن بني سليم وبمجرد سماعهم خبر نيَّة المسلمين بغزوهم تركوا المال والحلال وراءهم فغنمها محمد وكان في الحلال ٥٠٠ بعيرًا.

٦ - غزوة حنين:

ومن إضافات محمد في هذه الغزوة أنه قال «من قتل قتيلًا فله سَلْبَهُ» لم يكتف هنا بالغنائم بل دعا إلى سَلْبِ من يُقتل! وكان هذا من جديد محمد في العُرْف والعادات القَبَلية التي لم تكن تقبل التنكيل بالموتى أبدًا.

ومن أهم السرايا (الغزوات التي كان يقودها أحد المسلمين) التي شكلت وحاربت من أجل الغنائم:

(١) سرية بشير بن سعد الأنصاري:

أرسل محمد هذه السرية إلى بني مرة بفدك وعقد اللواء فيه لبشير الأنصاري حيث قاد المسلمين وكان عددهم ثلاثين. ولما

وصلوا إلى محل بني مرة لم يلقوا إلَّا رعاة الشاة فاستاق ونهب بشير النعم والنساء وقفل راجعًا إلى المدينة ولكن أدركه أعداد كثيرة من بني مرة عند الليل فأخذوا يرمون المسلمين بالنبل (السهام) حتى أصابوا الكثيرين منهم فهرب من هرب وجرح بشير وعاد إلى المدينة بصعوبة. إذا كان هدف المسلمين في هذه السرية هو نشر الدعوة، فلماذا لم ينتظروا رجوع بني مرة لإبلاغهم برسالة الإسلام؟ لكنهم استغلوا فرصة عدم وجود القوم فقاموا أول ما قاموا بالسلب والنهب ومن ثم قفلوا راجعين.

(٢) سرية غالب بن عبد الله الليثي:

وكانت موجهة إلى أهل المنيعة بناحية نجد، وكان مع غالب مائة وثلاثين راجلًا من المسلمين. وقد هجموا على أهلها وبطريقة المباغتة وفي وسط محالهم فقتلوا الكثيرين منهم واستاقوا نعماً ونساء إلى المدينة. وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رجلًا اسمه مرداس بعد أن قال «لا إلٰه إلَّا الله محمد رسول الله» حتى من أجار باسم محمد لم يخلص من القتل! لأن الغنيمة أعمت بصيرتهم، فهي الهدف وليس غيرها، أما أن يأتي محمد ليصلح ما أفسده زيد بقوله في الآية ٦ من سورة التوبة ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللهِ﴾ فإنه نوع من البراءة لحالة الخزي الذي وصل إليه أصحابه لأنه لم يكن أبدًا في عُرْف العرب قتل الأجير.

(٣) سرية الغر:

أرسل محمد بعض المسلمين إلى ناحية الغر وهي قريبة من المدينة فهرب الناس منه بأموالهم ومتاعهم، وعند مجيء المسلمين

إليه لم يجدوا شيئًا. ولكنهم وجدوا رجلًا من الغر فآمنوه على حياته مقابل أن يدلهم على مكان النعم. وفعلًا فلقد أطلقوا سراح الرجل بعد أن دلَّهم على موقع الإبل فاستاقوا مائتي بعير وقدموا الإبل لمحمد! لا أضيف هنا أي تعليق سوى أنني لو كنت مع المسلمين في هذه السرية لكنت قد دعوت هذا الرجل على الأقل إلى الإسلام قبل أن أدعوه ليدلني على مكان النعم!

(٤) سرية دومة الجندل:

في غزوة دومة الجندل لم يستطع محمد إكمال الطريق لبُعد المسافة ولحرارة الجو، فرجع قافلًا إلى المدينة. وكانت دومة الجندل هذه على بعد خمس عشرة ليلة من المدينة، وبعد ذلك عقد اللواء لخالد بن الوليد لإكمال ما لم يستطع محمد إكماله. وعند وصول خالد إلى مشارفه تصالح مع كبير كبيرهم وأجاره على أن يفتح له دومة الجندل مقابل ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وقد عزل خالد صفيا خالصا لمحمد. والغنيمة هذه المرة وبذكاء خالد وشجاعته كانت بصورة أخرى فبمقابل الإجارة أخذ ما يكفي من المال والحلال والسلاح الذي هو الهدف الأساسي لهم.

ونأتي الآن إلى أقوال علماء الإسلام أنفسهم، فقد قال الرازي في تفسير آية (سورة النساء ٤ : ٨٥) ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ ما يلي:

(١) إن الله تعالى أمر الرسول عليه السلام بأن يحرِّض الأمة على الجهاد، والجهاد من الأعمال الحسنة والطاعات الشريفة، فكان

تحريض النبي للأمة على الجهاد تحريضًا منه لهم على الفعل الحسن والطاعة الحسنة، فبيَّن تعالى في هذه الآية أنَّ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها، والغرض منه بيان أنَّه عليه الصلاة والسلام لما حرَّضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرًا عظيماً.

(٢) إنه تعالى لما أمره بتحريضهم على الجهاد ذكر أنَّهم لو لم يقبلوا أمره لم يرجع إليه من عصيانهم وتمردهم عيب، ثم بيَّن في هذه الآية أنهم لما أطاعوا وقبلوا التكليف رجع إليهم من طاعتهم خيرٌ كثيرٌ، فكأنه تعالى قال للرسول: حرِّضهم على الجهاد، فإن لم يقبلوا قولك لم يكن من عصيانهم عتاب لك، وإن أطاعوك حصل لك من طاعتهم أعظم الثواب، فكان هذا ترغيبا من الله لرسوله في أن يجتهد في تحريض الأمة على الجهاد، والسبب في أنَّه عليه الصلاة والسلام كان يرجع إليه عند طاعتهم أجر عظيم، وما كان يرجع إليه من معصيتهم شيء من الوزر، هو أنه عليه السلام بذل الجهد في ترغيبهم في الطاعة وما رغبهم البتة في المعصية، فلا جرم يرجع إليه من طاعتهم أجر ولا يرجع إليه من معصيتهم وزر.

(٣) يجوز أن يُقال: إنه عليه الصلاة والسلام لما كان يرغبهم في القتال ويبالغ في تحريضهم عليه، فكان بعض المنافقين يشفع إلى النبي ﷺ في أن يأذن لبعضهم في التخلف عن الغزو، فنهى الله عن مثل هذه الشفاعة وبين أنَّ الشفاعة إنما تحسن إذا كانت وسيلة إلى إقامة طاعة الله، فأما إذا كانت وسيلة إلى معصيته كانت محرَّمة منكرة. إلى هنا انتهي كلام الفخر الرازي.

فالكتاب المقدَّس من التكوين إلى الرؤيا ينهي عن كل شيء

يؤخذ خلسة ويعتبره سرقة سواء بالقوة والغزو أو بالحيلة، وكلنا نعرف قصة عخان بن كرمي الذي كدَّر إسرائيل بفعل السرقة فكانت نهايته في ذلك. أما القرآن فإنَّه يجيز هذا وذاك ويحرِّض عليهما تحت مسمى «الجهاد في سبيل الله».

الإكراه على الإيمان

قال رب المجد: في إنجيل متَّى ١٠: ١١ - ٢٠«وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَٱفْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌ، وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا. وَحِينَ تَدْخُلُونَ ٱلْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ ٱلْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَلكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ. وَمَنْ لَا يَقْبَلُكُمْ وَلَا يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَٱخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذلِكَ ٱلْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ، وَٱنْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لِأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ ٱلدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ ٱحْتِمَالًا مِمَّا لِتِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَٱلْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَٱلْحَمَامِ. وَلٰكِنِ ٱحْذَرُوا مِنَ ٱلنَّاسِ، لِأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلَاةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ.»

كلام رب المجد واضح وغني عن التعريف. أما القرآن فله أسلوب آخر لنشر الدعوة يعرفه جميعنا، وما رأيناه بعيوننا من اضطهاد وقرأناه في كتب التاريخ يشيب له الغراب! فتعالوا

نلقي نظرة عن قرب في هذا الأمر من واقع القرآن والأحاديث والتفاسير.

(١) آيات مدنية تحضُّ على القتل

جاء في سورة الأنفال ٨: ٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلقِتَالِ﴾. وجاء في سورة البقرة ٢: ٢١٧ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾. وجاء في سورة التوبة ٩: ٤١ و٧٣ ﴿ٱنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ... يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلكُفَّارَ وَٱلمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلمَصِيرُ﴾ وجاء في سورة محمد ٤٧: ٤-٦ و٣٥ ﴿فَإِذَا لقِيتُمُ ٱلذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ ٱلحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَٱلذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلجَنَّةَ عَرَّفَهَا لهُمْ... فَلَا تهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾. وجاء في سورة البقرة ٢: ٢١٦ و٢٤٤ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ... وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وجاء في سورة الأنفال ٨: ٦٠ ﴿وَأَعِدُّوالهُمْ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ ٱلخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. كما جاء في سورة الأنفال أيضًا ٨: ١٢ و١٣ و٣٩ ﴿أُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ... وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ

ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ ٱنْتَهَوْا فَإِنَّ ٱللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. وجاء في سورة التوبة ٩: ٢٩ و١١١ ﴿قَاتِلُوا ٱلذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ... إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَى مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾. وجاء في سورة آل عمران ٣: ١٢١ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ (أي من حجرة عائشة) تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وجاء في سورة النساء ٤: ٧٦ ﴿ٱلذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ﴾. وجاء في سورة الأنفال ٨: ٦٧ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

هذا قطرة من غيث! ونحن نسأل: وهل يُكرِهون الناس على قبول الدين بالسيف؟ وإذا كان القتل محللاً فما هو الحرام؟ وكيف يُحرّض نبيٌّ على القتال، وانتهاك الأشهر الحرم، وتجهيز القبائل بالعتاد والسيوف ليقتل وينهب، ويقول إن هذا في سبيل الله والدين، ويغري أتباعه بالغنائم، وأخذ الجزية في الدنيا والجنة وحور العِين في الآخرة؟؟ ولقد جاء في حديث مسلم أن محمدًا قال «اغزوا باسم الله في سبيل الله. فاقتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تَغدروا ولا تُمثلوا ولا تقتلوا وليدًا».

(٢) أمّا بخصوص الآيات التي تدعو إلى السلم (المكّيّة)، ففي القرآن نهجان متباينان كأنهما من نبيين مختلفين، تعاركا حتى هزم ثانيهما الأول فأسره وعطل رسالته! حظر الأول إيذاء مَن لم يؤمن به وقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ وَٱلْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ

أَسْلَمُوا فَقَدِ ٱهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلبَلَاغُ وَٱللهُ بَصِيرٌ بِٱلعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران ٣: ٢٠). وقال ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي ٱلأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ﴾ (سورة يونس ١٠: ٩٩ و١٠٠). وقال ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلحِسَابُ﴾ (سورة الرعد ١٣: ٤٠). وقال ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلكَافِرِينَ وَٱلمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ﴾ (سورة الأحزاب ٣٣: ٤٨). وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (سورة الإسراء ١٧: ١٠٥).

ولكن الثاني نسخ حُكْم هذه الآيات ولو أنَّه لم يمحُ حرفها من القرآن، بل أبقاهاللتلاوة فقط. واتَّخذ في موطن هجرته بالمدينة منهاجًا جديدًا هو الحرب والعنف والقتال! فكيف يوفّق المسلم بين هذه الآيات، المكي والمدني؟ السلمي والحربي؟

جواز الكفر باللسان

قال المسيح: «وَلَا تَخَافُوا مِنَ ٱلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ٱلْجَسَدَ وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا بَلْ خَافُوا بِٱلْحَرِيِّ مِنَ ٱلَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ ٱلنَّفْسَ وَٱلْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ ٱلنَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلٰكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ ٱلنَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ» (متى ١٠: ٢٨، ٣٣).

والقرآن ﴿مَنْ كَفَرَ بِٱللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ ٱللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل ١٦: ١٠٦).

نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه وغيرهم فعذّبوهم، وقتلوا أباه وأمه، وأما عمار فوافقهم وكفر بمحمد وقلبه كاره. فأتى عمارُ محمدًا وهو يبكي فقال له محمد: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئنًا بالإيمان فجعل محمد يمسح عينيه وقال: إن عادوا فعُدْ لهم بما قلت. يعني يجوز الكفر باللسان إذا كان في القلب الإيمان.

وهذا تعليم فاسد، فهل يرضى الله بالشِرْك به باللسان؟

علاقة العذراء مريم بالثالوث

يقول الإنجيل في متَّى ١٢: ٤٦ - ٥٠ «وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ ٱلْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». فَأَجَابَ وَقَالَ لِلْقَائِلِ لَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي.»

وفي أنجيل لوقا ٢: ٤١ - ٥٠ «وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ ٱلْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ ٱلْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا ٱلْأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا ٱلصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ ٱلرُّفْقَةِ، ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ، وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ ٱلْأَقْرِبَاءِ وَٱلْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي ٱلْهَيْكَلِ، جَالِسًا فِي وَسْطِ ٱلْمُعَلِّمِينَ، يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ ٱلَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ ٱنْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ

أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ، لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هٰكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!» فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟». فَلَمْ يَفْهَمَا ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي قَالَهُ لَهُمَا».

وبهذا يوضح العهد الجديد إن الله واحد في ذاته في ثلاثة أقانيم، آب، وابن وروح قدس. وبيَّن العهد الجديد أنَّ الابن هو المسيح المولود من مريم العذراء، ولم يقل أبدًا لا تصريحًا ولا تلميحًا إن العذراء مريم هي أحد الأقانيم الثلاثة. بل إنَّ السيد المسيح أعلن أن مأموريته سماوية تختلف وتسمو عن كل علاقة بشرية.

أما القرآن يقول في سورة (المائدة ٥: ٧٣) ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ٱللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

يقول المفسرون إنَّ من تعبير النصارى أنَّهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة ومن ذلك قولة في نفس السورة الآية ١١٦ على لسان عيسى ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ ٱللهِ﴾

وهذا افتراء وادِّعاء من القرآن كعادته على الذين رفضوا ادعاء محمد للنبوَّة، فلم يقل المسيحيون يومًا أن مريم هي أحد الأقانية الثلاثة.

معجزة إشباع الجموع أم العشاء الربَّاني؟!

جاء في إنجيل متَّى ١٤: ١٤ - ٢١ «فَلَمَّا خَرَجَ يَسُوعُ أَبْصَرَ

جَمْعًا كَثِيرًا فتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ وَشَفَى مَرْضَاهُمْ. وَلَمَّا صَارَ ٱلْمَسَاءُ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «ٱلْمَوْضِعُ خَلَاءٌ وَٱلْوَقْتُ قَدْ مَضَى. اِصْرِفِ ٱلْجُمُوعَ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الْقُرَى وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ طَعَامًا». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَا حَاجَةَ لَهُمْ أَنْ يَمْضُوا. أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا لَهُ: «لَيْسَ عِنْدَنَا ههُنَا إِلَّا خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَانِ». فَقَالَ: «ٱئْتُونِي بِهَا إِلَى هُنَا». فَأَمَرَ ٱلْجُمُوعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى ٱلْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلْأَرْغِفَةَ ٱلْخَمْسَةَ وَٱلسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى ٱلْأَرْغِفَةَ لِلتَّلَامِيذِ، وَٱلتَّلَامِيذُ لِلْجُمُوعِ. فَأَكَلَ ٱلْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ ٱلْكِسَرِ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مَمْلُوءةً. وَٱلْآكِلُونَ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلَافِ رَجُلٍ، مَا عَدَا ٱلنِّسَاءَ وَٱلْأَوْلَادَ.».

وجاء في إنجيل لوقا ٢٢: ٢٠ - ٢٩ «وَكَذٰلِكَ ٱلْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ ٱلْعَشَاءِ قَائِلًا: «هٰذِهِ ٱلْكَأْسُ هِيَ ٱلْعَهْدُ ٱلْجَدِيدُ بِدَمِي ٱلَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ. وَلٰكِنْ هُوَذَا يَدُ ٱلَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى ٱلْمَائِدَةِ. وَٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ، وَلٰكِنْ وَيْلٌ لِذٰلِكَ ٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي يُسَلِّمُهُ!». فَٱبْتَدَأُوا يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «مَنْ تَرَى مِنْهُمْ هُوَ ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَفْعَلَ هٰذَا؟». وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أَيْضًا مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: «مُلُوكُ ٱلْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَٱلْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ هٰكَذَا، بَلِ ٱلْكَبِيرُ فِيكُمْ لِيَكُنْ كَٱلْأَصْغَرِ، وَٱلْمُتَقَدِّمُ كَٱلْخَادِمِ. لِأَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ: أَلَّذِي يَتَّكِئُ أَمِ ٱلَّذِي يَخْدُمُ؟ أَلَيْسَ ٱلَّذِي يَتَّكِئُ؟ وَلٰكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَٱلَّذِي يَخْدُمُ. أَنْتُمُ ٱلَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي، وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا».

أما القرآن يقول في سورة (المائدة ٥: ١١٢ - ١١٥) ﴿إِذْ قَالَ

ٱلْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ قَالَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ. قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ. قَالَ ٱللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ﴾

يقول المفسِّرون إن المائدة المشار إليها هنا هي معجزة إشباع المسيح الخلق الكثير من خمسة أرغفة وسمكتين! والحقيقة أن النَّص القرآني لا ينطبق على حادثة إشباع الجموع في إنجيل متَّى، فلو تأملنا النَّص القرآني ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ وهذا يطابق معنى الآية الموجودة في إنجيل (لوقا ٢٢: ١٩) «اِصْنَعُوا هٰذَا لِذِكْرِي» المختصة بالعشاء الرباني مع الاثنى عشر رسولا.

ويبدوا أن القرآن خلط بين معجزة إشباع الجموع وفريضة العشاء الربَّاني.

الغفران والتسامح

جاء في إنجيل (متَّى ١٨: ٢١) «حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: «يَارَبُّ، كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ، بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ»

أمَّا القرآن فقد ضرب المثل في الأخذ بالثأر والغدر والخيانة بالمُسيء، فقد جاء في سورة (التوبة ٩ : ٤٣) ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ﴾.قال المفسِّرون: إن هذه الآية تدل على صدور الذنب عن الرسول لأن العفو يستدعي مسابقة الذنب، وإن قوله «لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» يدل على أن هذا الإذن كان معصية مذنبًا.

وقالوا اثنان فعلهما رسول الله ولم يؤمر بشيء منهما. فعاتبه الله. وقالوا: إن ذنب هؤلاء القوم نحو الرسول هو تخلفهم عن الغزو وبغير أذن الله وحسب أن هذا ذنب وسيئة وهو في الواقع ليس كذلك.

جاء في سورة (النحل ١٦ : ١٢٦) ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. قال البيضاوي: قيل إن النبي لما رأى حمزة وقد مُثِّلَ به قال - والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلهم بسبعين مكانك. فنزلت فكفّر عن يمينه. وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجاني وليس أن يجاوزه.

ولنلقي نظرة عن سيرة محمد وأصحابة في هذا الأمر:

إنه لمن الشائع لدى كافة المسلمين وفي جميع الأقطار الإسلامية على أن الإسلام كان قد ضرب المثل الرائع والجديد في التعامل مع الأسرى وخاصة والكل يعلم حتى الآن بأن محمدًا الرسول الكريم قد أمر بإخلاء سبيل أسرى معركة بدر من المشركين مقابل أن يقوم كل واحد منهم بتعليم عشرة من المسلمين. ولكن الحقيقة التاريخية والتي لا يريد المتنفعين بالإسلام

أو المنافقين من كتاب سيرة محمد ذكرها هو أنه فعلًا قد أمر بإخلاء سبيل من يستطيع من الأسرى تعليم عشرة من المسلمين القراءة ولكن بعد أن قام وأمر بما يلي:

١ - إطلاق سراح كل من يستطيع دفع دية (دفع المقابل للمتضرر) أي إطلاق سراح الأغنياء.

٢ - إطلاق سراح أقاربه (عمه العبَّاس) بعد ترتيب بعض الأحداث التراجدية له.

٣ - أمر بقتل عقبة بن أبي معيط. ولم يحدث بين العرب أبدًا أن يدعو إلى قتل الأسير. وقد تم التنفيذ فورًا. وكان عقبة هذا قد لفَّ ثوبه في عنق محمد بمكة أيام دعوته للإسلام أول مرة وعند حائط الكعبة، ولكن يظهر أن محمدًا لم ينسَ له ذلك فاستغل فرصة وقوعه في الأَسْرِ وأمَرَ بقتله، ولم يعفُ عنه وهو القادر!

وقد أضيف في معركة بدر شائنة أخرى لم يكن للعُرْف والعادات العربية قبولها، إلَّا أنه كان من جديد فنًا من فنون محمد الحربية. فلقد جاءه عبد الله بن مسعود وكان قزمًا لا يتجاوز طوله ذراعًا (وهو سادس من آمن برسالة محمد) وطالب بالمشاركة في الجهاد، فقال له محمد وبعد انتهاء المعركة «خُذْ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمقٌ فاقتله فإنك بذلك ستنال ثواب المجاهدين» وفعلًا فقد شاهد هذا القزم أبا جهل مصروعًا يخور وينازع مع الموت فوضع الرمح على منخره وطعنه. هذا بخلاف ذبح الأسير وشيِّه وأكله وهو مما يُدرَّس الآن في الأزهر! وبهذا التعامل الرهيب في فن الحرب أباح محمد أخلاقيات ومناسك

جديدة غير معروفة أو متَّبعة عند العرب مما جعل بهذه الفنون والممارسات أن تتكون لدى كل مسلم شيمة الغدر دائماً، ولأن يقسو ويظلم ويقتل من لا يقبل أو لا يتبع عقيدته. وما الحركات الإسلامية ودعواتها وأسلوبها إلَّا نموذجًا من النماذج الذين تتبّع تلك الفنون للتعبير والوصول إلى مبتغاهم ونظرياتهم الإسلامية.

الملائكة تحارب!

يقول الإنجيل في (متى ٢٦: ٥١ - ٥٣) «وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ ٱلَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَٱسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ، فَقَطَعَ أُذْنَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ ٱلَّذِينَ يَأْخُذُونَ ٱلسَّيْفَ بِٱلسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! أَتَظُنُّ أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيُقَدِّمَ لِي أَكْثَرَ مِنِ ٱثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ؟»

أما القرآن فيقول في (سورة آل عمران ٣: ١٢٤) ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.

يقول مفسّروا القرآن وكتَّاب السيرة المحمدية إن محمدًا علم أن عير قريش تحمل مالًا عظيماً في تجارة آتية من الشام يقدَّر عيرها بألف، وبضائعها بخمسين ألف دينار. فنهض بقومه لغزوهم وقال لقومه: «هل تفضِّلون العير أم النقير (أي الإبل التي تحمل التجارة أم القوم الذين يقومون من قريش لمحاربتكم)». فقالوا: «لا، بل العير» وبناء على ذلك حمل بقومه. ويقولون كانوا ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلًا بينما كان رجال قريش نحو ألف، وإن الله قد نَصَرَ محمدًا وآله فسلبوا عير قريش كلها ببضائعها وغيرها ووزَّعوها

غنائم للمحاربين الذين أطلق عليهم لقب «مجاهدين» في سبيل الله. ويقولون إن الله لما رأى قلّة عدد رجال محمد وكثرة المحاربين من قريش أمدَّه الله بثلاث آلاف من الملائكة المحاربين.

هذه الرواية وغيرها من الروايات المتضاربة لم يتَّفق المفسّرون فيها على حدثٍ بعينه، أجمع أكثرهم على أنها تخص معرمة بدر، والبعض يقول معركة أُحُد! فإن اتَّفقوا في الموقعة اختلفوا في عدد الملائكة! فالذين قالوا «بدر» تجاهلوا أن عدد الملائكة مذكورٌ بألف ملاك فقط وليس بثلاثة آلاف ملاك كما في ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال ٨: ٩) فكيف يليق ما ذكر فيه ثلاثة آلاف وخمسة آلاف بيوم بدر!

والذين يقولون بيوم أُحُد يتجاهلون قول القرآن «نصركم الله» ويركزون على الثلاثة آلاف ملاك!

يبدوا أن المسلمين يسري الكذب والتقوُّل على الملائكة في دمائهم كي يبرروا الهزيمة ويحوّلوها لنصر، فهذه لم تكن الحادثة الأولى من نوعها! فقد حدثت حادثة مماثلة في العصر الحديث يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، وصرَّح وقتها الفريق عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني أنه رأى بعينية الملائكة وهي تحارب معهم وتعبر القناة في يوم العبور! وبعد مرور عدة أسبوع من تلك الواقعة تم محاصرة محافظة السويس بواسطة خمس فِرَق مدرعة من قوات آريل شارون، وأصبح عبد المنعم واصل وجنوده وضباطة تحت حصار ورحمة شارون الذي منع عنهم كل الإمدادات، وأُجبرت مصر على التفاوض وقبول فض الاشتباك

وهو ما يُعرف بمباحثات الكيلو ١٠١!

وحتى هذه اللحظة يقرّ العالم كله بأن الحرب حُسِمَت لصالح إسرائيل بما فيها الدول العربية ماعدا مصر التي لا زالت تروج لفكرة النصر بسبب الملائكة التي حاربت معنا!

إنجيل لوقا

أبو مريم

يقول الإنجيل في لوقا ٣: ٢٣ إنَّ أبو العذراء مريم اسمه هالي «ٱبْنَ يُوسُفَ، بْنِ هَالِي». أما القرآن في مناطق عديده جعلها أخت موسى!

ففي سورة آل عمران ٣: ٣٥ و ٣٦ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾. في سورة التحريم ٦٦ : ١٢ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَةَ عِمْرَانَ ٱلتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلقَانِتِينَ﴾. وسورة مريم ١٩ : ٢٧ و٢٨ ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ اِمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾.

خلط القرآن أبا موسى بأبي مريم، فقال إنّ عمران أبا موسى وهارون هو أبو مريم التي حملت الكلمة الإلهية. ومما يؤيّد خطأه هذا قوله في سورة مريم: «يا أخت هارون» (مريم ١٩ : ٢٨). مع أن بين موسى والمسيح نحو ١٥٠٠ سنة.

ولما رأى علماء المسلمين هذا قالوا إنَّ عمران المذكور في هذه العبارة هو غير والد موسى. ولكنهم أخطأوا، لأن الكتاب المقدَّس لا يذكر شيئًا عن ميلاد العذراء مريم، ولم يكن هناك

مصدر يستقي منه محمد أخباره، ولكن كانت هناك بعض خرافات الغنوسيين الذين ملأوا الجزيرة العربية، وأيضًا المريميين الذين كانوا يُؤلِّهون العذراء مريم ويضعون حول ميلادها وحياتها كثيرًا من المعجزات كما ورد في كتابي «مولد العذراء وطفولية المخلّص» و«إنجيل الطفولية».[٥٦]

زكريا ومريم

ولم يرد في الكتاب المقدَّس أنَّ زكريا كان يقيم في الهيكل في أورشليم حتى يكفل مريم هناك، لأن زكريا من حبرون ولا يأتي ليخدم في الهيكل إلَّا بالقرعة ولمدة ١٥ يومًا فقط في السنة (لوقا ١: ٥ - ٤٠)! ولا يقيم أحدٌ في المحراب أو يدخل فيه إلَّا رئيس الكهنة مرة واحدة فقط في السنة في يوم الكفَّارة العظيم، بدم ذبيحة ليكفر عن خطايا الشعب (١ملوك ٨: ٦ و٨ و٩: ١٦)! ولم يكفل زكريا مريم لأنها من سبط يهوذا وزكريا من سبط لاوي (عبرانيين ٧: ١٤) وكان زكريا يقيم في حبرون، بينما كانت مريم تقيم في الناصرة!

لكن القرآن يقول في سورة آل عمران ٣: ٣٧-٣٥ ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا

---

٥٦ راجع الطبري والقرطبي والرازي في تفسير سورة آل عمران ٣: ٣٥ و٣٦

رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هذا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وهذا يناقض وقائع التاريخ، فمريم ابنة عمرام (حسب التوراة) لم تتزوج ولا ولدت، وهي أخت هارون، واسم أمها يوكابد. والمرأة الوحيدة التي نذرت ما في بطنها هي حنة أم النبي صموئيل!

أما بخصوص كفالة زكريا للعذراء مريم فقالوا إنّ زكريا هو الذي كفل مريم ووضعها في محراب، وكان يغلق عليها سبعة أبواب. فإذا دخل عليها المحراب وجد عندها فاكهةً في غير وقتها: فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. وقالوا كان يأتيها رزقُها من الجنَّة، فيقول زكريا: يا مريم أَنَّى لكِ هذا؟ فتقول هو من عند الله. تكلَّمت وهي صغيرة في المهد كما فعل ولدها عيسى. وقال محمد بن اسحق: «أصابت بني إسرائيل أزمة حتى ضعُف زكريا عن حملها وكفالتها. فاقترعوا (على كفالتها) فوقعت القرعة على نجارٍ يقال له يوسف، فعرفت مريم في وجهه شدّةً، فقالت له: «يا يوسف أحسِنْ بالله الظن فإنَّه سيرزقنا». فإذا أتاها بشيءٍ أنماه الله وزاده، فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم أنّى لك هذا؟ فتقول: هو من عند الله».

فنقول:

(١) من تتبَّع جدول نسب مريم العذراء يجد أنَّها من نسل داود، أي من النسل الملوكي، فقول القرآن إن زكريا (وهو من سبط لاوي)كان يكفلها خطأ.

(٢) أخطأ أيضًا في قوله إنَّ الله كان يأتيها بفاكهةٍ في غير أوانها، من الجنة، فإن الجنة ليست محل أكل وشرب، ونعيمها لا يقوم بالملاذ المادية الجسدية، بل كل تنعماتها روحية.

(٣) يخبرنا الكتاب المقدَّس أن القديسة مريم كانت مخطوبة ليوسف، فوُجدت حبلى من الروح القدس قبل أن يجتمعا، فظهر له الله في رؤيا وأخبره أن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس، وسيُدعى اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم (متى ١).

(٤) كان الشرع اليهودي يحرّم وجود امرأة داخل الهيكل، ولكنهم يقولون إن مريم كانت مقيمة بالهيكل، وهذا خطأ لا يقع فيه من كان على علم بحقائق الشريعة اليهودية.

صمت زكريا

يقول الإنجيل في لوقا ١: ١٨ - ٢٠ «فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هٰذَا، لِأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَٱمْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟» فَأَجَابَ ٱلْمَلاَكُ وَقَالَ لَهُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ ٱلْوَاقِفُ قُدَّامَ ٱللهِ، وَأُرْسِلْتُ لِأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهٰذَا. وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي يَكُونُ فِيهِ هٰذَا، لِأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلَامِي ٱلَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ».

بينما في القرآن ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ (آل عمران ٣: ٤١) وكذلك في سورة مريم ١٩: ١٠ ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

قال المفسرون المسلمون: عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة أيام مع إبقائه على قدرة التسبيح والذِّكر، لأنه قال في آخر الآية

«واذكر ربك كثيرًا وسبّح بالعَشِيّ والإبْكار» يعني في أيام مَنْعك من تكليم الناس (الطبري في تفسير آل عمران).

ونتعلَّم من الإنجيل أنَّه لما أتى جبرائيل إلى زكريا وبشَّره بولادة يوحنا المعمدان لم يصدّق كلامه لأنه كان هَرِمًا وامرأته متقدمة في السن، فقال له: أَنَا جِبْرَائِيلُ ٱلْوَاقِفُ قُدَّامَ ٱللهِ... فعجز عن الكلام إلى أن وُلد يوحنا. فلا يقول الإنجيل إنَّه طلب آية، وثانيًا إن مدة صمته كانت نحو تسعة أشهر لا ثلاثة أيام.

حفظ الله لكلمته

يقول الرب يسوع المسيح في إنجيل (لوقا ٢١: ٣٣) «اَلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلٰكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ». وكذلك في سفر (الرؤيا ٢٢: ١٩-١٨) «لِأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هٰذَا، يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ ٱلضَّرَبَاتِ ٱلْمَكْتُوبَةَ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هٰذِهِ ٱلنُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ ٱللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ ٱلْحَيَاةِ، وَمِنَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ ٱلْمَكْتُوبِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ». وفي العهد القديم في سفر (تثنية ٤: ٢) «لَا تَزِيدُوا عَلَى ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهِ وَلَا تُنَقِّصُوا مِنْهُ، لِتَحْفَظُوا وَصَايَا ٱلرَّبِّ إِلٰهِكُمُ ٱلَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا»

فكلام الكتاب المقدَّس واضح وصريح في النهي عن إمكانية حدوث التحريف، ومملوء بالتحذيرات لأي شخص تسوّل له نفسه أن يفعل هذا.

طريقة جَمع القرآن مقارنة بطريقة حفظ الكتاب المقدس:

من المنطقي أن محمدًا الذي ادّعى كونه نبيًا ومرسلًا من الله أن يكون كلامه أو كلام الله الذي أنزل إليه (القرآن) متجانسًا لا لبس فيه ولا تناقضات، ولا أن تكون أحكامه وبعض معالجاته متسلسلة بادعاءات ومبررات واهية. لأن الله واحد له المقدرة على أن يأمر «كن فيكون» وقوة ذكائه حتماً ستكون خارقة ولا يُعقل أن يكون مترددًا أو مستحيًا من عباده عندما يريد إلزامهم بطقوس أو أوامر معينة. ولكن محمدًا لم يكن فعَّالًا بهذا الاتجاه، والمتابع لقرآنه يكتشف الكثير الكثير من الاختلافات والتناقضات الذي لم يستطع ترتيبه لكثرته وسعته وسوء توزيع آياته على مدى العقدين الأخيرين من عمره. حيث كانت الآيات تكتب في العسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقاق) والرقاع من جلد أو ورق وعظام الأكتاف. وكان له كُتّاب يسجلون ما يبلغهم أولًا بأول ويرشدهم على موضع المكتوب من سورته فيقول مثلًا «ضعوا هذه السورة بجانب تلك» «وضعوا هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا» وكان كل ذلك موزعًا في بيوت الصحابة وفاته أن يجمع في مكان واحد، ولهذا ظلّ ما ذكرناه بدون معالجة إلى أن تولى أبو بكر الصديق الخلافة، وبحدوث حروب الردة وأضيفت مشاكل أخرى حيث قام كل من استطاع أن يؤلف كلامًا منثورًا بتنسيب بعض منها إلى القرآن ليتناسب مع مصلحته وتمشيه أموره. وبهذا اختلف كلام القرآن بكلام بقية الناس. وتدارك أبو بكر الموضوع وقام بالاعتماد على زيد بن ثابت بجمع ما يمكن جمعه من الآيات القرآنية وجعله في مصحف واحد. بقي عنده حتى وفاته وتحوَّل بعد ذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب وبوفاته تحوَّل

إلى ابنته حفصة وبقي عندها إلى أن تولَّى عثمان الخلافة وحدث مرة أخرى ما يحثّه على الأمر بجمع الآيات والسور؟ حيث دبَّ الخلاف بين أهل الشام وأهل العراق حول قراءة فصول ومدونات القرآن فكان كل طرف يتَّهم الآخر بالخطأ والتحريف في قراءته. فأدرك عثمان مغبَّة هذا الخلاف واستمراره ولهذا فلقد اختار أربعة ممن كانوا يعتبرون من كبار الصحابة وهم كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام لمهمّة جمع الآيات والسور، ولقد تمَّ ذلك فعلًا وتم استنساخ ستة مصاحف على وجه التقريب وأرسل بعضها إلى أماكن الخلاف ليكون المرجع الأساسي وإحراق ما دونه. وقد أرسل مصحفين إلى البصرة والكوفة ومصحفًا آخر إلى الشام وبقي مصحفان آخران لمكة والمدينة واحتفظ لنفسه بمصحف وهو الذي سمي بالمصحف الإمام والشائع اتِّباعه إلى الآن.

إن جمع واستنساخ الآيات والسور وبصورته النهائية هذه لم تسلسل حسب تسلسل نزوله على محمد بل افتتحت المصحف منها بسورة الفاتحة وهي السورة الخامسة في تسلسل النزول واختتمت بسورة الناس وهي السورة الحادية والعشرون في التسلسل الزمني. وليس هذا فحسب بل جاءوا بآيات مكية وحشروها في سور مدنية وبالعكس، أيضًا حشدوا آيات مدنية في سور مكية. وعدم التنظيم هذا بحد ذاته لهو دليل على ضعف وعدم دراية القائمين بجمعه مما يؤهل كون الدخيل فيه أمرٌ واردٌ وكبيرٌ وهو أول ما نحاجج به المسلمين اذا كان من المفروض أن يتم الجمع ويرتب القرآن بدءًا بسورة العلق هي أول سورة منزلة ويختتم بسورة

النصر وهي السورة ذي العدد مائة وأربعة عشر والأخيرة التي نزلت على محمد.

وهذه بعض من الملاحظات التي تطرح نفسها على طريقة جمع وترتيب القرآن:

١ - يؤهل كون الدخيل فيه أمرًا واردًا وحتميًا.

٢ - إذا استدعى بعض الأحداث نزول آيات في مكة والمدنية فكيف يجوز للصحابة تحويلها وربطها بسور لم تنزل في أماكن نزول تلك الآيات. فهل هم أدرى من الله بما يدور وبما يريد أن يقول أو يعالج به الأمور.

٣ - ولا ندري من أجاز لجامعي القرآن أن يقوموا بتقديم وتأخير السور حسب أفكارهم وأهوائهم. ألا يجوز أن يكون لله حكمة في تسلسل نزول تلك السور؟!

٤ - التكرار الممل والكثير لبعض الآيات يؤهل كون الصحابة أنفسهم قد أضافوا فيه بقصد أو بدون قصد.

هذ علاوة على أنَّ هناك ناسخًا ومنسوخًا، وتبريرات مضحكة لآيات نُسخت حكماً وحرفًا وهي لا تزال موجودة في القرآن! وهناك ما نُسخت حرفًا لا حكماً أي نصَّها غير موجود في القرآن وحكمها باقٍ! ويوجد ما نُسِخ حكماً لا حرفًا أي النص موجود والحكم معطل! ويكفي لأي دارس لتاريخ جمع القرآن واللجنة التي شكّلها زيد بن ثابت أن يدرك على الفور أنَّ الصحابة كانوا يتلاعبون بآيات القرآن وهناك سور بأكملها سقطت، وآيات لم تثبت، وعائشة نفسها قالت في حديث «قبل أن يغيِّر عثمان المصاحف». بل الأمر المضحك نفسه أنَّ كاتب القرآن الأول عبد

الله بن أبي سرح الذي كان يكتب القرآن لمحمد كان يتلاعب بآياته في حياة محمد ثم ارتد عن الإسلام! [٥٧]

وكل الأمور التي أشرتُ إليها أعلاه هي موجودة في كتب الحديث والسيرة وأمهات المراجع الإسلامية، وبعد كل هذا تجد المسلمين في كل ركن يملؤون الدنيا صياحًا وضجيجًا متهمين اليهود والمسيحين بتحريف كتبهم! وقد شُغلوا بهذه التهمة عن النظر في حقيقة كتابهم، فلو بحثوا لاكتشفوا أنَّ قرآنهم اليوم غير قرآنهم البارحة. ويكفي أن نعرف أن الشيعة يتهمون السُّنَّة صراحة بتحريف القرآن وحذف سِوَر بأكملها وآيات كانت في حق عليّ بن أبي طالب.

---

٥٧ انظر كتابنا في هذا الموضوع «القرآن بين العصمة والتحريف» موجود على شبكة الإنترنت

سفر أعمال الرسل

طاعة الله أم طاعة البشر؟!

أعمال الرسل ٥ : ٢٩ «فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَٱلرُّسُلُ وَقَالُوا: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ ٱللهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱلنَّاسِ». معنى الآية واضح لا يحتاج إلى شرح أو تعليق.

لكن في الإسلام الأمر يختلف، ففي البقرة ٢ : ٢٨٦ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

روى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما أورد محمد قوله ﴿وإنْ تُبْدوا ما في أنفسِكم أو تُخْفوه يحاسِبْكم بهِ اللهُ﴾ عدد ٢٨٤ اشتدّ ذلك على أصحابه، فأتوا محمدًا ثم جثوا على الرُّكب فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها. فقال: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا. غفرانك ربنا وإليك المصير». فلما فعلوا ذلك نسخها الله بقوله: ﴿لا يكلّف الله نفسًا إلَّا وسعها﴾.[58]

فمن هنا ترى أن محمدًا كان يتقلَّب مع قومه ويدور معهم حسب ميولهم، وهو من أنواع السياسة، ليرضيهم. والله يرسل أنبياءه الصادقين ليعلّموا الناس إرادته الصالحة، مهما كانت ضد ميولهم وطباعهم.

الفرق بين الكرازة والجهاد

يقول الوحي في سفر الأعمال (أعمال ٢١ : ٨ - ١٨) «ثُمَّ

---

٥٨ أسباب النزول للسيوطي سبب نزول البقرة: ٢: ٢٨٦

خَرَجْنَا فِي ٱلْغَدِ نَحْنُ رُفَقَاءَ بُولُسَ وَجِئْنَا إِلَى قَيْصَرِيَّةَ، فَدَخَلْنَا بَيْتَ فِيلُبُّسَ ٱلْمُبَشِّرِ، إِذْ كَانَ وَاحِدًا مِنَ ٱلسَّبْعَةِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ. وَكَانَ لِهٰذَا أَرْبَعُ بَنَاتٍ عَذَارَى كُنَّ يَتَنَبَّأْنَ. وَبَيْنَمَا نَحْنُ مُقِيمُونَ أَيَّامًا كَثِيرَةً، ٱنْحَدَرَ مِنَ ٱلْيَهُودِيَّةِ نَبِيٌّ ٱسْمُهُ أَغَابُوسُ. فَجَاءَ إِلَيْنَا، وَأَخَذَ مِنْطَقَةَ بُولُسَ، وَرَبَطَ يَدَيْ نَفْسِهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: «هٰذَا يَقُولُهُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ: ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي لَهُ هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَةُ، هٰكَذَا سَيَرْبُطُهُ ٱلْيَهُودُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى أَيْدِي ٱلْأُمَمِ». فَلَمَّا سَمِعْنَا هٰذَا طَلَبْنَا إِلَيْهِ نَحْنُ وَٱلَّذِينَ مِنَ ٱلْمَكَانِ أَنْ لَا يَصْعَدَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. فَأَجَابَ بُولُسُ: «مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي، لِأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لِأَجْلِ ٱسْمِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ». وَلَمَّا لَمْ يُقْنَعْ سَكَتْنَا قَائِلِينَ: «لِتَكُنْ مَشِيئَةُ ٱلرَّبِّ». وَبَعْدَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ تَأَهَّبْنَا وَصَعِدْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَجَاءَ أَيْضًا مَعَنَا مِنْ قَيْصَرِيَّةَ أُنَاسٌ مِنَ ٱلتَّلَامِيذِ ذَاهِبِينَ بِنَا إِلَى مَنَاسُونَ، وَهُوَ رَجُلٌ قُبْرُسِيٌّ، تِلْمِيذٌ قَدِيمٌ، لِنَنْزِلَ عِنْدَهُ. وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَنَا ٱلْإِخْوَةُ بِفَرَحٍ. وَفِي ٱلْغَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ، وَحَضَرَ جَمِيعُ ٱلْمَشَايِخِ».

خلاصة القصة أن بولس بينما كان يسعى للتبشير باسم الرب، انحدر نبي اسمه أغابوس فجاء وأخذ منطقة بولس وربط بها رجليه ويديه وقال متنبّئًا: «إن صاحب هذه المنطقة سيربطه اليهود في أورشليم ويسلّمونه للأمم»، وإنهم طلبوا إلى بولس أن لا يصعد إلى أورشليم، فأجاب بولس: «مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي، لِأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لِأَجْلِ ٱسْمِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ». وفعلًا لما أراد الصعود من قيصرية إلى أورشليم رفع عليه رؤوس اليهود جملة شكاوٍ

ووضعوا له في الطريق إلى أورشليم كمينًا لقتله، وطلبوا من الوالي رسالة إلى أورشليم لكي يحاكموه هناك. فقال بولس: «إنَّه يرفع دعواه إلى قيصر». فأرسلهُ الوالي إلى رومية للمحاكمة فعلًا أرسلوه مع أسرى آخرين إلى إيطاليا.

أما في القرآن فالأمر ليس كذلك، فجاء في سورة (النساء ٤: ١٠٢، ١٠٣) ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا. إِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَاةَ فَٱذْكُرُوا ٱللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾

والخلاصة أن يكون الساعون في الجهاد في سبيل الله (هكذا يصطلحون عليه) على أتم استعداد للقتال بأسلحتهم حتى في أثناء الصلاة!

الرسالة إلى رومية

الملائكة يعترضون على الله

يقول الكتاب في (رومية ١١ : ٣٣- ٣٦) «يَا لَعُمْقِ غِنَى ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ ٱلْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ ٱلِٱسْتِقْصَاءِ! لِأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ ٱلرَّبِّ، أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟. لِأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ. لَهُ ٱلْمَجْدُ إِلَى ٱلْأَبَدِ» فالله غني عن الاستشارة، لأنه عالم بكل شيء

أما القرآن فيقول في (سورة البقرة ٢ : ٣٠) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

(١) تقول هذه العبارة إنَّ الله استشار الملائكة قبل خَلْق آدم فاعترضوا عليه، وهو غير معقول! فإن الله غنيٌّ عن ذلك.

(٢) يعلِّمنا كتاب الله أنَّ الملائكة هم خدَّامه المعصومون عن الخطأ والزلل. أما عبارة القرآن فتفيد أنَّ الملائكة اقترفوا أربع معاصٍ: (أ) أنَّهم اقترفوا الغَيْبة في حق من يجعله الله خليفة بأن ذكروا عيوبه. (ب) في كلامهم العُجب وذكر محاسن النفس. (ج) قالوا ما قالوه من نسبة الإفساد والسفك رجمًا بالظن، وإلَّا شاركوا الله في علم الغيب.

(٤) فيه إنكار على الله فيما يفعله وهو من أعظم المعاصي (الرازي في تفسير البقرة ٢ : ٣٠).

ولما رأى علماء المسلمين هذا الخطأ في القرآن قسّموا الملائكة إلى قسمين، قسم في السماء وقسم في الأرض، وقالوا إنَّ الذي في الأرض هم الجن وهم أفسدوا. فإذا سلّمنا بصدق قولهم، فلا يصح أن الله يستشيرهم.

ولما رأوا أنه لا يجوز أن يتصف الملائكة بعلم الغيب، قالوا إن الله أخبرهم بما سيكون من بني آدم من سفك الدماء، أو إنهم لما رأوا أن آدم خُلق من أخلاط مركّبة علموا أنه يكون فيه الحقد والغضب، ومنهما يتولد الفساد وسفك الدماء. مع أن التوراة تخبرنا أن الله خلق آدم في البر والطهارة والقداسة منزَّهًا عن الحقد وباقي الرذائل.

رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس

آدم والمسيح

يقول الإنجيل في ١كورنثوس ١٥ : ٤٥، ٤٧ «هٰكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا: «صَارَ آدَمُ، ٱلْإِنْسَانُ ٱلْأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ ٱلْأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا». ... ٱلْإِنْسَانُ ٱلْأَوَّلُ مِنَ ٱلْأَرْضِ تُرَابِيٌّ. ٱلْإِنْسَانُ ٱلثَّانِي ٱلرَّبُّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ»

أما القرآن في سورة آل عمران يقول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ ٱللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ آية ٥٩

١ - أجمع أهل التفسير على أن هذه العبارة قيلت في محاجّة نصارى وفد نجران. قال ابن عباس: إنَّ رهطًا من أهل نجران قدموا على محمد، وكان فيهم السيد والعاقب. فقالوا لمحمد: ما شأنك تذكر صاحبنا؟ تزعم أنَّه عبد الله. فقال محمد: أجل إنَّه عبد الله. فقالوا له: هل رأيت له مثلًا، أو أُنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده. فجاءه جبريل فقال له قل لهم إذا أتوك: إنَّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم. والظاهر أنَّ مسيحيي نجران حاجوا محمدًا وأفحموه فعجز عن الجواب. وقيل إنَّه قال لهم إن المسيح عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فغضبوا، وقالوا: يا محمد، هل رأيت إنسانًا قط من غير أب؟ فأتى بهذه العبارة المتقدمة.

٢- اعتقاد المسيحيين في عصر محمد كان مثل اعتقادهم الآن، فالمسيح كلمة الله الأزلي، والخالق الرازق. وقد أفحم نصارى

نجران محمدًا حتى عجز عن الإجابة. ولكنه بعد التفكير والترّوي ومضيّ زمن قال إن مَثَل المسيح كمثَل آدم. وقد أخطأ أيضًا في هذا التمثيل، فإن آدم من التراب ترابي، والمسيح هو كلمة الله الأزلي وروح منه، وشتان بين الاثنين. وآدم عصى ربَّه وجرَّ البشر للخطأ، والمسيح لم يخطئ أبدًا، وفتح أمام المؤمنين به أبواب الخلود قال الإنجيل: «صَارَ آدَمُ ٱلْإِنْسَانُ ٱلْأَوَّلُ نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ ٱلْأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا ٱلْإِنْسَانُ ٱلْأَوَّلُ مِنَ ٱلْأَرْضِ تُرَابِيٌّ. ٱلْإِنْسَانُ ٱلثَّانِي ٱلرَّبُّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ» (١كورنثوس ١٥: ٤٥، ٤٧). وقال يوحنا: «فِي ٱلْبَدْءِ كَانَ ٱلْكَلِمَةُ، وَٱلْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ ٱللهِ، وَكَانَ ٱلْكَلِمَةُ ٱللهَ. هٰذَا كَانَ فِي ٱلْبَدْءِ عِنْدَ ٱللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ». والقرآن ناطق في عدد ٤٥ بأنه كلمة منه وفي النساء ٤: ١٧١ يقول: ﴿كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ وهذا يعني أنَّه كان موجودًا قبل أن يُحبَل به.

٣ - وهنا خطأ لغوي، فالأصحّ أن يُقال قال له كن فكان.

٤ - خُلق آدم من تراب، أما المسيح فهو روح الله وكلمته.

٥ - عصى آدم وغوى، أما المسيح فكان بارًا تقيًا.

٦ - القرآن يقول إنَّ الله نفخ في آدم نسمة الحياة. ولكن المسيح لم تُنفخ فيه هذه النسمة، بل كانت في مريم، ثم أنَّه (المائدة ١١٠) نفخ في الطين فصار طيرًا!

٧ - ألم يكن من الأبلغ أن يقول: إن مثل مريم عند الله كمثل آدم، كلًا نفخنا فيه من روحنا.

الرسالة إلى أهل غلاطية

ضرب الزوج لزوجته

قال الإنجيل في رسالة أفسس ٥: ٢٥ «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا ٱلْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا». وكولوسى ٣: ١٩ «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ» وأيضًا بطرس الاولى ٣: ٧ «كَذٰلِكُمْ أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ، كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ ٱلْفِطْنَةِ مَعَ ٱلْإِنَاءِ ٱلنِّسَائِيِّ كَٱلْأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كَرَامَةً، كَٱلْوَارِثَاتِ أَيْضًا مَعَكُمْ نِعْمَةَ ٱلْحَيَاةِ، لِكَيْ لَا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ». الآيات واضحة ولا تحتاج إلى تفسير.

لكن في القرآن يقول في سورة النساء ٤: ٣٤ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَٱلصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.

جاءت امرأة إلى محمد تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال: القصاص، فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ﴾، فرجعت بغير قصاص.

وأخرج ابن جرير من طُرُقٍ عن الحسن، وفي بعضها أن رجلًا من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل محمد بينهما القصاص، فنزلت ﴿فَتَعَالَى ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (سورة

طه ٢٠ : ١١٤) وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدي.

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى محمدًا رجلٌ من الأنصار بامرأة له، فقالت: يارسول الله، إنه ضربني فأثّر في وجهي، فقال محمد ليس له ذلك. فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ﴾.

فرض المنطق السليم على محمد أن يعاقب الرجل الذي اعتدى على زوجته. ولكن رغبته في إرضاء رجاله جعله يعكس المنطق السليم، معتمدًا على ما جاءه من «وحي».

فالقرآن يصرح أنه إذا خافت المرأة من إعراض زوجها عنها فلتلجأ إلى هيئة تحكيم من أهلها وأهله ليُصلحا بينهما صلحًا وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بينهما صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ (سورة النساء ٤ : ١٢٨). ولكنه يقول إنه إذا خاف الرجل من إعراض زوجته عنه، فعليه أن يعظها ثم يهجرها ثم يضربها سواء صفعًا باليد أو لكماً بجمع اليد أو رفسًا وركلًا بالرجل أو نهشًا بالكرباج أو لفحًا بالعصا.

فأين هذا من قول الإنجيل: «أَيُّهَا ٱلرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ ٱلْمَسِيحُ أَيْضًا ٱلْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، .... كَذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى ٱلرِّجَالِ أَنْ يُحِبُّوا نِسَاءَهُمْ كَأَجْسَادِهِمْ. مَنْ يُحِبُّ ٱمْرَأَتَهُ يُحِبُّ نَفْسَهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يُبْغِضْ أَحَدٌ جَسَدَهُ قَطُّ بَلْ يَقُوتُهُ وَيُرَبِّيهِ، كَمَا ٱلرَّبُّ أَيْضًا لِلْكَنِيسَةِ. لِأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هٰذا يَتْرُكُ ٱلرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِٱمْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ ٱلِٱثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا» (أفسس ٥ : ٢٥-٣١).

رسالة بولس إلى أهل كولوسي

التفكير الشهواني

كولوسي ٣: ٢ – ٦ «ٱهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لَا بِمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ، لِأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ ٱلْمَسِيحِ فِي ٱللهِ. مَتَى أُظْهِرَ ٱلْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي ٱلْمَجْدِ. فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ ٱلَّتِي عَلَى ٱلْأَرْضِ: ٱلزِّنَا، ٱلنَّجَاسَةَ، ٱلْهَوَى، ٱلشَّهْوَةَ ٱلرَّدِيَّةَ، ٱلطَّمَعَ ٱلَّذِي هُوَ عِبَادَةُ ٱلْأَوْثَانِ، ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يَأْتِي غَضَبُ ٱللهِ عَلَى أَبْنَاءِ ٱلْمَعْصِيَةِ.»

أما في القرآن ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة ٢: ٢٢٢).

أجمع علماء المسلمين على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرَّة ودون الرُّكبة، وجوَّز مضاجعتها وملامستها، وبنوا ذلك على ما رُوي عن عائشة قالت: «كانت إحدانا إذا كانت حائضًا، وأراد محمد أن يباشرها أمرها أن تتَّزر بإزار في فور حيضها (أي أول الحيض وبدؤه) ثم يباشرها. وأيُّكم يملك أَرْبَهُ كما كان محمد يملك أرْبه؟» (بسكون الراء وهو العضو، وبفتحها وهو الحاجة). وفي رواية قالت: «كنت أغتسل أنا ومحمد من إناءٍ واحد، وكلانا جُنُب، وكان يأمرني فأتَّزر فيباشرني وأنا حائض».[٥٩]

وهذا بخلاف كلام الوحي الحقيقي في الإنجيل.

---

٥٩ صحيح مسلم. كتاب الحيض. باب مباشرة الحائض

رسالة بطرس الأولى

تحريم الجدال والمناقشة

حاء في رسالة (بطرس الاولى ٣: ١٥) «بَلْ قَدِّسُوا ٱلرَّبَّ ٱلْإِلٰهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ ٱلرَّجَاءِ ٱلَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ»

أما القرآن فقد حرَّم الجدال والنقاش في الأمور الإسلامية كما ورد في الآية ١٤٠ من سورة النساء يحذر المسلمين ويقول ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ ٱللهَ جامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جهَنَّمَ جمِيعًا﴾ وهكذا يدعو الله المؤمنين أن لا يناقشوا ولا يتكلموا ولايخوضوا في الحديث مع من يستهزئ أو يعارض آياته. أليس هذا تراجع وضعف حيلة أمام من يملك الحجج والبراهين على ضعف وبساطة بناء وتكوين الآيات؟ وخاصة وأن هذه الدعوة (بمقاطعة حديث الكفار) قد جاءت في مرحلة نزول القرآن وحيث كان بإمكان المعاصرين من المعارضة إبداء الآراء الواقعية السديدة والمناقضة لفكر وطرح الآيات القرآنية وحتماً كان حجة المسلمين وبراهينهم أضعف؟ ولهذا دعاهم محمد بعدم خوض المناقشات مع من سمَّاهم بالكفار ولم يقف الحد عند المطالبة بعدم المناقشة بل طالبهم بعدم السؤال والاستفسار عن أشياء قد يكون موضع شكّهم لأن في ذلك سوء عاقبة وشر كبير للمؤمنين. وجاء ذلك في الآية ١٠١ من سورة

المائدة ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللهُ عَنْهَا وَٱللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ وهكذا ستر وضم وأخفى ما أراده أو بثه بين المسلمين لأن أحدًا منهم لم يتجرأ وأن يسمح لنفسه حتى ولو بالتفكير في آيات وسور محمد لحد الآن!

سفر الرؤيا

تحليل الكذب

يقول الإنجيل: «وَأَمَّا ٱلْخَائِفُونَ وَغَيْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلرَّجِسُونَ وَٱلْقَاتِلُونَ وَٱلزُّنَاةُ وَٱلسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ ٱلْأَوْثَانِ وَجَمِيعُ ٱلْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَوْتُ ٱلثَّانِي» (رؤيا ٢١: ٨).

﴿لَا يؤاخِذُكُمُ ٱللهُ بٱللَّغو في أيْمَانِكُمْ، ولكن يُؤاخِذُكُمْ بما عقَّدتُم ٱلأَيْمانَ فكفَّارتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ. فَمَنْ لم يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ. وَٱحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة ٥: ٨٩).

قال الربيع بن سليمان. عن أم كلثوم بنت عقبة: «ما سمعت رسول الله يرخّص في شيءٍ من الكذب إلّا في ثلاث: كان يقول: لا أُعدّه كاذبًا الرجل يُصلِح بين الناس يقول القول ولا يريد به إلّا الإصلاح، والرجل يقول في الحرب، والرجل يحدّث امرأته والمرأة تحدّث زوجها»[٦٠]. وقال محمد: «إذا أتاكم عني حديث يدل على هدى أو يرد عن ردي فاقبلوه، قلته أو لم أقله. وإن أتاكم عني بحديث يدل على ردي أو يرد عن هدى فلا تقبلوه فإني لا أقول إلّا حقًا».

وهذه الأقوال تفتح باب الكذب على مصراعيه. هل

٦٠ رواه أبو داود في سُننه في كتاب الأدب، ورواه أبو حنبل في مُسنده باب ٦

الأخلاق الكريمة وصنع السلام يقوم على الأكاذيب؟ وكيف يكون حال بيتٍ يكذب فيه الزوجان على بعضهما؟ وكيف يكون حال الأبناء فيه؟ أما المسيحية فتحرم الكذب تحريمًا مطلقًا.

القسم الثاني

أشياء غريبة

هذا الفصل مخصص للأشياء الغريبة والأشياء
التي لم يرد ذكرها لا في العهد القديم أو العهد الجديد

علامات يوم القيامة

تكلَّم الكتاب عن علامات يوم القيامة بالتفصيل، لكننا نوجزها هنا في أشهر الآيات:

إنجيل متَّى ٢٢: ٣٠ «لِأَنَّهُمْ فِي ٱلْقِيَامَةِ لَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةِ ٱللهِ فِي ٱلسَّمَاءِ»، إنجيل يوحنا ٥: ٢٨، ٢٩ «لَا تَتَعَجَّبُوا مِنْ هٰذَا، فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْقُبُورِ صَوْتَهُ، فَيَخْرُجُ ٱلَّذِينَ فَعَلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ ٱلْحَيَاةِ، وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ ٱلدَّيْنُونَةِ»، دانيال ١٢: ٢ «وَكَثِيرُونَ مِنَ ٱلرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ ٱلْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هؤُلَاءِ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ، وَهؤُلَاءِ إِلَى ٱلْعَارِ لِلِٱزْدِرَاءِ ٱلْأَبَدِيِّ»، ١كورنثوس ١٥: ٤٠-٤٤ «وَأَجْسَامٌ سَمَاوِيَّةٌ، وَأَجْسَامٌ أَرْضِيَّةٌ. لٰكِنَّ مَجْدَ ٱلسَّمَاوِيَّاتِ شَيْءٌ، وَمَجْدَ ٱلْأَرْضِيَّاتِ آخَرُ. مَجْدُ ٱلشَّمْسِ شَيْءٌ، وَمَجْدُ ٱلْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدُ ٱلنُّجُومِ آخَرُ. لِأَنَّ نَجْماً يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي ٱلْمَجْدِ. هٰكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ ٱلْأَمْوَاتِ: يُزْرَعُ فِي فَسَادٍ وَيُقَامُ فِي عَدَمِ فَسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيًّا وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيًّا. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ»، فيلبي ٣: ٢٠ و٢١ «فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، ٱلَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ ٱلرَّبُّ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ، اَلَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ ٱسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ.».

أما القرآن فيكلمنا عن شئ غريب وعجيب اسمه الجسَّاسة! سأذكرها خسب ورودها في القرآن مع شرح المفسّرين.

سورة النمل ٢٧:٨٢ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لهُمْ دَابَّةً مِنَ

ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

قال البيضاوي: وإذا وقع القول عليهم - إذا دنا وقوع معنى القول عليهم، وهو ما وُعدوا به من البعث والعذاب. أخرجنا لهم دابة من الأرض - وهي الجساسة. رُوي أن طولها ستون ذراعًا، ولها أربع قوائم، وزغب وريش وجناحان، لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب. ورُوي أنه عليه الصلاة والسلام سُئل من أين مخرجها؟ فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله. يعني المسجد الحرام؟ تكلِّمهم - من الكلام وقيل من الكلم إذ قرئ تكلّمهم. ورُوي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيضّ وجهه، وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسودّ وجهه.

قال علي بن أبي طالب إنَّ الدابة لها ريش وزغب وحافر، وليس لها ذنَب، ولها لحِية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثًا وما خرج ثلثها (رواه ابن أبي حاتم). وقال ابن جريج إن أبا الزبير وصف الدابة بقوله إن رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إيّل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرّ، وذنَبها ذنَب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين إثنا عشر ذراعًا تخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمنٌ إلَّا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة حتى يبيضّ لها وجهه، ولا يبقى كافرٌ إلَّا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسْودّ بها وجهه، حتى أن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن؟ بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن

أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان أبشِر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار.[٦١]

عن فاطمة بنت قيس قالت: سمعت منادي رسول الله ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله. فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «ليلزم كل إنسان مصلاه». ثم قال: «هل تدرون لمَ جمعتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلًا نصرانيًا فجاء (فبايع) وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجَّال. حدثني أنَّه ركب في سفينة بحريّة مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام، فلعب الموج شهرًا في البحر، فأرفأوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة، أهلب كثيرة الشعر، لا يدرون ما قُبلها من دُبرها من كثرة الشعر. قالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيُّها القوم، انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمَّت لنا رجلًا فَرَقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط خلقًا، وأشده وثاقًا، مجموعة يده إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر شهرًا،

٦١ ابن كثير في تفسير هذه الآية

فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب، فقالت: أنا الجساسة، اعمدوا إلى هذا في الدير. فأقبلنا إليك سِراعًا، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل تثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنها توشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبرية. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زُغر. قالوا: وعن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أَقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني: إني أنا المسيح الدجَّال. وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلَّا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، هما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل (واحدة أو) واحدًا منهما استقبلني مَلَك بيده السيف صلتا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها». قال رسول الله وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة. هذه طيبة (يعني المدينة) ألا هل كنت حدثتكم؟» فقال الناس: نعم. قال: «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة إلَّا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو؟ من قبل

المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو». وأومأ بيده إلى المشرق.[٦٢]

وفي رواية عن أبي سلمة قال سمعت أبا هريرة قال، قال رسول الله: «ألا أخبركم عن الدجَّال حديثًا ما حدثه نبي قومه. إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار. فالتي يقول إنَّها الجنة هي النار. وإني أنذرتكم كما أنذر به نوح قومه».[٦٣]

عن النواس بن سمعان قال: «ذكر رسول الله الدجَّال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل. فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرتَ الدجَّال غداة فخَفَّضْتَ فيه ورَفَّعَت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: غير الدجَّال أخوفني عليكم. إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنَّه خارج خلة بين الشام والعراق. فعاث يمينًا وعاث شمالًا يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر ويوم كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدرة. قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر، ثم

---

٦٢ مسلم، فتن ١١٩، أبو داود، ملاحم ١٥

٦٣ مسلم، فتن ١٠٩، مسند أحمد بن حنبل، ١ - ٢٤٠

يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أَخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسب النحل ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض. ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلَّا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفة، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. ثم يأتي عيسى ابن مريم قومًا قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء. ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيُصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلَّا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يَكِنُ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يُقال للأرض أَنبتي ثمرتك وردّي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة

من الإبل لتكفي الفآم من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة».[٦٤]

ونحن نسأل: هل من المعقول أن نتصوّر دابةً لها أربع قوائم مثل الحيوان وريش زغب وجناحان مثل الطيور، وتتكلّم مثل الإنسان، وتعظ مثل الأنبياء بسلطان موسى وحكمة سليمان، وأنها تحتفظ بعصا موسى وخاتم سليمان؟

معجزات المسيح

﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ (آل عمران ٣: ٤٥ و٤٦ وكذا قوله ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (آية ٤٩) وكذلك ﴿إِذْ قَالَ ٱللهُ يَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ (المائدة ٥: ١١٠).

(١) فقوله «قالت الملائكة» صوابه الملاك جبرائيل كما في الإنجيل. وقال البيضاوي: «إن الملائكة كلّموها وبشّروها». غير أن

---

٦٤ مسلم، فتن ١١٠، أبو داود، ملاحم ١٤، إمارة ٣٣، الترمذي، فتن ٥٩، ابن ماجه، فتن ٣٣، مسند أحمد بن حنبل، ٤ – ١٨١، ١٨٢، ٦ – ٤٥٤، ٤٥٦

بعض المفسرين قال: المراد بالملائكة جبريل كأنهم يخطّئون القرآن. وقالوا: وُلد بالمسيح من غير بعل ولا فحل.

ومعجزات المسيح كانت أسمى من عمل الطيور من الطين وتكليم الناس في المهد. ولو أن المسيح تكلّم في المهد أو خلق من الطين طيرًا لاشتهر هذا عند اليهود وما كانوا رفضوا المسيح، ولاشتهر عندنا نحن المسيحيين، وما كنا لنترك هذه المعجزات الباهرة دون ذكرها. ولكن كما قلنا مرارًا على صفحات هذا الكتاب إن محمدًا كان يسمع أخباره من كتب الخرافات والحكايات الشعبية. ومن أراد أن يستزيد يرجع إلى القصص المذكورة في كتب التفسير (كابن كثير الرازي والبيضاوي في تفسير آل عمران).

(٢) كان المسيح يعمل المعجزات «بقوته وقدرته» لأنه كلمة الله الأزلي، والكلمة الأزلي هو الله، والقرآن أسند الخلق إلى المسيح، وهو لا يُسنَد إلَّا إلى الله.

حبل حواء

والتوراة تعلِّمنا أنَّ آدم عرف حواء امرأته فحبلت وولدت قايين، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وبعد ذلك عرف آدم امرأته أيضًا فولدت ابنًا ودعت اسمه شيثًا. وتأمَّل كيف تعبِّر التوراة بكلمة «عرف» عن معنى الجماع، وهي ألطف وأرقّ من عبارة القرآن. وانظر إلى عبارة التوراة تجدها لم تنسب إلى آدم وحواء الإشراك بالله. والمسلمون يعتقدون بنبوَّة آدم. فكيف يكون نبيًا ومشركًا؟

وفي القرآن ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى ٱللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف ٧: ١٨٩ و١٩٠).

قال المفسرون لما حملت حواء أتاها إبليس في صورة رجل، فقال لها: ما يدريك ما في بطنك، لعله بهيمة أو كلب؟ وما يدريك من أين يخرج؟ فخافت من ذلك وذكرته لآدم. ثم عاد إليها وقال: إني من الله بمنزلة، فإن دعوتُ الله أن يجعله خلقًا سويًا مثلك ويسهّل عليك خروجه تسمّيه عبد الحرث. وكان اسم إبليس في الملائكة الحرث. وقال ابن عباس: كانت حواء تلد لآدم، فيسمّيه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: إنْ سَرَّكما أن يعيش لكما ولد فسمِّياه عبد الحرث. فولدت، فسمَّياه عبد الحرث فعاش. قال محمد: لما حملت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحرث، فسمّته فعاش. وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. فهذا معنى قول القرآن «وجعلا له شركاء».[٦٥]

نوح وقومه

وردت في سورة (هود ١١: ٢٧-٣٩) المجادلة التي جرت بين نوح وقومه: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ

٦٥ الطبري في تفسير الأعراف

عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. (فقال نوح لهم) ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ ٱللهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

لم يرد في التوراة خبرٌ عن هذه المجادلة، وإنما ورد أن نوحًا كان كارزًا للبر يحضُّ قومه على الإقلاع عن المنكرات وترك الآثام والشر. ولا ورد في التوراة أن أراذل الناس تبعوا نوحًا، فلم يتبعه أراذلهم ولا أفاضلهم، ولذا أغرقهم الله بالطوفان. إنما يحكي محمد بعضًا مما كان يجادله به العرب، وذكر ما كان يردّ به عليهم، فذكر حكاية حاله مع قومه، وقوله لهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (الكهف ١٨: ١١٠) وغايته من ذلك أن يخبر قومه أنه قد حصل للأنبياء السالفين مثل ما حصل له، وأن الأَوْلَى الإقلاع عن معارضته ومقاومته لئلا يحلّ بهم مثل ما حلّ بقوم نوح، ومثل ما حلّ بغيرهم. ولكن شتان بين محمد ونوح، فقد حلّ بقوم نوح الطوفان، ولكن لم يحلّ بالعرب الذين قاوموه أو أبطنوا النفاق شيئًا من عقاب الله.

يوسف وإخوته

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف ١٢: ١١ – ١٣).

لم يطلب إخوة يوسف من أبيهم أن يرسله معهم للّعب، ولا كان هو مترددًا مخافة أن يأكله الذئب. فالحقيقة هي في تكوين ٣٧: ١٢ - ٤٢ أنَّ إخوة يوسف توجّهوا إلى شكيم لرعي مواشيهم، فغابوا مدة. فطلب أبوهم مِن يوسف أن يذهب ليرى سلامة

إخوته وسلامة الغنم. فتوجّه فلم يهتدِ إليهم، فاستفهم عنهم وعرف أنَّهم في دوثان، فتوجَّه إليهم. فلما أبصروه من بعيدٍ عزموا على قتله بأن يطرحوه في أحد الآبار، ويقولوا إن وحشًا رديئًا أكله. فأنقذه رأوبين من أيديهم، وقال: لا تسفكوا دمًا. اطرحوه في هذه البئر (وكانت فارغة ليس فيها ماء) لينقذه ثم يردّه إلى أبيه. فلما وصل يوسف إليهم نزعوا قميصه الملون وطرحوه في البئر.

وقال القرآن إن أولاد يعقوب لعنوا أباهم لأنه كان يحب يوسف أكثر منهم، وقالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (يوسف ٨).

وقد أورد الرازي شبهة قوية في هذه المسألة، لم يستطع الإجابة عليها، فقال:

(١) إن كان أولاد يعقوب مُقرِّين بكونه رسولًا، فكيف اعترضوا عليه وزيّفوا طريقته؟ وإن كانوا مكذِّبين لنبوته، فهذا يوجب كفرهم. وقال في الإجابة إنهم كانوا مؤمنين بنبوَّة أبيهم، إلَّا أنهم جوَّزوا منه الخطأ.

(٢) إنهم نسبوا إلى أبيهم الضلال المبين وذلك مبالغة في الذمّ والطعن، مما يستوجب الكفر. وكان جواب الرازي: المراد الضلال عن رعاية المصالح في الدنيا.[٦٦]

لقد قال القرآن عن إخوة يوسف ما لم يقولوه، ولذا وقع مفسروه في هذا المأزق! ثم كيف تتَّفق أفعالهم تلك مع كونهم أنبياء كما يقول القرآن: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

٦٦ الرازي في تفسير يوسف

وَيَعَقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾؟ (النساء ٤ : ١٦٣).

ويقول القرآن إنَّهم لما رأوا أباهم يحب يوسف، اتفقوا على قتله وإلقائه في غيابة الجب ليلتقطه بعض السيارة. والحقيقة أنهم تداولوا بعد أن أرسل إسرائيل يوسف إلى إخوته. فهذه ستة أخطاء:

(١) إنَّهم لم يلعنوا أباهم.
(٢) لم يتفقوا في قتله إلَّا بعد إرساله إليهم.
(٣) لم يطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم، بل أبوهم هو الذي أرسله إليهم من تلقاء ذاته.
(٤) لم يذكر أبوهم شيئًا عن ذئب.
(٥) لم يظن يعقوب السوء في أولاده كما قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ (آية ١٨). فإنَّه صدَّق كلامهم وبكى على ابنه.
(٦) نسب القرآن إلى إخوة يوسف الذين يصفهم بالنبوّة عدة أخطاء، منها أنهم سبّوا أباهم وضربوا أخاهم.[٦٧]

بيع يوسف

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَٱلله عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩).

في قراءة جاءت يا بشراي!. و واردهم هو الذي يتقدّم الرفقة إلى الماء والدلاء. يُقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوتها إذا أخرجتها. فقال الوارد: أبشروا.

---

٦٧ الطبري في تفسير يوسف

والتوراة تقول: إن يهوذا أشار على إخوته أن يبيعوا يوسف وقال لهم إنه أخونا من لحمنا. ولما مرّت قافلة من المديانيين سحبوا أخاهم وباعوه. وعبارة القرآن تفيد أن رجال القافلة هم الذين سحبوه. بينما يقول القرآن إن الذي اشتراه من مصر قال: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (آية ٢٢). والحقيقة هي أنه كان عبدًا غريب الجنس.

امرأة فوطيفار ويوسف

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءَ وَٱلْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (آية ٢٤).

قال المفسرون: إن هَمَّ يوسف كان معصية، وإنه جلس منها مجلس الرجل من امرأته، وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القُشيريّ أبو نصر، وابن الأنباريّ والنحاس والماورديّ وغيرهم. قال ابن عباس: حلّ الهِميان وجلس منها مجلس الخاتن، وعنه: استلقت على قفاها وقعد بين رجليها ينزع ثيابه. وقال سعيد بن جُبير: أطلق تِكَّة سراويله. وقال مجاهد: حلّ سراويله. وقال مجاهد: حلّ السراويل حتى بلغ الإليتين، وجلس منها مجلس الرجل من امرأته. قال ابن عباس: ولما قال: ذلك ليعلم أني لم أَخُنْهُ بالغَيْب (يوسف ٥٢) قال له جبريل: ولا حين هممت بها يا يوسف؟! فقال عند ذلك: وما أُبَرِّئُ نفسي (يوسف ٥٣). قالوا: والانكفاف في مثل هذه الحالة دالٌّ على الإخلاص، وأعظم الثواب.[٦٨]

وأما تفسير قوله لولا أن رأى برهان ربِّهِ (آية ٢٤) فقال

٦٨ القرطبي في تفسير يوسف

قتادة وأكثر المفسرين: إن يوسف رأى صورة يعقوب وهو يقول له: يا يوسف، أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب من الأنبياء!. وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضًا على أصبعه. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: مثل له يعقوب، فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقال السدّي: نودي يا يوسف أتواقعها؟ إنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه. وإن واقعْتَها كمثله إذا وقع على الأرض، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئًا. ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يُطاق، ومثلك إن واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه[٦٩].

أخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال: البرهان الذي أرى يوسف هو ثلاث آيات من كتاب الله ﴿وإنَّ عليكم لَحَافِظِين، كِرامًا كاتِبِين، يعلمون ما تفعلون﴾ (الانفطار ٨٢: ١٠ - ١٢). وقوله: ﴿وما تكونُ في شأْنٍ وما تتلو منه من قرآنٍ﴾ (يونس ٦١). وقوله: ﴿أفمَنْ هو قائمٌ على كلِ نفسٍ بما كسَبَت﴾ (الرعد٣٣). زاد غيره آية أخرى ﴿ولا تَقْرَبوا الزنا﴾ (الإسراء ١٧ : ٣٢). وأخرج ابن أبي حاتم أيضًا عن ابن عباس في قوله لولا أن رأى آية من كتاب الله نهته مثلت له في الحائط.[٧٠]

نقول: (١) كيف نزلت هذه الآيات على يوسف؟ هل باللغة العربية؟ فكيف فهمها وهو عبراني؟! أم بالعبرانية؟ فكيف تتفق

---

٦٩ الكشاف في تفسير يوسف

٧٠ «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي فصل ما نزل على غير محمد

مع إنّا أنزلناه قرآنًا عربيًا؟ (يوسف ١٢ : ٢). (٢) كيف نزلت الآيات القرآنية ليوسف قبل مولد محمد؟

والكتاب المقدس يشهد أن يوسف منزّهٌ عن قوله «هَمَّت به وهَمَّ بها». فورد في تكوين ٣٩ : ٩ أنه لما طلبت امرأة فوطيفار من يوسف أن يضطجع معها، قال: إن سيدي سلّم كل شيء ليدي في هذا البيت، ولم يُمسك عني شيئًا غيرك، لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟ وكانت تكلمه من يوم إلى آخر فلم يلتفت إليها.

مسك ثياب يوسف

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ. فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ ٱلْخَاطِئِينَ﴾ (يوسف ١٢: ٢٥-٢٩) يعني: اترك هذا الحديث ولا تذكره لأحدٍ حتى لا ينتشر بين الناس. أو: لا تكترث به، فقد بانت براءتك.

والتوراة تعلمنا خلاف هذا، ففي ذات يوم دخل يوسف البيت ليعمل عمله، ولم يكن أحد في البيت، فأمسكت بثوبه قائلة: اضطجع معي «فَتَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ وَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ. وَكَانَ لَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ تَرَكَ ثَوْبَهُ فِي يَدِهَا وَهَرَبَ إِلَى خَارِجٍ. أَنَّهَا نَادَتْ

أَهْلَ بَيْتِهَا وَقَالَتْ: «ٱنْظُرُوا! قَدْ جَاءَ إِلَيْنَا بِرَجُلٍ عِبْرَانِيٍّ لِيُدَاعِبَنَا» (التكوين ٣٩).

ومن هذا نرى:

١ - لم يجد فوطيفار زوجته ويوسف عند الباب.

٢ - لم يقدّ قميصه لا من دُبُر ولا من قُبُل، لأنه ترك ثيابه في يدها وهرب.

٣ - من الغرائب تبرئة فوطيفار ليوسف وتوبيخ امرأته، وتوسُّله إلى يوسف ألَّا يُشيع الفضيحة، فالرجل الذي يُثبِت على امرأته الفسق والخيانة لا يبقيها في بيته، ولا يستمر على اقتناء العبد ليكون أحبولةً لامرأته الشريرة، ولا يسجنه بعد ظهور براءته. فالحق هو ما ذُكر في التوراة لأنها هي الأصل، ولأنها توافق الذوق والعقل السليم.

نساء المدينة

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَٱحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ. قَالَتْ فَذَلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ ٱلصَّاغِرِينَ﴾ (آيات ٣٠-٣٢).

يقول المفسرون: سمعت نِسوةٌ من أشراف مصر أن امرأة

العزيز تراود عبدها عن نفسه. فلما سمعت أنهنّ يلُمْنَها على محبته صنعت لهنّ وليمة بألوان الفواكه والأطعمة، ووضعت الوسائد ودعت النسوة وأعطت كل واحدة منهنّ سكّينًا، لأنه كانت عادتهنّ أن يأكلن اللحم والفواكه بالسكين. وقالت ليوسف اخرج عليهنّ. وكانت قد زيَّنته وخبَّأته في مكانٍ آخر. فلما رأته النسوة حِضْن من الفرح، وجعلن يقطّعن أيديهنّ بالسكاكين التي معهنّ وهنّ يحسبن أنهنّ يقطعن الأترج، ولم يجدن الألم لدهشتهنّ. وقال قتادة: أَبَنَّ أيديهنّ حتى أَلقَيْنها. وقال وهب: مات جماعة منهنّ، وأن النساء قلن ليوسف: أطع مولاتك فيما دعتك إليه. وقيل: طلبت كل واحدة أن تخلو بهوكانت تقول له: يا يوسف اقضِ لي حاجتي فأناخيرٌ لك من سيدتك. فقال: يارب كانت واحدةً فصرن جماعة. فاختار يوسف السجن على المعصية.[٧١]

ولكن التوراة تعلّمنا:

١ - لم تُقِم امرأة فوطيفار وليمةً لنساء أشراف المدينة وتعترف لهنّ بما اقترفت، فلا نتصوَّر أن تفضح نفسها.

٢ - لا نتصور أنها تزيِّن يوسفَ ثم تدخِله عليهنّ لفتنتهنّ، ويطيعها يوسف مع صلاحه وتقواه.

٣ - لا نتصور أن النساء يقطعن أيديهنّ ولا يشعرن لدهشتهنّ من جمال يوسف. ولو قال إنهنّ نسين طعامهنّ أو غير ذلك لكان مقبولًا. ولكن دعواه أن البعض قتلن أنفسهنّ ولم يشعرن هو من الأقوال المستحيلة والسخيفة معًا ولا يصدِّقها إلَّا نزلاء مستشفى الأمراض العقلية!

---

٧١ القرطبي في تفسير سورة يوسف

٤ - كيف يجوز سَجْنه بعد أن تأكد فوطيفار من براءته ونزاهته؟

٥ - قوله ما «هذا بشرًا» خطأ لغوي، صوابه: بشرٌ.

٦ - يقول القرآن إنَّ فوطيفار وبّخ امرأته، وترجّى يوسف أن لا يفضح أمره، ثم يقول بعد سطرين إن امرأته أشاعت هذا الخبر وهتكت نفسها بنفسها، واعترفت أنها هي الخاطئة وأنها معذورة بسبب جمال يوسف، وبعد هذا كله قال القرآن بحبس يوسف.

وقال المفسرون: إن امرأة فوطيفار قالت بعد ظهور براءة يوسف: سأحبسك مع السُّرّاق والسُّفّاك والأُبّاق، كما سُرق قلبي وأبق مني، وسُفك دمي بالفراق، فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك، كما منعني هنا كل ذلك. ومن لم يرضَ بمثلي في الحرير على السرير أميرًا، حصل في الحصير على الحصير أسيرًا.

حلما السارق والخباز

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ. قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَهُمْ بِٱلآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. يَا صَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف ١٢: ٣٦ـ٣٧ و٤١).

والحقيقة هي ما جاء في تكوين ٤٠

«وَحَدَثَ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ أَنَّ سَاقِيَ مَلِكِ مِصْرَ وَٱلْخَبَّازَ أَذْنَبَا إِلَى سَيِّدِهِمَا مَلِكِ مِصْرَ فَسَخَطَ فِرْعَوْنُ عَلَى خَصِيَّيْهِ: رَئِيسِ ٱلسُّقَاةِ وَرَئِيسِ ٱلْخَبَّازِينَ فَوَضَعَهُمَا فِي حَبْسِ بَيْتِ رَئِيسِ ٱلشُّرَطِ فِي بَيْتِ ٱلسِّجْنِ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي كَانَ يُوسُفُ مَحْبُوسًا فِيهِ. فَأَقَامَ رَئِيسُ ٱلشُّرَطِ يُوسُفَ عِنْدَهُمَا فَخَدَمَهُمَا. وَكَانَا أَيَّامًا فِي ٱلْحَبْسِ. وَحَلُمَا كِلَاهُمَا حُلْمًا فِي لَيْلَةٍ واحِدَةٍ كُلُّ وَاحِدٍ حُلْمَهُ كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ تَعْبِيرِ حُلْمِهِ: سَاقِي مَلِكِ مِصْرَ وَخَبَّازُهُ ٱلْمَحْبُوسَانِ فِي بَيْتِ ٱلسِّجْنِ. فَدَخَلَ يُوسُفُ إِلَيْهِمَا فِي ٱلصَّبَاحِ وَنَظَرَهُمَا وَإِذَا هُمَا مُغْتَمَّانِ. فَسَأَلَ خَصِيَّيْ فِرْعَوْنَ ٱللَّذَيْنِ مَعَهُ فِي حَبْسِ بَيْتِ سَيِّدِهِ: «لِمَاذَا وَجْهَاكُمَا مُكْمَدَّانِ ٱلْيَوْمَ؟» فَقَالَا لَهُ: «حَلُمْنَا حُلْمًا وَلَيْسَ مَنْ يُعَبِّرُهُ». فَقَالَ لَهُمَا يُوسُفُ: «أَلَيْسَتْ لِلّٰهِ ٱلتَّعَابِيرُ؟ قُصَّا عَلَيَّ».

فَقَصَّ رَئِيسُ ٱلسُّقَاةِ حُلْمَهُ عَلَى يُوسُفَ وَقَالَ لَهُ: «كُنْتُ فِي حُلْمِي وَإِذَا كَرْمَةٌ أَمَامِي. وَفِي ٱلْكَرْمَةِ ثَلَاثَةُ قُضْبَانٍ. وَهِيَ إِذْ أَفْرَخَتْ طَلَعَ زَهْرُهَا وَأَنْضَجَتْ عَنَاقِيدُهَا عِنَبًا. وَكَانَتْ كَأْسُ فِرْعَوْنَ فِي يَدِي. فَأَخَذْتُ ٱلْعِنَبَ وَعَصَرْتُهُ فِي كَأْسِ فِرْعَوْنَ وَأَعْطَيْتُ ٱلْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ». فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: «هٰذَا تَعْبِيرُهُ: ٱلثَّلَاثَةُ ٱلْقُضْبَانِ هِيَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ وَيَرُدُّكَ إِلَى مَقَامِكَ فَتُعْطِي كَأْسَ فِرْعَوْنَ فِي يَدِهِ كَٱلْعَادَةِ ٱلْأُولَى حِينَ كُنْتَ سَاقِيَهُ. وَإِنَّمَا إِذَا ذَكَرْتَنِي عِنْدَكَ حِينَمَا يَصِيرُ لَكَ خَيْرٌ تَصْنَعُ إِلَيَّ إِحْسَانًا وَتَذْكُرُنِي لِفِرْعَوْنَ وَتُخْرِجُنِي مِنْ هٰذَا ٱلْبَيْتِ. لِأَنِّي قَدْ سُرِقْتُ مِنْ أَرْضِ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ. وَهُنَا أَيْضًا لَمْ أَفْعَلْ شَيْئًا حَتَّى وَضَعُونِي فِي ٱلسِّجْنِ».

فَلَمَّا رَأَى رَئِيسُ ٱلْخَبَّازِينَ أَنَّهُ عَبَّرَ جَيِّدًا قَالَ لِيُوسُفَ: «كُنْتُ

أَنَا أَيْضًا فِي حُلْمِي وَإِذَا ثَلاَثَةُ سِلاَلِ بَيْضَاءَ عَلَى رَأْسِي. وَفِي ٱلسَّلِّ ٱلْأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ طَعَامِ فِرْعَوْنَ مِنْ صَنْعَةِ ٱلْخَبَّازِ. وَٱلطُّيُورُ تَأْكُلُهُ مِنَ ٱلسَّلِّ عَنْ رَأْسِي». فَأَجَابَ يُوسُفُ وَقَالَ: «هٰذَا تَعْبِيرُهُ: ٱلثَّلاَثَةُ ٱلسِّلاَلِ هِيَ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ. فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا يَرْفَعُ فِرْعَوْنُ رَأْسَكَ عَنْكَ وَيُعَلِّقُكَ عَلَى خَشَبَةٍ وَتَأْكُلُ ٱلطُّيُورُ لَحْمَكَ عَنْكَ».

فَحَدَثَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَوْمِ مِيلاَدِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ صَنَعَ وَلِيمَةً لِجَمِيعِ عَبِيدِهِ وَرَفَعَ رَأْسَ رَئِيسِ ٱلسُّقَاةِ وَرَأْسَ رَئِيسِ ٱلْخَبَّازِينَ بَيْنَ عَبِيدِهِ. وَرَدَّ رَئِيسَ ٱلسُّقَاةِ إِلَى سَقْيِهِ. فَأَعْطَى ٱلْكَأْسَ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ. وَأَمَّا رَئِيسُ ٱلْخَبَّازِينَ فَعَلَّقَهُ كَمَا عَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ. وَلٰكِنْ لَمْ يَذْكُرْ رَئِيسُ ٱلسُّقَاةِ يُوسُفَ بَلْ نَسِيَهُ».

التماس يوسف

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ ٱلشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف ١٢: ٤٢).

قال أكثر المفسرين: إن الشيطان أنسى يوسف ذِكر ربه حتى ابتغى الفَرَج من غيره، واستعان بمخلوقٍ مثله في دفع الضرر. وتلك غفلةٌ عرضت ليوسف، بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة، فإنه ورد في الحديث أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

وقوله بضع سنين اختلفوا فيه، فقيل هو ما بين الثلاث إلى السبع، وقيل هو ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل هو ما دون العشر. وقال أكثر المفسرين إن البضع في هذه الآية سبع سنين، وكان يوسف لبث قبلها خمس سنين، فجملة ذلك ١٢ سنة. قال

محمد: رحم الله يوسف، لولا كلمته التي قالها وهي اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث.[٧٢]

ولكن التوراة تعلمنا أن يوسف قال لرئيس السقاة: حينما يصير لك خير تصنع إليّ إحسانًا وتذكرني لفرعون، وتخرجني من السجن. وهذا الالتماس جائز في حد ذاته، بل واجب، لأن الله جعل لكل شيء سببًا. وأيُّ حرجٍ على يوسف في طلبه هذا الطلب العادل؟ والعاقل يرى أن سلوكً يوسف هذا كان مرضيًا لله فإنه من باب التوكّل على الله. وقد ورد في تكوين ٣٩: ٢١ أن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفًا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن، فسلّم له كل شيء، لأن الرب كان معه، ومهما صنع كان الرب ينجحه.

حلم فرعون

ذُكر في القرآن حلم فرعون، وهو ينقص عما في التوراة جملة أشياء. فلم يذكر أن البقرات التي رآها في الحلم كانت طالعةً من النهر، ولم يقل إن السبع سنابل كانت في ساق واحد. وقال إن رئيس السقاة طلب من فرعون أن يرسله إلى يوسف (كما في عدد ٤٥) وإنه أرسله ففسّر له يوسف الحلم ثم رجع إلى الملك. وفي عدد (٥٠) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَٱسْأَلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱللاّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾. وفي عدد (٥٤) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

---

٧٢ تفسير الرازي

وهذا يعني أنه لما أخبر الساقي الملك بتفسير الرؤيا، أمر الملك بإخراج يوسف من السجن، فأبى يوسف أن يخرج مع رسول الملك حتى تظهر براءته وكيد النساء، فجمع فرعون النساء وخاطبهن، فاعترفت امرأةُ العزيز أنَّها راودته عن نفسه وحدها، وغير ذلك من الكلام، ثم دعا فرعونُ يوسفَ فأجاب الطلب.

والحقيقة هي كما في التوراة، أنه لما حلم فرعون اعترف رئيس السُّقاة لسيده بتقصيره في عدم ذِكر يوسف، وأخبره بما حدث له مع رفيقه في السجن. فأرسل فرعون ودعا يوسف من السجن، فأبدل ثيابه ودخل على فرعون، فأخبره بأحلامه ففسّرها له، وأشار عليه بتخزين القمح أيام الرخاء والخصب، استعدادًا لأيام القحط. ولما انذهل من حكمته ومهارته جعله وزير مصر الأول (تكوين ٤١).

وهنا نرى:

١ - ذهب رئيس السقاة إلى السجن واستفهم من يوسف عن تعبير حلمَي فرعون.

٢ - لما أرسل فرعونُ إلى يوسف رفض يوسف أن يلبّي الدعوة مع أن يوسف هو الذي ترجَّى رئيس السقاة أن يتوسّط في إخراجه من السجن. ولا يُعقل أن يوسف يخالف أمر الملك ويُصِرّ على البقاء في السجن إلى أن يبرىء فرعون ساحته، مع أنه عبد أسير. قال محمد: لو لبثْتُ في السجن طول ما لبث يوسف، لأجبْتُ الداعي (أي رسول الملك).

٣ - ذكر يوسف تقطيع النساء أيديهن. وهذا غريب. فكيف يذكره

وهو لم يصرّح بشيءٍ مما حصل له من ظلم إخوته؟ وأغرب من هذا قول القرآن إن فرعون جمع النساء واستفهم منهنّ عن حقيقة ما حدث!

٤ - قال القرآن إنَّ امرأة فوطيفار اعترفت بذنبها، وهو بعيد عقلًا. وهذه مسألة عرضٍ وشرف.

٥ - كانت هذه المسألة قد نُسيت بمضي سنوات، وعبارة القرآن تفيد أنه مضى على يوسف في السجن سبع سنين أو ١٢ سنة.

افتراء على يوسف

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِٱلسُّوءِ﴾ (يوسف ١٢: ٥٣).

لما قال يوسف: ﴿لم أخُنْهُ بٱلْغيب﴾ (آية ٥٢). قال له جبريل: ولا حين هممت بها؟ فقال يوسف: وما أُبرّئ نفسي. هذه هي رواية ابن عباس، وهو قول الأكثرين. والتوراة تعلِّمنا أنه منزّه عن أنه همّ بها. وكيف يساعده الله على الارتقاء وقلبه فاسد؟ والقرآن قال إنه لما نسي ذِكر ربه لبث في السجن جملة سنين.[٧٣]

طلب يوسف الرئاسة

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (آية ٥٥).

ولكننا نقول:

(١) ورد في الحديث قول محمد: «يرحم الله أخي يوسف، لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكنه

٧٣ تفسير الطبري

أخّر ذلك سنة». [٧٤]

(٢) مدح يوسف نفسه مع أن القرآن يقول: «فلا تزكّوا أنفسكم» (النجم ٣٣).

(٣) والصواب هو ما ذُكر في التوراة (التكوين ٤١ : ٣٧ - ٤٥). فإنه لما فسّر يوسف الحلم لفرعون، حسُن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده، فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله؟ ثم قال فرعون ليوسف: بعد ما أعلمك الله كل هذا، ليس بصيرٌ وحكيمٌ مثلك. وجعله على كل أرض مصر، وفوّض له الأمر.

مجيء إخوة يوسف

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ. وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ. فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ (يوسف ١٢: ٥٨-٦٠).

قال فخر الدين الرازي: هذا الكلام يضعف قول المفسرين إنَّه اتَّهمهم ونسبهم إلى أنهم جواسيس، لأن مَن يتهمهم بأنَّهم جواسيس لا يليق به أن يقول لهم: ألا ترون إني أوفي الكيل وأنا خير المنزِلين.

أما قصة التورة فهي هكذا كما وردت في تكوين ٤٢ :

«فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ

٧٤ القرطبي

قَمْحٌ فِي مِصْرَ. ٱنْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَٱشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلَا نَمُوتَ». فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ. وَأَمَّا بِنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ أَذِيَّةٌ».

فَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَشْتَرُوا بَيْنَ ٱلَّذِينَ أَتُوا لأَنَّ ٱلْجُوعَ كَانَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَكَانَ يُوسُفُ هُوَ ٱلْمُسَلَّطَ عَلَى ٱلأَرْضِ وَهُوَ ٱلْبَائِعَ لِكُلِّ شَعْبِ ٱلأَرْضِ. فَأَتَى إِخْوَةُ يُوسُفَ وَسَجَدُوا لَهُ بِوُجُوهِهِمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ. وَلَمَّا نَظَرَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ عَرَفَهُمْ فَتَنَكَّرَ لَهُمْ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ بِجَفَاءٍ وَقَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَقَالُوا: «مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ لِنَشْتَرِيَ طَعَامًا». وَعَرَفَ يُوسُفُ إِخْوَتَهُ وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَعْرِفُوهُ.

فَتَذَكَّرَ يُوسُفُ ٱلْأَحْلَامَ ٱلَّتِي حَلُمَ عَنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ! لِتَرُوا عَوْرَةَ ٱلْأَرْضِ جِئْتُمْ!» فَقَالُوا لَهُ: «لَا يَا سَيِّدِي. بَلْ عَبِيدُكَ جَاءُوا لِيَشْتَرُوا طَعَامًا. نَحْنُ جَمِيعُنَا بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ. نَحْنُ أُمَنَاءُ. لَيْسَ عَبِيدُكَ جَوَاسِيسَ». فَقَالَ لَهُمْ: «كَلَّا! بَلْ لِتَرُوا عَوْرَةَ ٱلْأَرْضِ جِئْتُمْ». فَقَالُوا: «عَبِيدُكَ ٱثْنَا عَشَرَ أَخًا. نَحْنُ بَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. وَهُوَذَا ٱلصَّغِيرُ عِنْدَ أَبِينَا ٱلْيَوْمَ وَٱلْوَاحِدُ مَفْقُودٌ». فَقَالَ لَهُمْ يُوسُفُ: «ذَلِكَ مَا كَلَّمْتُكُمْ بِهِ قَائِلًا: جَوَاسِيسُ أَنْتُمْ. بِهَذَا تُمْتَحَنُونَ. وَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ هُنَا إِلَّا بِمَجِيءِ أَخِيكُمُ ٱلصَّغِيرِ إِلَى هُنَا. أَرْسِلُوا مِنْكُمْ وَاحِدًا لِيَجِيءَ بِأَخِيكُمْ وَأَنْتُمْ تُحْبَسُونَ فَيُمْتَحَنَ كَلَامُكُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ صِدْقٌ. وَإِلَّا فَوَحَيَاةِ فِرْعَوْنَ إِنَّكُمْ لَجَوَاسِيسُ!» فَجَمَعَهُمْ إِلَى حَبْسٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يُوسُفُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ: «ٱفْعَلُوا هٰذَا وَٱحْيُوا. أَنَا خَائِفُ ٱللهِ. إِنْ كُنْتُمْ أُمَنَاءَ فَلْيُحْبَسْ أَخٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ فِي بَيْتِ حَبْسِكُمْ

وَٱنْطَلِقُوا أَنْتُمْ وَخُذُوا قَمْحًا لِمَجَاعَةِ بُيُوتِكُمْ. وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ ٱلصَّغِيرَ إِلَيَّ فَيَتَحَقَّقَ كَلَامُكُمْ وَلَا تَمُوتُوا». فَفَعَلُوا هٰكَذَا. وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «حَقًّا إِنَّنَا مُذْنِبُونَ إِلَى أَخِينَا ٱلَّذِي رَأَيْنَا ضِيقَةَ نَفْسِهِ لَمَّا ٱسْتَرْحَمَنَا وَلَمْ نَسْمَعْ. لِذَلِكَ جَاءَتْ عَلَيْنَا هٰذِهِ ٱلضِّيقَةُ». فَأَجَابَهُمْ رَأُوبَيْنُ: «أَلَمْ أُكَلِّمْكُمْ قَائِلًا: لَا تَأْثَمُوا بِٱلْوَلَدِ وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا؟ فَهُوَذَا دَمُهُ يُطْلَبُ». وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ يُوسُفَ فَاهِمٌ، لِأَنَّ ٱلتُّرْجُمَانَ كَانَ بَيْنَهُمْ. فَتَحَوَّلَ عَنْهُمْ وَبَكَى. ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ وَكَلَّمَهُمْ وَأَخَذَ مِنْهُمْ شَمْعُونَ وَقَيَّدَهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ.

ثُمَّ أَمَرَ يُوسُفُ أَنْ تُمْلأَ أَوْعِيَتُهُمْ قَمْحًا وَتُرَدَّ فِضَّةُ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى عِدْلِهِ وَأَنْ يُعْطَوْا زَادًا لِلطَّرِيقِ. فَفُعِلَ لَهُمْ هٰكَذَا. فَحَمَلُوا قَمْحَهُمْ عَلَى حَمِيرِهِمْ وَمَضُوا مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا فَتَحَ أَحَدُهُمْ عِدْلَهُ لِيُعْطِيَ عَلِيقًا لِحِمَارِهِ فِي ٱلْمَنْزِلِ رَأَى فِضَّتَهُ وَإِذَا هِيَ فِي فَمِ عِدْلِهِ. فَقَالَ لِإِخْوَتِهِ: «رُدَّتْ فِضَّتِي وَهَا هِيَ فِي عِدْلِي». فَطَارَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱرْتَعَدُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ قَائِلِينَ: «مَا هٰذَا ٱلَّذِي صَنَعَهُ ٱللهُ بِنَا؟».

فَجَاءُوا إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ مَا أَصَابَهُمْ قَائِلِينَ: «تَكَلَّمَ مَعَنَا ٱلرَّجُلُ سَيِّدُ ٱلْأَرْضِ بِجَفَاءٍ وَحَسِبَنَا جَوَاسِيسَ ٱلْأَرْضِ. فَقُلْنَا لَهُ: نَحْنُ أُمَنَاءُ. لَسْنَا جَوَاسِيسَ. نَحْنُ ٱثْنَا عَشَرَ أَخًا بَنُو أَبِينَا. ٱلْوَاحِدُ مَفْقُودٌ وَٱلصَّغِيرُ ٱلْيَوْمَ عِنْدَ أَبِينَا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَقَالَ لَنَا ٱلرَّجُلُ سَيِّدُ ٱلْأَرْضِ: بِهٰذَا أَعْرِفُ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ. دَعُوا أَخًا وَاحِدًا مِنْكُمْ عِنْدِي وَخُذُوا لِمَجَاعَةِ بُيُوتِكُمْ وَٱنْطَلِقُوا. وَأَحْضِرُوا أَخَاكُمُ ٱلصَّغِيرَ إِلَيَّ فَأَعْرِفَ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ جَوَاسِيسَ بَلْ أَنَّكُمْ أُمَنَاءُ فَأُعْطِيَكُمْ أَخَاكُمْ وَتَتَّجِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ». وَإِذْ كَانُوا يُفَرِّغُونَ عِدَالَهُمْ إِذَا صُرَّةُ فِضَّةِ كُلِّ وَاحِدٍ فِي عِدْلِهِ. فَلَمَّا رَأَوْا صُرَرَ

فِضَّتِهِمْ هُمْ وَأَبُوهُمْ خَافُوا.

فَقَالَ لَهُمْ يَعْقُوبُ: «أَعْدَمْتُمُونِي ٱلْأَوْلَادَ! يُوسُفُ مَفْقُودٌ وَشَمْعُونُ مَفْقُودٌ وَبِنْيَامِينُ تَأْخُذُونَهُ! صَارَ كُلُّ هٰذَا عَلَيَّ!» وَقَالَ رَأُوبَيْنُ لأَبِيهِ: «ٱقْتُلِ ٱبْنَيَّ إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ. سَلِّمْهُ بِيَدِي وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ». فَقَالَ: «لَا يَنْزِلُ ٱبْنِي مَعَكُمْ لأَنَّ أَخَاهُ قَدْ مَاتَ وَهُوَ وَحْدَهُ بَاقٍ. فَإِنْ أَصَابَتْهُ أَذِيَّةٌ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّتِي تَذْهَبُونَ فِيهَا تُنْزِلُونَ شَيْبَتِي بِحُزْنٍ إِلَى ٱلْهَاوِيَةِ».

وهنا نرى:

(١) قال يوسف: ائتوني بأخٍ لكم، بدون استفهامٍ منهم.

(٢) قوله: إني أوفي الكيل. والحق هو ما ورد في تكوين ٤٢ أنه لما اشتد الجوع في كنعان وعرف يعقوب بوجود قمحٍ في مصر، أرسل أولاده ليشتروا قمحًا، فأتوا إلى يوسف وخرّوا له ساجدين. فتنكّر يوسف وقال لهم: أتيتم لتتجسَّسوا الأرض. وكانت غايته من ذلك أن يستدلّ منهم عما إذا كان أبوه وأخوه على قيد الحياة أم لا. فأجابوه: إننا اثنا عشر رجلًا بنو رجل واحد، والصغير عند أبينا اليوم، وواحد مفقود. فقال لهم: لا أصدّق كلامكم ما لم تأتوا بأخيكم، وإلَّا فأنتم جواسيس. وحبسهم ثلاثة أيام، ثم حجز شمعون إلى أن يأتوا بأخيهم، فتذكّروا يوسف وضيقة نفسه، وظنّوا أن يوسف لم يفهم كلامهم، فتحوَّل عنهم وبكى، وأمر أن تُملأ أوعيتهم قمحًا وتُردّ الفضة، وأن يُعطوا زادًا للطريق لأنه كلّفهم بمأمورية. فلا يتصوّر أحد إنهم يذهبون إلى أبيهم ويطلبون منه أن يُرسل أخاهم بنيامين بدون سبب. ولكن التوراة ذكرت سبب ذلك،

وهو رغبتهم في تبرئة أنفسهم مما نُسب إليهم أنهم جواسيس، وشرعوا في إقامة البرهان على صدق كلامهم بإحضار أخيهم. ومن الأسباب الموجِبة لإحضار أخيهم بنيامين حجز يوسف لأخيهم شمعون. ولا يُفهَم من عبارة القرآن شيءٌ من ذلك فهي مقتضبة وموجزة. نعم فالتوراة هي تفصيلًا لكل شيء!

شرّ العين

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَٱدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ ٱللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (يوسف ١٢: ٦٧).

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور والمفسرين: أمَرَهم أن يتفرّقوا في دخولهم المدينة لئلا يُصابوا بالعين، فإن العين حق. ووردت أحاديث تثبت أن العين حق. وكان محمد يقول: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه.[٧٥]

واعترض العقلاء اعتراضات جمّة على ذلك، فردّ أصحاب الوسوسة وقالوا: لا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العائن لتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه، فيخلق الله الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم عادة.

والحق أنه لا يعتقد عاقل بالعين، ويعقوب كان من المتوكلين على الله. ولم يرد في التوراة شيء من هذا، بل ورد قول يعقوب لبنيه: «وَٱللهُ ٱلْقَدِيرُ يُعْطِيكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ ٱلرَّجُلِ حَتَّى يُطْلِقَ لَكُمْ أَخَاكُمُ ٱلآخَرَ وَبِنْيَامِينَ. وَأَنَا إِذَا عَدِمْتُ ٱلْأَوْلَادَ عَدِمْتُهُمْ» (تكوين ٤٣ : ١٤).

---

٧٥ القرطبي

يوسف يقابل إخوته

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ. قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (يوسف ١٢: ٦٩-٧٢).

قال القرآن إن يوسف عرَّف نفسه لأخيه دون باقي إخوته، والحقيقة هي أنَّهم لما وصلوا أكرمهم وأطعمهم واستفهم منهم عن سلامة أبيهم. ولما أزمعوا الرحيل أمر بوضع الطاس في فم عِدْل بنيامين. ولما انصرفوا أرسل وراءهم من فتَّش عِدالهم، ولما وجدوا الطاس في فم عِدل بنيامين أمر بالقبض عليه، وكانت غايته من ذلك أن يعرف: هل كانوا يبغضونه، أم غيَّرت الأيام طباعهم؟ فاستعطفه إخوته وقصّوا عليه حكايتهم المبكية، مما برهن تغيُّر قلوبهم. وأخيرًا كشف لهم يوسف الأمر. (تكوين ٤٤، ٤٥).

يوسف سارق

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف ١٢: ٧٧).

يؤخذ من عبارة القرآن أن بنيامين سرق الصاع مثل أخيه يوسف، فإن المسلمين قالوا إن يوسف سرق صنم جدّه أبي أمه. وقيل سرق بيضةً أعطاها للفقراء، وقيل دجاجة. وقيل كان يخبىء

الطعام ليتصدّق به، وغير ذلك[٧٦]. وهو غير صحيح، فإن يوسف لم يسرق شيئًا. والحقيقة هي أنه لما وجد عبيدُ يوسف الطاسَ في عِدل بنيامين، مزّق إخوتُه ثيابهم، وتحدث يهوذا حديثًا مؤثرًا جدًا، وقال ليوسف: خذني عِوضًا عنه، لأني إذا صعدتُ إلى أبيه بدونه يموت والدي. وبذلك ظهرت محبتهم لبنيامين، وأن طباعهم تغيّرت عما كانوا عليه وقت يوسف. فتأثر يوسف من أقوالهم وتصرفاتهم وأمر بإخراج الحاضرين وبكى، وعرّفهم نفسه، وسكّن روعهم.

إخوة يوسف يرجعون إلى أبيهم

﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ ٱللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ ٱلله لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ ٱرْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ. وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

يُستفاد من (يوسف ١٢ : ٨٠ - ٨٢) أن إخوة يوسف تركوا بنيامين في مصر وتوجّهوا إلى أبيهم وأخبروه أنَّ ابنه بنيامين سَرق، وأن حاكم مصر حجزه عنده. فأرسلهم ثانية إلى مصر لشراء قمح.

والتوراة تختلف مع هذا، فإنهم لو رجعوا إلى أبيهم بغير أخيهم لما عاش والدُهم. والحق هو أن يوسف عرَّف نفسه لإخوته، وأرسل المركبات واستدعى أباه إلى أرض مصر. ومن رغب في معرفة هذه القصة فعليه بمطالعة التوراة.

---

٧٦ الكشاف في تفسير الآية

قميص يوسف

﴿ٱذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ. وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ. قَالُوا وَٱللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ ٱلْقَدِيمِ. فَلَمَّا أَنْ جَاءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ ٱللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ١٢: ٩٣-٩٦).

قال الضحّاك: «كان هذا القميص من نسيج الجنة وقال مجاهد: أمره جبريل أن يرسل إليه قميصه، وكان ذلك القميص قميص إبراهيم، وذلك إنه لما جُرِّد من ثيابه وأُلقي في النار عريانًا أتاه جبريل بقميصٍ من حرير الجنة، فألبسه إياه، فكان ذلك القميص عند إبراهيم. فلما مات ورثه إسحق، فلما مات ورثه يعقوب، فلما شبّ يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قَصَبةٍ من فضَّة وسدّ رأسها وجعلها في عنق يوسف كالتعاويذ، لما كان يخاف عليه من العين، وكانت لا تفارقه. فلما أُلقي يوسف في البئر عُريانًا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص وألبسه إياه. فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل وأمره أن يرسل هذا القميص إلى أبيه، لأن فيه ريح الجنة، فلا يقع على مبتلى ولا سقيم إلَّا عُوفي في الوقت. فدفع يوسف ذلك القميص إلى إخوته وقال: اذهبوا بقميصي هذا وضعوه على وجه أبي. فلما فعلوا ذلك رُدَّ إليه بصره».[٧٧]

أما صواب قصة القميص فنقرأه في تكوين ٣٧: ٣. «وَأَمَّا إِسْرَائِيلُ فَأَحَبَّ يُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ بَنِيهِ لِأَنَّهُ ٱبْنُ شَيْخُوخَتِهِ فَصَنَعَ لَهُ قَمِيصًا مُلَوَّنًا». ولما باع أولاد يعقوب أخاهم يوسف

٧٧ القرطبي

أخذوا هذا القميص الملوّن وذبحوا تيسًا من المعز وغمسوا القميص في الدم، وأرسلوه إلى أبيهم وقالوا: وجدنا هذا القميص، فحقِّقْه: أقميص ابنك هو؟ فقال: قميص ابني. وحشٌ رديءٌ أكله. فناح.

وفي تكوين ٣٧: ٣٥ أرسل يوسف لطلب أبيه عَجَلاتٍ وعشر حمير حاملة من خيرات مصر، وعشرة أُتُنٍ حاملةً حنطة وخبزًا وطعامًا لأبيه في الطريق. ولم يرسل إليه قميصًا.

ونسب القرآن إلى هذا القميص تفتيح عيني يعقوب!

تسع آيات موسى

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ (سورة الإسراء ١٧: ١٠١ – ١٠٤).

قال ابن عباس: «هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلَّها، وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم». وقيل: «عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات» وقيل: «الطمي والبحر» بدل السنين والنقص. قيل: «كان الرجل منهم مع أهله في الفراش وقد صارا حجرين، والمرأة تخبز وقد صارت حجرًا». ورُوي أن يهوديًا قال لصاحبه: «تعال حتى نسأل هذا النبي» فقال الآخر: «لا تقُل نبي، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين». فسألناه عن معنى قوله: «ولقد آتينا موسى

تسع آيات» فقال: «لا تشرِكوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحق، ولا تزنوا، ولا تأكلوا الربا، ولا تسحروا، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسرقوا، ولا تقذفوا المحصَّنات، ولا تفرقوا من الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت»[٧٨].

للتعليق نقول: (١) إن الضربات التي ضرب بها الله المصريين هي عشر (خروج أصحاحات ٧ - ١٢). هذا خلاف المعجزات التي صنعها موسى، منها وضع يده في عبّه وصيرورتها برصاء، وصيرورة العصا حية، وفَلْق البحر الأحمر، ونزول المنّ والسلوى، وضرب الصخرة بعصاه فخرج الماء منها، وابتلاع الأرض لدوثان ورفيقيه، وصعوده إلى الجبل وغيره.

(٢) وإذا كان مراده بالتسع آيات الوصايا التي أنزلها الله، فنقول إنها عشر، مذكورة في سفر الخروج ٢٠.

وقد ذكر القرآن أن موسى وفرعون تشاتمًا، مع أن موسى لم يشتم فرعون، كما أن فرعون لم يلعن موسى. ولا يُعقل أن موسى المشهور بالحلم والوداعة يتطاول على ملكٍ مستبد.

(٣) قوله «فأراد فرعون أن يستفزّهم من الأرض» أي يُخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر، فأغرقه ربنا، وأمر بني إسرائيل أن يسكنوا أرض مصر. مع أن مُنية بني إسرائيل كانت الخروج من مصر، أرض العبودية، ولم يَرْضَ فرعون أن يُخرجهم إلَّا رغماً عن أنفه، فإن الله أخرجهم بيدٍ قوية وذراعٍ رفيعة، كما قالت التوراة.

---

٧٨ الطبري في تفسير الإسراء

موسى والخضر

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (أي دهرًا طويلًا) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا (أي مسلكًا) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغ فَٱرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (أي رجعا يتبعان الذي جاءا منه) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (هو الخضر) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِث لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَٱنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لِقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَٱنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا فَٱنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَٱتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا ٱلْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا

طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (سورة الكهف ١٨: ٦٠ - ٨٢).

وهذا يعني:

(١) أن الخضر خرق السفينة حتى لا يأخذها الملك عنوةً.

(٢) إنه رأى غلامًا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين لئلا يضل والديه.

(٣) كان الجدار لرجل صالح له ولدان، وكان تحت الجدار كنز فأخفاه إلى أن يبلغ هذان الولدان، فإن الله يحفظ أبناء العبد الصالح.

ورد في الحديث أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال أنا. فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يارب، فكيف لي به؟ قال: فخذ معك حوتًا فاجعله في مكتل، فحيث فقدت الحوت فهو هناك. وقيل إن موسى خطب في الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأُعجب منها، فقيل له: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إليه: بل أَعْلم منك عبدنا الخضر، وهو بمجمع البحرين. وكان الخضر في أيام أفريدون، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر. وبقى إلى أيام موسى.[٧٩]

ولا نعرف أساسًا لهذه القصة الخرافية، فإن موسى لم يدَّعِ

٧٩ تفسير الكشاف على هذه الآيات

أنه أعلم أهل عصره:

(١) نعم إنه كان علاّمة، إلَّا أنه كان حليماً متواضعًا كما تشهد التوراة.

(٢) الخضر اسم أو لقب عربي، وموسى كان إسرائيليًا. ولا مناسبة بينهما. وكذلك قولهم إن ذا القرنين كان معاصرًا لموسى مع أن بينهما مئات السنين. ومن الغرائب تفضيلهم الخضر على موسى.

الوحي للأسباط

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ﴾ النساء ٤: ١٦٣.

١ - نسب القرآن إلى الأسباط (أبناء يعقوب) وحيًا. ونحن لا نعلم ما هو. والقرآن نفسه ينسب لهم في يوسف ١٢: ٨ - ١٠ عدّة خطايا لا تخرج من مؤمنين، فما بالك بالأنبياء. فهل يُعقل أن الله يتَّخذ مثل هؤلاء أدواتٍ لتبليغ رسالته؟

٢ - في الآية لم يُراعَ الترتيب التاريخي للأنبياء، فذكر المسيح قبل أيوب ويونس، ثم ذكر هارون وسليمان، ثم عاد لداود دون أي انسجام في ترتيب الأسماء.

جبريل والكلاب

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ (المائدة ٥: ٤)

روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى محمد يستأذن عليه فأُذن له فلم يدخل، فقال: قد أذنّا لك. فقال جبريل: «أجل. ولكنّا لا ندخل بيتًا فيه كلب، قال أبو رافع: فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة، ففعلت حتى انتهيت إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها، فتركته رحمةً لها. ثم جئتُ إلى محمد فأخبرته، فأمرني بقتله. فأتى عاصم بن عدي وعويم بن ساعده وسعد بن خيثمة وقالوا له: إنَّا قومٌ نصيد بالكلاب وبالبُزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، فماذا يحلّ لنا؟ فسكت، ثم قال: «أُحلّ لكم...». قال: كلب الصيد وكلب الماشية، بعد أن قتل الجميع[٨٠].

نقول: (١) لو افترضنا أن هذا الرأي صحيح وأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب، فكيف يتفق هذا مع ما جاء في الكهف ١٨ : ١٨ ﴿ونقلِّبُهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسطٌ ذراعيه﴾؟ فكيف كانت الملائكة تقلّبهم في أثناء وجود الكلب؟

(٢) كانت الكلاب في المدينة بل في بيت محمد قبل هذا الوقت، فكيف كان يأتيه جبريل بالوحي؟ إما أن الذي كان يأتيه قبل قَتل الكلاب غير جبريل، أو أن هذه الأمور كلها أوهام، فإن جبريل كان يأتي أنبياء العهد القديم والعهد الجديد ولم يأمر بقتل كلب ولا كلاب!

أسماء الأنبياء

﴿وَوَهَبْنَا (لإبراهيم) لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ

٨٠ الطبري في تفسير المائدة

نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَأَلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ﴾ (آيات ٨٤ - ٨٦).

المطّلع على الكتاب المقدَّس يرى أن محمدًا يجهل أزمنة ظهور هؤلاء الأنبياء الكرام، ولذا قدّم المتأخر وأخّر المتقدّم، فكان ذكره لهم في غاية التشويش. هذا فضلاً عن أخطائه في أسمائهم فيحيي صوابه يوحنا، وإلياس صوابه إيليا، واليسع صوابه إليشع، ويونس صوابه يونان.

بنو إسرائيل ومصر

ورد في سورة الأعراف ٧ : ١٢٨ أن موسى حضّ قومه على الاعتصام بالصبر، وأخبرهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ثم قال لهم في عدد ١٢٩ ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

فأجمع مفسِّرو المسلمين على أن هذه العبارة تقول إنه لما يهلك الله عدوهم (يعني فرعون وقومه) يجعل بني إسرائيل يخلفونهم في أرضهم، أي أرض مصر بعد هلاكهم، ويأخذونها. ولم يأخذ بنو إسرائيل أرض مصر مطلقًا، لا في زمن داود كما قال البيضاوي، ولا في زمن غيره. وقوله يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض منافٍ للحقيقة التاريخية. ولم يقل موسى لبني إسرائيل شيئًا من هذا.

لوحا الوصايا

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٤٥)

قال ابن عباس: يريد ألواح التوراة. والمعنى: وكتبنا لموسى في ألواح التوراة تفاصيل كل شيء. وفي الحديث: كانت من سدر الجنة، طول اللوح اثنا عشر ذراعًا. وقال بعضهم: كانت الألواح من خشب، وقيل من زبرجد خضراء، وقيل من ياقوتة حمراء، وقيل من زمرد جاء بها جبريل من جنة عدن، وقيل أمره الله بقطع ألواح من صخرة صمّاء ليّنها له، فقطعها بيده ثم شقها بأصبعه. وسمع موسى صريف الأقلام.

واختلفوا في عدد الألواح، فقال ابن عباس: كانت سبعة ألواح، وقيل عشرة ألواح، وقيل تسعة، وقيل لوحان.

والحق أن الله كتب الوصايا العشر على لوحين فقط من حجر.

اختيار موسى سبعين رجلا

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٥٥).

قال السُّدي: أمر الله موسى أن يأتيه في ناسٍ مِن بني إسرائيل يعتذرون إليه عن عبادة العجل، فامتثل الأمر. فلما ذهب بهم إلى ميقات ربه قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فأخذتهم

الصاعقة فماتوا. فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكت خيارهم؟ رب لو شئتَ أهلكتَهم من قبل وإياي.

فعبارة القرآن تفيد أن موسى أخذ السبعين رجلًا بعد نزول الشريعة وبعد عمل العجل، والحقيقة هي أن موسى أصعد السبعين رجلًا قبل نزول اللوحين وقبل عمل العجل (خروج ٢٤ : ١).

القرية!

﴿اسكنوا هذه القرية (بيت المقدس) وكلوا منها حيث شئتُم، وقولوا حِطَّةٌ، وٱدخلوا ٱلباب سُجّدًا نغفر لكم خطيئتكم﴾ (سورة الأعراف ٧: ١٦١)

أمرهم أن يطلبوا من الله أن يحط عنهم ذنوبهم، فبدَّل الذين ظلموا منهم هذا الكلام بأن قالوا حنطة في شعيرة. فأرسل الله عليهم عذابًا من السماء. ووردت هذه القصة أيضًا في سورة البقرة.

ولم يرد في تاريخ بني إسرائيل شيء من هذا.

سيرة إبراهيم

جاءت سيرة خليل الله إبراهيم في سفر التكوين الأصحاحات ١١ - ٢٤، جمعت فيها أقوال وأفعال أب الأنبياء، ولا نجد فيها أن إبراهيم كان يجادل أبيه وقومه بخصوص عبادة الأصنام كما جاء في سورة الشعراء ٢٦: ٦٩ - ٧٢ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾

فمصدر هذه الحكاية كتاب اسمه «مدراس رباه» فصل ١٤ في تفسيره لسفر التكوين ١٥ : ١٧.

ما هو الرعد؟

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ (البقرة ٢: ١٩).

قال محمد بن مسلم الطائفي: بلغني أن البرق مَلَكٌ له أربعة أوجه: وجه إنسان، ووجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد. فإذا رفرف بجناحيه فذلك البرق[٨١].

وقال ابن عباس «إن الرعد مَلَكٌ من السماء معه مخاريقٌ من نار يسوق بها السحاب. وإذا ضرب السحاب أضاء، فذلك البرق»[٨٢].

هذا هو تفسيرهم وكلام علمائهم، وهو ليس بحاجة إلى أي تعليق. فالقرآن والمفسرون، يخترعون غير ما يقوله الله، وما يرفضه العقل السليم.

إله لا يستحي

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ البقرة ٢: ٢٦)

---

٨١ تفسير الطبري لهذه الآية

٨٢ سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن في الرعد١٣

(١) لما ضرب محمدٌ المثَل بالذباب والعنكبوت، وذكر النحل والنمل، قال المعارضون: «ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة! إننا لا نعبد إلهًا يذكر هذه الأشياء». فقال محمد: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا». فأجابهم من جنس أقوالهم، ولم يأتِ بجديد!

(٢) كان ينبغي أن يقول «بعوضة فما تحتها» لا «بعوضة فما فوقها» فما تحتها هو الصحيح في مثل هذا الموقف. وقد حاول علماء المسلمين تفسير هذا، فقالوا فما فوقها أي دونها في الصِّغر![٨٣].

فعلًا! الله في القرآن لا يستحي!

الصابئون

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلنَّصَارَى وَٱلصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٢: ٦٢).

(١) قال سليمان: سألتُ محمدًا عن أهل دينٍ كنت معهم، فذكرتُ من صلاتهم وعبادتهم. فقال محمد هذه العبارة المذكورة. ورُوي أنه لما قصّ سليمان على محمد قصة أصحابه، قال: هم في النار. فأظلمت عليه الأرض. ثم أورد بعد ذلك قوله ﴿إن الذين آمنوا.. إلى قوله ولا هم يحزنون﴾. قال: «فكأنما كُشف عني جبل»[٨٤].

فكان محمد يراعي ظروف الأحوال، ويجتهد في إرضاء

٨٣ الطبري في تفسير البقرة ٢: ٢٦

٨٤ «أسباب النزول» للسيوطي سبب نزول البقرة ٢: ٦٢

الناس ومراعاة خواطرهم، فلا يصحّ أن يكون الوحي بهذه الصفة، بل أن هذا القول جدير بأن يلحق بالسياسة لا بالدين. أما أنبياء الله الصادقون فهم الذين يعلنون الحق ولا يتراجعون عنه مهما كانت الأسباب البشرية، لأن روح الله يتكلم فيهم.

(٢) وردت هذه الآية مرة أخرى صحيحة لغويًا في الحج ٢٢: ١٧ ووردت مرة ثالثة خاطئة لغويًا في المائدة ٥: ٦٩ حيث تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئُونَ (وصحتها) والصابئين﴾.

اليهود

﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّاوَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة ٢: ٧٦).

قال ابن زيد: كانوا إذا سئلوا عن الشيء قالوا: أما تعلمون في التوراة كذا وكذا؟ قالوا بلى، قال: وهم يهود، فيقول لهم رؤساؤهم الذين يرجعون إليهم مالكم تخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجوكم به عند ربكم، أفلا تعقلون؟ وقد جاء في الحديث أن محمدًا قال: «لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنا قَصبَةَ ٱلمَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ» فقال رؤساء اليهود، اذهبوا فقولوا آمنا، واكفروا إذا رجعتم، قال: فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهم بعد العصر ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ آمِنُوا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران ٣: ٧٢).

فالعبارة القرآنية حكاية عن حادثة وقعت لمحمد وليس فيها الوحي وهي تدل على أن المسلمين كانوا يتعلّمون من أهل الكتاب[٨٥].

تمني الموت

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِنْدَ ٱللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٢: ٩٤)

رُوِيَ أنَّ اليهود قالوا: لن يدخل الجنة إلَّا من كان هودًا. وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه. فكذَّبهم محمد بهذه العبارة. وهذا التكذيب مجرد من الأدلة العقلية المنطقية. وبيان ذلك أن أبناء الله لا يتمنُّون الموت، بل يسلّمون الأمر لله، إن شاء أبقاهم لتمجيد اسمه وإذاعة حمده وشكره، وإن شاء نقلهم إلى دار النعيم. من الغرائب أن ابن عباس روى عن محمد أنه قال: لو تمنّوا الموت لغصَّ كل إنسان بريقه، وما بقي على وجه الأرض يهودي إلَّا مات. وهو كلام غير معقول.

لا تقولوا: راعنا

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعِنا، وقولوا انظُرْنا، واسمعوا وللكافرين عذاب أليم﴾ (آية ١٠٤).

كان المسلمون يقولون لمحمد: راعنا يا رسول الله (من المراعاة) أي ارعنا سمعك وانتبه لكلامنا. وكانت هذه اللفظة سبًّا قبيحًا بلغة اليهود، ومعناها عندهم اسمع لا سمعت!. وقيل من

٨٥ الطبري في تفسير البقرة ٢: ٧٦

الرعونة إذا أرادوا أن يحمِّقوا إنسانًا قالوا: راعنا، يعني أحمق. فلما سمعت اليهود هذه الكلمة من المسلمين، قالوا فيما بينهم: كنا نسبّ محمد سرًا فأعلنوا به الآن. فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم. فسمعها سعد بن معاذ، ففطن لها، وكان يعرف لغتهم. فقال لليهود: لئن سمعنا من أحدٍ منكم يقولها لمحمد لأضربنّ عنقه. فقالوا: أوَلستم تقولونها؟ فكان ذلك موجبًا لمحمد أن يقول: لا تقولوا راعنا، حتى لا يجد اليهود بذلك سبيلًا إلى شَتْمه[٨٦].

فهذا لا يستلزم وحيًا ولا إلهامًا، فإنه تنبيهُ لأصحابه أن لا يخاطبوه بعبارة تحتمل سبّه. ومع ذلك قالوا إن سعد بن معاذ كان أول من عرف مكيدة اليهود وسبّهم. فلو كان محمد من الذين يوحي الله إليهم حقيقةً، لعرف من نفسه مكائد اليهود بدون سعد!

خوف زكريا

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ (من يخلفونه) مِنْ وَرَائِي﴾ (مريم ١٩: ٥).

أي بعد موتي، والموالي هم بنو العم، وقيل العصبة، وقيل جميع الورثة. والمعنى أن زكريا طلب من الله أن يرزقه بولد يرثه، لأنه خاف الموالي.

ويعلّمنا الإنجيل أنَّ زكريا وامرأته كانا بارّين، وسلّما الأمر لله، ولم يخشيا أحدًا.

٨٦ المنار في تفسير البقرة ٢: ١٠٤

أعوذ منك

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم ١٩: ١٨).

ترى ماذا فعل روح الله الذي تمثّل لمريم بشرًا سويًا حتى تستعيذ بالرحمان منه إن كان تقيًا؟ لا بد أنه أتى شيئًا خافت منه مريم واستعاذت، ولو أن القرآن لا يذكر لنا ما هو!

حديث المسيح في المهد

«فَأَشَارَتْ (إلى المسيح) إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» (مريم ١٩: ٢٩ - ٣٢).

هذا هو حديث المسيح في المهد كما صوّره القرآن، غير أن الإمام الرازي اعترض على هذه الرواية القرآنية بقوله: «اليهود والنصارى يُنكرون أن عيسى تكلَّم في زمان الطفولة، واحتجّوا عليه بأن هذا من الوقائع العجيبة التي تتوافر الدعاوى على نقلها، فلو وُجدت لنُقلت بالتواتر. ولو كان ذلك لعرفه النصارى، لاسيما وهم من أشد الناس غلوًا فيه، حتى زعموا كونه إلهًا. ولا شك أن الكلام في الطفولة من المناقب العظيمة والفضائل التامة، فلما لم تعرفه النصارى، مع شدة الحب وكمال البحث عن أحواله، علمنا أنه لم يوجد»[٨٧].

---

٨٧ الرازي في تفسير مريم

الأصنام وإبراهيم

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ (مريم ١٩: ٤٦ - ٤٧).

تقدم أن أبا إبراهيم كان تقيًا، والكتاب يقول إنَّه أخذ ابنه إبراهيم، ولوطًا ابن أخيه، وتركوا بلادهم، وانفصلا عن قومهما خوفًا من التنجُّس برذائلهم. وقلنا إن إبراهيم كان يعرف أن الاستغفار للشقي أو للكافر لا ينفع.

كما أن القرآن أخطأ في الكلام على إبراهيم أيضًا، فورد في الأنبياء ٢١: ٥٧ - ٦٣ ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَٱسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

وورد في الحديث: «لم يكذب إبراهيم إلَّا ثلاث كذبات، اثنتين منهنّ في ذات الله: قوله «إني سقيم» وقوله «فعله كبيرُهم هذا» وقوله لسارة «هذه أختي» (ابن كثير في تفسير الأنبياء). وادّعوا أن أبا إبراهيم أخبره أن يخرج معهم إلى عيدهم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال: إني سقيم. وثانيًا لما كسّر الأصنام ادّعى أن الصنم الكبير هو الذي كسرها، وهما غلطتان. ومن أغلاطه ادعاؤه في الأنبياء ٢١: ٦٨ و٦٩ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى

إِبْرَاهِيمَ﴾. والحقيقة هي أن إبراهيم لم يُلقَ في النار بل الفتية الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نغو، لأنهم لم يسجدوا لتمثال نبوخذنصر، وليس لأنهم كسروا الأصنام، فأمر نبوخذنصر بإلقائهم في أتون النار فلم يصِبْهم ضرر (دانيال ٣).

جئت لتُخرِجنا

﴿قَالَ (فرعون) أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى؟﴾ (طه ٢٠: ٥٧).

هذا غير معقول، فكتاب الله يعلّمنا أن موسى لم يأتِ لمصر ليُخرج فرعون وقومه منها، بل جاء ليُخرِج بني إسرائيل، لأن مصر كانت أرض عبودية لهم.

امرأة فرعون وموسى

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص ٢٨: ٩).

وتخبرنا التوراة أن ابنةَ فرعون نزلت إلى نهر النيل لتغتسل، لأنهم كانوا يعتبرون النيل إلهًا يطهّرهم من النجاسة. فرأت سفطًا بين الحَلْفاء ففتحته، وإذا صبي يبكي، فاتَّخذته ابنة فرعون ابنًا لها. فليست هي امرأة فرعون، بل ابنة فرعون.

فضل داود وسليمان

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ

أَنِ ٱعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ٱعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ (سبأ ٣٤: ١٠ – ١٤).

معنى هذه الأقوال:

(١) آتى اللهُ داودَ تأويبَ الجبال والطير، فكانت الجبالُ تُرَجِّع التسبيح أو النوحة على الذنب، بخلق صوت مثل صوته فيها.

(٢) ألان الله لداود الحديد بأن جعله في يده كالشمع، يصوغه كيف يشاء من غير إحماءٍ وطَرْق، فعمل منه دروعًا.

(٣) سخَّر الله الرياح لسليمان، فكانت تسير به كل يوم مسيرة شهرين. قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر، وبينهما مسيرة شهر. ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع. وقيل إنه كان يتغدَّى بالري ويتعشّى بسمرقند.

(٤) أذاب الله له النحاس كجري الماء، وكان بأرض اليمن.

(٥) أمر الله الجن أن يعملوا له قصورًا حصينة ومساكن وتماثيل الملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات، وصحون كالحياض التي يُجمع فيها الماء.

(٦) لم يعرف أحد بموت سليمان إلَّا دابة الأرض (أي الأرضة) فإنها أكلت عصاه. فقال مفسرو المسلمين إن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى، فمات قبل تمامه، فوصّى به إلى سليمان، فاستعمل الجنَّ فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله، وأعلم به، فأراد أن يُعمّي عليهم موته ليُكملوه. فدعاهم فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي متكئًا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها، فبقى كذلك حتى أكلتها الأرْضة، فخرَّ. ثم فتحوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يومًا وليلة مقدارًا، فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة[٨٨].

فهذه ست أخطاء:

(١) لم تسبِّح الجبال والطير، وإنما لسان حالها ناطق بحكمة الله وقدرته.

(٢) لم يُسمع أن داود كان حدادًا وأن الله ألَانَ له الحديد.

(٣) لم يسمع أحد أن سليمان كان يطير على الرياح، وأنه كان ينتقل من مكانٍ إلى آخر في طرفة عين.

(٤) لم يسمع تليين النحاس لسليمان أو أنه كان بأرض اليمن، فإنه كان في أورشليم.

(٥) الذين بنوا الهيكل هم البناؤون لا الجن، فإن الجنَّ اسمٌ بلا مسمّى.

---

٨٨ ابن كثير في تفسير هذه الآيات

(٦) لم يكن موت سليمان بهذه الطريقة.

الرسولان والقرية

﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ ٱلرَّحْمَانُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ. وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ. قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ. وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ. ٱتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ. قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ (١٣ -٢٧).

قالوا إن عيسى أرسل إلى أنطاكية اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا حبيبًا النجار يرعى، فسألهما فأخبراه. فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص. وكان له ولدٌ مريض فمسحاه فبرأ، فآمن حبيب وفشا الخبر، فشُفي على حديثهما خلقٌ. وبلغ حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إلهٌ سوى آلهتنا؟ قالا: من أوجدك وآلهتك؟ قال: انتظرا حتى أنظر في أمركما. فحبسهما. ثم بعث عيسى شمعونَ، فدخل متنكرًا وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال له يومًا: سمعتُ

أنك حبستَ رجلين، فهل سمعت ما يقولانه؟ قال: لا. فدعاهما فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا الله الذي خلق كل شيء. فقال صِفَاه وأوجِزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك. فدعا بغلامٍ مطموس العينين، فدعَوَا الله حتى انشقّ له بصر، وأخذا بُنْدُقَتَيْن فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مُقلتين. فقال شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف؟ قال: ليس لي عنك سر. إلهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. فإنْ قَدِر إلهُكما على إحياء ميتٍ آمنّا به. فدعوا بغلام مات منذ سبعة أيام فقام، وقال: إني أُدخلت في ستة أودية من النار، وإني أحذّركم ما أنتم فيه، فآمِنوا. وقال: فُتحت أبواب السماء فرأيت شابًا حسنًا يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: من هم؟ قال شمعون وهذان. فلما رأى شمعون أن قوله أثّر فيه نصحه فآمن في جمع، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا.

وكتاب الله يعلمنا أن المسيح أرسل رسُله اثنين اثنين ليبشّروا بالإنجيل، فعملوا الآيات والمعجزات الباهرة، وأنبأهم بأنهم سيُسجَنون، ولكن لم يرد في الإنجيل أن اثنين حُبسا، وأن المسيح أرسل شمعون على الملك بهذه الحيلة.

خُذْ بيدِك ضِغْثًا

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ (سورة ص ٣٨: ٤٤).

قال البيضاوي «الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه. فاضرب ولا تحنث - رُوي أن زوجة أيوب ليا بنت يعقوب،

وقيل رحمة بنت أفرايم بن يوسف ذهبت لحاجةٍ فأبطأت، فحلف إنْ بَرِىءَ ليضربنَّها مائة سوط، فحلّل الله يمينه بأن أخذ ضِغْثًا بها مائة عود ليضربها بها ضربة واحدة فلا تقع يمينه. وهي رخصة باقية في الحدود».

ونحن نسأل: كيف يصح لأيوب البار الصبور على ضياع أولاده وعبيده وثروته أن يغضب على زوجته وهو المشهود له في التوراة باللطف والحِلم، خاصةً مع زوجته إذ قال لها: «تَتَكَلَّمِينَ كَلَامًا كَإِحْدَى ٱلْجَاهِلَاتِ! أَٱلْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَٱلشَّرَّ لَا نَقْبَلُ؟» (أيوب ٢: ١٠). فكيف يصح لأيوب هذا أن يتوعد زوجته بالضرب مائة ضربة لمجرد إبطائها؟ وكيف ينصحه الله أن يأخذ حزمة فيها مئة عود ليضربها بها ضربة واحدة فلا تقع يمينه؟

وقال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية إن أيوب هو ابن عيص ابن اسحق، وامرأته ليا بنت يعقوب، فأين أيوب من يعقوب ليتزوج ابنته؟ والمعروف أن أيوب سابق ليعقوب تاريخيًا. هذه القصة مأخوذة من خرافات اليهود القدماء، وقد نقلها محمد ممن عاصره منهم.

السماء أولا أم الأرض؟!:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ. ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (آيات ٩-١٢). وقال في النازعات ٧٩: ٢٧ ، ٣٠ أ﴿أَمِ ٱلسَّمَاءُ بَنَاهَا ... وَٱلْأَرْضَ

بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

فيُفهم من فُصِّلت أنه خلق الأرض أولًا ثم السماء، ويُستفاد من النازعات أنه خلق السماء أولًا ثم الأرض. فقال علماؤهم إنه خلق الأرض في يومين غير مدحوّة، ثم خلق السموات فسواهنّ في يومين، ثم دحى الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين، فتلك أربعة أيام. (الرازي).

ومن طالع الأصحاح الأول من سفر التكوين وجد أن الله خلق السموات والأرض وبعد خرابها عملها واعاد نظامها في ستة أيام العمل في اليوم الأول قال ليكن النور، وفي الثاني الجَلَد، وفي الثالث الأرض وجعلها تنبت العشب، وفي الرابع الشمس، وفي الخامس الطيور والزحافات، وفي السادس البهائم والوحوش والإنسان.

معجزات محمد

كان يجب على محمد أن يأتي قومه بمعجزةٍ واحدةٍ كما فعل موسى وغيره من الأنبياء الصادقين، ولكنه لم يفعل ذلك وأظهر عجزه بقوله: «أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ؟». ولم يشكّ أحد من بني إسرائيل في موسى كما شكّ العرب في محمد، لأن محمدًا لم يأتهم بمعجزة ولا ببرهان على صحّة دعواه، ولكنه اعتذر وشبّه نفسه بموسى. وشتَّان بينهما! فموسى فعل المعجزات الباهرة، فضرب المصريين عشر ضربات، وشقَّ البحر الأحمر وأغرق المصريين، وفجّر الصخرة ماءً، وكلّم الله تكليماً.

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة ٢: ١٠٨).

قال اليهود لمحمد: «ائتنا بكتابٍ من السماء جملةً كما أتى موسى بالتوراة، أو فجِّرْ لنا أنهارًا، نتبعك ونصدّقك كما فعل موسى، فإنه ضرب الصخرة فانفجرت المياه». فقال لهم: «أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟». وسألوه هذا السؤال مرارًا وعجز عن إجابتهم[٨٩].

النصارى واليهود

ولم نسمع أنَّ النصارى كفروا بموسى، ولا أن أقوال الطوائف في حق بعضهم تُعدُّ وحيًا. ومن المعلوم أن كل طائفة تقول وقت انفعالاتها ومناظراتها في الأخرى ما لا يجوز النطق به وقت التروّي. وما أحسن ما قاله الخازن: «إن الإنجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقِّق ما في التوراة من نبوَّة موسى وما فرض الله فيها على بني إسرائيل من الفرائض، وإن التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الأحكام».

لكن القرآن يقول في سورة البقرة ٢: ١١٣ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

قال مفسّرو المسلمين إنَّه لما قَدِم وفْدُ نجران على محمد أتاهم أحبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود:

٨٩ الطبري في تفسير البقرة ٢: ١٠٨

«ما أنتم على شيءٍ من الدين» وكفروا بعيسى والإنجيل. وقالت النصارى لليهود: «ما أنتم على شيءٍ من الدين» وكفروا بموسى والتوراة[٩٠].

وغاية محمد من إيراد هذا الخبر أن يوضّح أن العرب قالوا عنه إنَّه ليس على شيء، كما قالت اليهود للمسيحيين إنهم ليسوا على شيء، وكما قال المسيحيون لليهود إنهم ليسوا على شيء. ثم قال إن الله يحكم بينهم يوم القيامة، وكان الأولى به أن يحكم بينهم ويوضّح الحق كما فعل المفسرون.

المسيحيون أعانوا بختنصَّر!

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ﴾ (البقرة ٢: ١١٤).

قال الطبري وابن كثير والقرطبي في تفسير هذه الآية إنَّها نزلت في المسيحيين لأنهم أعانوا بختنصر (يُقصد نبوخذ نصر) البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس لبغضهم لليهود.

وطبعًا هذا خطأ تاريخي فاضح، لأن نبوخذ نصر هذا كان قبل المسيح بأكثر من ٥٠٠ سنة.

القبلة وتغييرها!

﴿وَلِلهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللهِ﴾ (آية ١١٥).

قال ابن عباس: لما هاجر محمد إلى المدينة أمره الله أن يستقبل

---

٩٠ ابن كثير في تفسير البقرة ٢: ١١٣

بيت المقدس، ففرحت اليهود. فاستقبلها بضعة عشر شهرًا، وكان يحب قِبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل: فولّوا وجوهكم شطره. فارتاب في ذلك اليهود وقالوا: ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فقال: قل لله المشرق والمغرب. فأينما تُولّوا فثمَّ وجه الله. وورد في الحديث أنه لما تحوَّلت القِبلة إلى الكعبة ارتدَّ قومٌ إلى اليهودية وقالوا: رجع محمد إلى دين آبائه وترك قِبلة اليهود التي هي على حق، وقال حُيَيّ بن أخطب وأصحابه من اليهود للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم إلى بيت المقدس. إن كانت على هدى، فقد تحوَّلتم عنه. وإن كانت على ضلالة، فقد دنتم الله بها، ومن مات عليها فقد مات على ضلاله. وكان قد مات قبل أن تُحوّل القِبلة إلى الكعبة أسعد بن زرارة من بني النجار، والبراء بن معرور من بني سلمة، وكانا من النقباء، ورجال آخرون. فانطلقت عشائرهم إلى محمد فطيَّب خاطرهم. وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في البقرة ١٤٢: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ فطعن في الذين اعترضوا عليه، وقال إنهم سفهاء مع أنَّهم أوفر الناس عقلاً وفهماً. وقال في عدد ١٤٣ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ﴾ فترى من هنا أن كثيرين تخلّفوا عن محمد لتقلُّبه في العبادة التي هي أهم أركان الدين. ثم ورد ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ (آية ١٤٤) ثم قال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ ١٥٠ [٩١]

لما رأى محمد أهل الكتاب يُصلّون صوب بيت المقدس،

---

٩١ تفسير ابن كثير

وكان يعتقد أن ديانتهم صحيحة، وكانت قِبلة العرب هي الكعبة، لم يحب أن يتبع العرب في قِبلتهم ويسير مسراهم، لأن العرب مشركون. فآثر أن يتبع قِبلة اليهود لأنهم أهل كتاب مُنزَل. ولكن لما رأى معارضة اليهود له، ورأى أن الاستمرار على قِبلتهم لا يخدم دعواه، اتَّبع الكعبة وهي قِبلة المشركين، وفضّلها على قِبلة أهل الكتاب، لأن معارضة المشركين ليست في قوة معارضة أهل الكتاب له، لأن أدلّتهم واهنة، فضلًا عن جهلهم. وعلى هذا ورد في عدد ١٤٤ ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

قال المفسرون إن محمدًا وأصحابه كانوا يصلّون بمكة إلى الكعبة، فلما هاجر إلى المدينة أحبّ أن يستقبل بيت المقدس، يسترضي بذلك اليهود. فصلّى إلى بيت المقدس بعد الهجرة ١٦ أو ١٧ شهرًا. وكان يحب أن يتوجَّه إلى الكعبة لأن اليهود قالوا: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قِبلتنا. فقال محمد إنه قال لجبريل: وددت لو حوّلني الله إلى الكعبة. فقال جبريل: إنّما أنا عبدٌ مثلك وأنت كريمٌ على ربك، فسَلْ أنت ربَّك. فجعل ينظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القِبلة، فأنزل قد نرى تقلّب وجهك في السماء يعني تردُّد وجهك وصرْف نظرك إلى جهة السماء. ولما تحوَّلت القِبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد، ما هو إلَّا شيء ابتدعتَه من تلقاء نفسك، فتارةً تصلي إلى بيت المقدس، وتارة إلى الكعبة. ولو ثبتَّ على قِبلتنا لكُنّا نرجو أن تكون صاحبنا.

واليهود معذورون في معارضته لأنهم رأوه في مبدأ الأمر يصلي جهة الكعبة، ثم اتّبع قِبلتهم، وبعد ذلك عاد إلى قِبلة

المشركين. وكانت غايته من هذه التقلبات أن يتبعه اليهود. ولما خاب ظنّه تركهم، وكذلك فعل مع المشركين، فمدح اللّات والعُزَّى فقال عنهما تلك الغرانيق العلي وإنّ شفاعتهنَّ لتُرتجَى ولما رأى أن ذلك لا يساعده سحب كلامه. فلا عجب إذا لم يتبع اليهود قِبلته،فقال في البقرة ١٤٥ ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾.

أعظم آيات القرآن

﴿اَلله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ (آية ٢٥٥).

يعتبر المسلمون هذه الآية أعظم آيات القرآن. وقد ورد في تفسير ابن كثير عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجلٌ من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني، فإن صرَعْتَني علّمتُك آيةً إذا قرأتَها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان؟ فصارعه فصرعه، فقال: إني أراك ضئيلًا شخيتًا (نحيف الجسم) كأن ذراعيك ذراعا كلب. أفهكذا أنتم أيها الجنّ كلكم، أم أنت من بينهم؟ فقال: إني بينهم لضليع فعاوِدْني. فصارعه، فصرعه الإنسي، فقال: تقرأ آية الكرسي، فإنه لا يقرأها أحدٌ إذا دخل بيته إلَّا خرج الشيطان وله خيخ (ضِراط) الحمار. فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟ فقال: من عسى أن يكون إلَّا عمر![٩٢]

ونحن نقول إنَّ الوحي الصادق أبعد من أن تعلِّمه الشياطين.

---

٩٢ تفسير ابن كثير

فالله لا يسمح للشياطين أن يحملوا كلامه للبشر.

إبراهيم ونمرود

سورة البقرة ٢: ٢٥٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبَرَاهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾

أجمع علماء الإسلام على أن الذي حاجَّ إبراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار، وكانت تلك المحاجّة من طغيان الملك. قال مجاهد: «مَلَك الأرض أربعة» مؤمنان وكافران. فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصّر».

وقالوا: لما كسر إبراهيم الأصنام سجنه نمرود ثم أخرجه ليحرقه، فقال: مَنْ ربك الذي تدعونا إليه؟ فقال: «ربي الذي يحيي ويميت». وقيل إنَّ الناس أصابهم القحط على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده الطعام، فكان إذا أتاه أحد يمتار سأله: من ربك؟ فيقول أنت، فيُميره. فخرج إبراهيم إليه يمتار لأهله الطعام، فأتاه فقال له: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت. قال: أنا أُحيي وأُميت. قال إبراهيم: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. فبُهت نمرود وردّه بغير طعام. فرجع إبراهيم إلى أهله، فمرّ على كثيب رمل أعفر، ووضع في متاعه فوجده أهله طعامًا.

وقد عاقب الله نمرود بأن فتح الله عليه بابًا من البَعُوض

فستروا عين الشمس وأكلوا عسكره ولم يتركوا إلَّا العظام، ودخلت واحدةٌ منها في دماغه فأكلته حتى صارت مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عَتِيدَة لذلك، فبقى في البلاء أربعين يومًا[٩٣].

والتوراة تقول إنَّ إبراهيم كان خليل الله وإنَّه أبو المؤمنين، وإن الله اصطفاه، ولكنها لم تقل إنَّه أُلقي في النار وإنَّه فعل المعجزات المنسوبة إليه هنا.

ولم يكن نمرود معاصرًا لإبراهيم، بل كان سابقًا لإبراهيم بنحو ٣٠٠ سنة، كما يقول سفر التكوين.

موت رجل مئة سنة

سورة البقرة ٢: ٢٥٩ ﴿أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَٱنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

اختلفوا في الشخص «الذي مرَّ». فرُوي عن مجاهد أنه كان كافرًا شكّ في البعث. وهذا قول ضعيف لقوله «كم لبثْتَ» والله لا يخاطب الكافر، ولقوله «آيةً للناس» وهذا لا يُقال في الكافر، وإنما يُقال في الأنبياء. وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي: هو عُزَيْر بن شرخيا، وإنه لما رجع إلى منزله كان شابًا وأولاده

٩٣ القرطبي في تفسير البقرة ٢: ٢٥٨

شيوخًا، فإذا حدّثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة. ولما قال لهم أنا عُزير كذّبوه، فقرأ التوراة من الحفظ، ولم يحفظها أحدٌ قبله. فعرفوه بذلك، وقالوا هو ابن الله. وأمره الله أن ينظر إلى حماره كيف تفرَّقت عظامه، أو قال له انظر إليه سالمًا كما ربطتَه حفظناه بلا ماءٍ وعلفٍ، كما حفظنا الطعام والشراب من التغيير. وقال وهب بن منبّه: هو إرميا بن حلقيا من سبط هارون.

واختلفوا في «القرية» فقيل هي بيت المقدس، وقيل هي ديرسابر أباد، في فارس. وقيل سلماباد قرية من نواحي جرجان، وقيل هي دير هرقل بين البصرة وعسكر مكرم[٩٤].

ولو كان لهذه القصة أصل في كتب الوحي الإلهي لذَكَر اسم هذا الشخص، ووفَّر على المفسرين الظن والتخمين.

ومن تأمل في التوراة والإنجيل، لا يجد فيها شيئًا من ذلك، ولكن نجد لها أصلًا في كتب اليونان القديمة. وهي حكاية أبيمنيدس، الكاهن والشاعر اليوناني، وأدرجه البعض في سلك علماء اليونان السبعة عوضًا عن برياندر، وُلد في كريت في القرن السابع قبل المسيح، فروى قومه وهم وثنيون أنَّه نام نحو ٥٧ سنة في مغارة، وفي أثنائها نزل عليه الوحي. فلما استيقظ (أو لما بُعث كما قال القرآن) انذهل من تغيُّر أحوال أهل وطنه، وقيل إنه عاش نحو ١٩٩ سنة. وفي سنة ٥٦٩ ق م سافر إلى أثينا، بدعوةٍ من سكانها الذين تضايقوا من الحرب والطاعون، فأخبرهم أئمة ديانتهم أن سبب ذلك هو أنهم قتلوا أنصار سولون في هيكل آلهتهم، والواجب أن يكفّروا عن ذنبهم، فاستدعوا أبيمنيدس

٩٤ ابن كثير، القرطبي، الطبري في تفسير البقرة

المشهور بالحكمة والصلاح ليستعطف الآلهة، فأتى وقدّم الذبائح وأجرى الرسوم الدينية، فوقف الطاعون. ثم عاون سولون على تنقيح نظامات أثينا. ولما عزم على العودة إلى وطنه لم يرْضَ أن يقبل هدايا، ولم يطلب سوى غصن شجرة زيتون.

موسى وفرعون

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا﴾ (يونس ١٠: ٧٥).

لم يُرسَل موسى ليدعو فرعون وقومه إلى ديانته، بل لإنقاذ بني إسرائيل من العبودية، وإخراجهم من أرض مصر.

﴿أجئْتَنا لتَلْفِتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكونَ لكما الكبرياءُ في الأرض؟﴾ (آية ٧٨) يعني تستوليان على أرض مصر (الجلالان في تفسير يونس).

يعلِّمنا سفر الخروج ٥ : ١ - ٥ أنه لما طلب موسى وهارون من فرعون أن يطلق بني إسرائيل قال فرعون: «مَنْ هُوَ ٱلرَّبُّ حَتَّى أَسْمَعَ لِقَوْلِهِ فَأُطْلِقَ إِسْرَائِيلَ؟ لَا أَعْرِفُ ٱلرَّبَّ، وَإِسْرَائِيلَ لَا أُطْلِقُهُ. لِمَاذَا يَا مُوسَى وَهَارُونُ تُبَطِّلَانِ ٱلشَّعْبَ مِنْ أَعْمَالِهِ؟ اِذْهَبَا إِلَى أَثْقَالِكُمَا». ولم يقل لهما: وتكون لكما الكبرياء في الأرض.

بيوتهم قِبلة

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (يونس ١٠: ٨٧).

اختلف المفسرون في معنى هذه القِبلة ومعنى هذا الكلام، فقال بعضهم: كانت الكعبة قِبلة لموسى وهارون. وقيل: كانت القِبلة إلى جهة بيت المقدس. وقيل: إنَّه قصد أن يجعلوا بيوتهم قِبلة يصلّون إليها[٩٥].

وعلى كل حال لم يأمر الله موسى وأخاه أن يتبوّءا بيوتًا في مصر، بل أمر موسى بإخراج بني إسرائيل من أرض العبودية ليرثوا أرض الموعد.

دعاء موسى على فرعون

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس ١٠: ٨٨ و٨٩).

قال المفسرون: الطّمس إزالة أثر الشيء بالمحو، ومعنى «اطمس على أموالهم» أزل صورها وهيئاتها. وقال أكثر المفسرين: مسخها وغيَّرها عن هيئتها. قال ابن عباس: إن الدراهم والدنانير صارت حجارة منقرشة كهيئتها صحاحًا وأنصافًا وأثلاثًا. وقيل إن عمر بن عبد العزيز دعا بكيس فيه شيء من بقايا آل فرعون فأخرج منه البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة[٩٦].

قلنا لم يرد أن موسى دعا على فرعون وقومه بهذه الدعوة وأن الله استجاب له، وأنه أزال صور أموالهم أو أهلكها. بل قالت

٩٥ القرطبي في تفسير يونس

٩٦ ابن كثير في تفسير يونس

التوراة إن موسى وهارون طلبا من فرعون أن يأذن بخروج بني إسرائيل من مصر، فاستعمل المراوغة والمخاتلة، فضربه الله ليُظهر قدرته، وليوضّح للمصريين أن أصنامهم لا تفيدهم شيئًا. ولكن أموال المصريين التي «طمس الله عليها» تعمِّر متاحف العالم، وهي غير مطموسة!

إيمان فرعون

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱلَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ (يونس ١٠: ٩٠ - ٩٢).

قال المفسرون: اجتمع يعقوب وبنوه وهم ٧٢ وخرجوا مع موسى من مصر، وهم ٦٠٠ ألف. وأدركهم فرعون وكان معه في عسكره ٨٠٠ ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان، ولما دخلوا في البحر انطبق عليهم. فلما أدرك فرعون الغرق أتى بكلمة الإخلاص ظنًا منه أنها تنجّيه.

ورُوي عن ابن عباس أن محمدًا قال: لما أغرق الله فرعون قال آمنتُ أنه لا إله إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل. قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر فأَدُسُّه في فمه مخافة أن تدركه الرحمة. وفي رواية أخرى أن جبريل جعل يدسّ في فرعون الطين خشية أن يقول لا إله إلاّ الله فيرحمه الله، أو خشية أن يرحمه الله.[97]

---

٩٧ الطبري في تفسير يونس

اعترض الإمام الرازي فقال: هل يصحُّ أن جبريل أخذ يملأ فم فرعون بالطين لئلا يتوب غضبًا عليه؟ والجواب الأقرب أنه لا يصحّ، لأن في تلك الحالة إما أن يُقال: هل التكليف كان ثابتًا أم لا؟ فإن كان ثابتًا، لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة، بل يجب عليه أن يعينه على التوبة وعلى كل طاعة. وإن كان التكليف زائلًا عن فرعون في ذلك الوقت، فحينئذٍ لا يبقى لهذا الذي نُسب إلى جبريل فائدة. ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر، والرضا بالكفر كفر. وكيف يليق بجلال الله أن يأمر جبريل أن يمنعه من الإيمان؟ ولو قيل إن جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله، فهذا يبطله قول جبريل: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ (مريم ١٩ : ٦٤). فرُدَّ على الإمام الرازي بأن هذا الحديث صحيح، وأن الله يحول بين المرء وقلبه وغير ذلك[٩٨].

والتوراة تعلّمنا أن فرعون لم يؤمن بربِّ موسى حتى في الساعة الأخيرة، فإنه رأى بعينيه الضربات التي حلّت به وبقومه ولم يرقّ قلبه. ولم يؤمن، بل أرسل جنوده لإعادة بني إسرائيل إلى أرض مصر ليستعبدهم ويذلهم ثانية.

ويقول القرآن إن فرعون خُصَّ بمزية فقيل له: «فاليوم ننجِّيك». ولما كانت نجاته منافية لقول القرآن إن الله استجاب دعاء موسى عليه بالبوار، فسَّروا عبارة «فاليوم ننجيك» بقولهم: ننقذك ممّا وقع فيه قومك من قعر البحر، ونجعلك طافيًا، أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل. ومعنى قوله «ببدنك» أي عاريًا عن الروح، أو كاملًا سويًا، أو عريانًا من غير لباس،

---

٩٨ الرازي في تفسير يونس

أو بدرعك، حتى يكون آيةً لبني إسرائيل، إذ كان في نفوسهم من عظمته ما خُيِّل إليهم أنه لا يهلك، حتى كذبوا موسى حين أخبرهم بغرقه[٩٩].

ولكن التوراة تعلّمنا أن الله أغرق كل الذين اقتفوا أثر بني إسرائيل ليردّوهم ثانية، ولم يميّز بين كبير ولا صغير، ولما رأى بنو إسرائيل هذا الخلاص العظيم سبّحوا الله وشكروه. ولم تُلْقَ جثة فرعون على الساحل وأُغرقت جثث غيره في البحر، بل كان الحكم على الكل على حد سواء، فإنه متى امتلأت الجثة غازات طَفَت من ذاتها على البحر.

ولم يرد خبر في التوراة عن غرق فرعون. وقد أيّدت التواريخ أن فرعون موسى لم يغرق، لأنه لم يخرج مع جيشه.

قصة أهل الكهف

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس أن الله يصنع المعجزات لأسباب وجيهة وحكمة عالية. ومع ذلك نقرأ في القرآن أخبار ومعجزات لم يرد ذكرها في الكتاب ولا نعرف من الحكمة أو المغزى من ورائها. منها:

سورة الكهف ١٨: ٩ - ٢٥ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً. وَرَبَطْنَا

٩٩ الرازي في تفسير الآية

عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلاءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللهِ كَذِبًا. وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلله فَأْوُوا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا. وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مَنْ آيَاتِ ٱللهِ مَنْ يَهْدِ ٱللهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا. وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا. إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا. وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ٱبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا. سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا. وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱلله وَٱذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا. وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مَائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا﴾.

شرح المفسرون هذه القصة شرحًا مطوّلًا ملخّصه أنَّ أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا، وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام، وفيهم بقايا على دين المسيح. وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم دقيانوس ملك الروم عبد الأصنام، وقتل كل من رفض عبادتها. فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها فسوس اضطهد المسيحيين وقطّعهم إربًا إربًا، فلما عظمت الفتنة. ورأى الفتية ذلك فحزنوا وصلّوا وصاموا. فلما طلب منهم الملك أن يعبدوا آلهته قال أكبرهم: إن لنا إلهًا عظمته ملء السموات والأرض. لن ندعو من دونه إلهًا أبدًا. وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدًا. فنزع ثيابهم وأعطاهم مهلة. ثم سافر دقيانوس إلى مدينة أخرى، فهرب الفتية إلى كهف قريب من المدينة، وتبعهم كلب. وقال ابن عباس: هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة، فمرّوا براعٍ معه كلب فتبعهم على دينهم، وتبعهم الكلب. وكانوا يرسلون أحدهم إلى المدينة ليشتروا لهم الطعام. ولما رجع دقيانوس واستفهم عنهم أمر أن يُسدَّ الكهفُ عليهم ليموتوا جوعًا وعطشًا، ويكون كهفهم قبرًا لهم. وقد توفى الله روحهم وفاة نوم، وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم. ووضع أحد الناس كوم رصاص على كهفهم يشرح قصتهم. وناموا ثلثمائة سنة وتسعًا، كما قال القرآن. فمات دقيانوس وتولى ملكٌ بعد آخر. وكان من الملوك الصالحين بيدروس، فجعل يدعو الناس إلى الحق، فانقسموا إلى قسمين: أهل الباطل وأهل الحق، فكثر أصحاب الباطل، فأراد الله أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف آيةً، فاتَّفق أن راعيًا فتح باب الكهف، فأيقظ الله الفتية، فخرج أحدهم يشتري لهم طعامًا بالنقود التي

كانت عندهم. ولما أبرز النقود استغربها الناس وظنوا أنه وجد كنزًا، فأمسكوه ثم اطّلعوا على حقيقة الأمر، وأن الله جعلهم آيةً لتأييد أنصار الحق ولخذلان أنصار الباطل. قال ابن عباس: اسم كلبهم قطمير، وليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم.

ونقول:

(١) حقيقة هذه الحادثة أنه لما تولّى دقلديانوس حكم روما اضطهد المسيحيين وأذاقهم العذاب، ولا سيما الذين كانوا في الإسكندرية. فارتدّ كثير منهم. غير أن الأمناء احتملوا النار ولا العار، وهرب كثير إلى الجبال والكهوف وماتوا جوعًا. ومن الذين التجأوا إلى الكهوف شاب اسمه أنبا بولا، أول عابد متوحِّد، فعاش في كهف ٩٠ سنة، وكان النخل يظلل مغارته، وكان يشرب من ينبوع ماء قريب منها.

(٢) هناك قصة تشبه قصة القرآن وردت في كتاب بعنوان قصة السبعة النيام وهي من خرافات اليونان القديمة.

(٣) واضح من هذا أن القرآن يتبع المشهور من الروايات. ومن العرض السابق لقصة أصحاب الكهف كما وردت في القرآن ندرك أنه لا يسجل الحقيقة التاريخية، بل يتبع في رواياته المشهور في بيئته. فلم يقطع القرآن بعدد الفتية الذين لبثوا في الكهف، ولا الفترة الزمنية التي مكثوها فيه، لا لشيء إلَّا لأن ذلك لم يكن مقطوعًا به في البيئة العربية حينذاك، بل كانت الروايات مختلفة متضاربة غير جازمة. قال الإمام النيسابوري في سبب نزول هذه الآيات إن قريشًا أرسلت من يأتيهم بخبر

محمد من أهل الكتاب في المدينة: هل محمدٌ نبي أم مُدَّعي نبوّة؟ فلما أتى مندوب قريش المدينة وقابل يهودها، قالوا: سلوه عن ثلاث: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإن حديثهم عجب. وسَلوه عن رجلٍ طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان خبره؟ وسَلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبركم فهو نبي، وإلَّا فهو متقوِّل. وعندما سُئل محمد هذه الأسئلة ردّ بما كان معلومًا عنده من إجابات غير مقطوعة ولا جازمة، فلم يكن متوقَّعًا من محمد أن يفوق علمه علم أساتذته. ولذلك وقفت إجابات القرآن عند حد قالوا ربُّكم أعلمُ بما لبثتُم قُلْ ربّي أعلمُ بِعِدَّتهم. (آيتا ١٩، ٢٢)

(٤) عندما انقطع الوحي عن محمد قال له جبريل إنَّه لا يدخل بيتًا فيه كلب. (سورة المائدة ٥ : ٤). فإن صدق هذا فكيف تمَّ تقليب أهل الكهف وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد؟

ذو القرنين والشمس

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا. حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (آيات ٨٣ - ٨٦). ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا. قَالُوا يَا ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

(١) ورد في الحديث عن ابن عباس قال: إن الشمس تغرب في عينٍ حمئة، وإنه سأل كعبًا فقال له إنها تغرب في طينة سوداء.

(٢) جعل محمدُ الاسكندرَ الأكبرَ نبيًا، لأن الله لا يخاطب إلّا نبيًا. (كما يقولون). والحقيقة هي أنه كان ملكًا فاتحًا للبلاد سافكًا للدماء، عابدًا للوثن.

(٣) قال إن أمة صالحة أخبرت ذا القرنين أن بين هذين الجبلين خَلْقًا أشباه البهائم، يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيَّات والعقارب، وطلبت منه أن يجعل بينها وبينهم سدًّا. فطلب منهم أن يأتوه بزُبَر الحديد يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس، وكان عرضه خمسين ذراعًا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخًا. قال: هذا (السدّ) رحمةٌ من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكّاء (آية ٩٨).

الهدهد الفيلسوف!

جاء في سورة النمل ٢٧: ٢٠-٢٨ ﴿وَتَفقَّدَ (سليمان).الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَالمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلاَّ يَسْجُدُواللهِ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ

عَنْهُمْ فَا نْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾

قال القرآن إن سليمان كان يعرف لغة الطيور والحشرات، وإن الجن والإنس والطير كانواله جنودًا، وإنه ذهب بجنوده هؤلاء إلى وادي النمل، فعرفته نملةٌ وعرفت أنه ملك وأنه نبي معصوم وأن كل هؤلاء جنوده، فحذرت زميلاتها النمل وقالت: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون! وأن سليمان تفقَّد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ إن كان غائبًا عن مجلسنا فسأعذّبه بنتف ريشه أو ذبحه عبرة لغيره أو يعتذر! ففي الحال جاء الهدهد يتيه زهوًا على سليمان قائلاً: عرفت مالم تعرفه، وجئتك من سبأٍ بنبأٍ يقين. وما أنا أقل منك شأنًا وإن علمك أصغر من علمي. فها أنا أنبئك أن ملكة سبأ تعبد الشمس من دون الله خالق السماوات والأرض والعارف بجميع خبايا الكون! فقال له سليمان: اذهب بخطابي هذا إليهالأعرف إن كنتَ صادقًا أم كاذبًا! فذهب الهدهد بالخطاب وألقاه لملكة سبأ! فاستشارت قومها عما يجب أن تفعله ردًا على الخطاب ثم أرسلت هدية إلى سليمان فلم يقبلها! وسأل سليمان من مجلسه عمن يذهب ليُحضر له عرش ملكة سبأ خلسة؟ فقال عفريت من الجن: أنا أُحضره لك قبل أن تقوم من مكانك وإني على حمله وصيانته قوي أمين! فأبى سليمان إلَّا أن يحضر العرش في الحال. فقال أحدهم (لعله آصف بن برخيا وزير سليمان، أو جبريل): أنا أحضره لك قبل أن يرتد إليك طرفك (عينك)! ولما جاء العرش غيَّر سليمان بعض معالمه. ولما جاءت ملكة سبأ سألها سليمان: أهذا عرشك؟ فقالت: كأنه هو! وأمرها الملك أن تدخل القصر. فلما شمَّرت عن

ساقيها لتعبر ما ظنته مياهًا، فوجدته زجاجًا يصدم ساقيها فآمنت برب سليمان وصارت من المسلمين!

ونحن نسأل: كيف يتصور عاقل أن تكون حاشية سليمان الملك الحكيم من الجن والطيور؟ وكيف يكون الهدهد أكثر حكمة وعلماً ويتحدى سليمان قائلاً: أحطتُ بما لم تُحِط به وجئتك من سبأٍ بنبأٍ عظيم؟ وكيف يهجو الهدهد عبادة الأوثان ويمتدح الوحدانية؟ وكيف يقوم الهدهد بدور المراسلة؟ وكيف يتصرف الهدهد في مملكة سليمان تصرفًا يفوق تصرف الملوك والوزراء والفلاسفة؟

الجن

جاء في سورة الأحقاف ٤٦: ٢٩-٣١ «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقا لمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ». وجاء في سورة الجن ٧٢: ١-٦ «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ ٱلْإِنْسُ وَٱلجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ ٱلْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ ٱلجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا.»

ويعلّمنا الكتاب المقدَّس بوجود ملائكة وشياطين، ولكنَّه لا يعلِّم بوجود الجن الذي يقول المسلمون إنَّهم جنس عاقل بين الإنس والشياطين، وإنهم لما سمعوا القرآن آمنوا به وبالله وبشروا

الجن الآخرين وقالوا إن القرآن جاء من بعد موسى.

فلماذا لم يُسمِع اللهُ الجنَّ رسالة موسى وعيسى، ولماذا خصَّ الجن بالقرآن وحده؟ ولماذا يقول الجن إن القرآن جاء من بعد موسى، ولم يقل من بعد الزبور والإنجيل، مع أن الإنجيل أقرب إليهم من عهد موسى؟ وكيف يتصوَّر صاحب القرآن أنَّ الجن، وهم أرواحٌ، يتزوّجون ويتناسلون مع أنهم يقولون إن إبليس من الجن؟

والغريب أن القرآن يتكلم عن ثواب الجن وعقابه في سورة الأعراف ٧: ١٧٩ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ﴾

فكرة الوحي والتنزيل

في سورة آل عمران المدنية وهي السورة التاسعة والثمانون من حين تسلسل النزول وفي الآية ٣ ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ومن المعلوم أن التوراة (العهد القديم) عبارة عن تفاصيل تاريخ وعهود ومواثيق بني اسرائيل لله مكتوب من قِبَل كهنة وأنبياء اليهود القدماء، ويغلب فيه قصص أنبيائهم ويضمنهم قصة موسى ورحلته مع بني اسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد. أما الإنجيل فلقد كتب على أيدي أربعة من الرسل وهم متَّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا وسُمِّيت الأناجيل أو (البشارات) بأسمائهم وجميعها تتكلَّم عن حياة المسيح ومعجزاته وأمثاله وتعاليمه وأخيرًا صَلْبِهِ (ليكفِّر عن

ذنوب البشر). ويعتبر الإنجيل مكملًا للتوراة (الشريعة). ويتبين من خلال هذا السرد البسيط والمعروف بأنه لا التوراة ولا الإنجيل قد نزلتا من عند الله كما نفهم من مضمون الآية أعلاه وليس هنا فقط يقول ذلك بل في آيات أخرى كثيرة يذكر بأن الله قد أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى وقد كانت معلومة خاطئة تم ربطها بفكرة القرآن الذي كان ينزل آياته وسوره على محمد؟ وقد أراد من كل ذلك التصوير بأن التوراة والإنجيل نزلتا من السماء ليبرر نزول آياته وسوره أيضًا. ولكن مثل هذا التصوير لا يفوت إلَّا على البسطاء.

وهذه بعض من نماذج تلك الآيات التي أكدت خطأً نزول التوراة والإنجيل من الله. الآية ٤٤ من سورة المائدة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

الآية ٤٦ من سورة المائدة ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

والآية ١١٠ من سورة المائدة ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخرِج الْمَوْتَى بِإِذْنِي

وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

والآية ٤٨ من سورة آل عمران ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

والآية ٢٧ من سورة الحديد ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

وأخيرًا هل يُعقل أن الله لا يعرف بأنه لم ينزل شيء مما هو مكتوب في التوراة أو الإنجيل مباشرة على رسله؟ ألم يكن بإمكانه إذا كان الكلام له أن يقول بأنه ألهم الكهنة الرسل الفكرة في كتابتهم بدلًا من أن يقع في مثل هذا الخطأ الفادح؟ ولكن حاشا أن يكون هذا كلام الله، فالخطأ واضحُ والمخطئ فيه إنسان وهو محمد نفسه. ومن الأفضل للمسلمين أن يرجعوا عن القول بأن القرآن كلام الله لمحمد ويقتنعوا بأنه كلام محمد إلى الناس.

الحَشر للحيوانات

سورة الأنعام مكية وهي السورة الخامسة والخمسين في تسلسل النزول في الآية ٣٨ منها ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم يُحْشَرُونَ﴾ لا بأس أن نقول في خلق الطيور والدواب بأنه آيات من الله لتذكير البشر بقدرته وإمكانياته. ولكن نأتي ونقول

بأنهم أُمَم!! وليس هذا فحسب بل نضيف بأنهم سيُحشَرون إلى ربهم لهذا تجاوز على الفهم الإنساني والمنطق السليم، فما هو الحشر بالنسبة لبعض الحشرات التي لا تتجاوز دورة حياتها الساعة أو عدة ساعات أو حتى أيام؟ وما هي القيمة الروحية لمثل هذا الموضوع؟ ما هي الطقوس والمناسك التي أرادها الله منهم؟ إن الآية بصورتها هذه أقرب إلى الأساطير منها إلى كلام الله.

تحريم شحوم البقر والغنم على اليهود!

في الآية ١٤٦ من نفس سورة الأنعام عودة لموضوع التحريم في اللحوم حيث يقول ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا...﴾ وقد عرفنا أن الله قد حرَّم بعض اللحوم ولأسباب يعلمها هو فقط وعندما نناقش أحد المسلمين المطلعين في ذلك يأتي لك بعشرات المبررات الواهية، ولنجزم بصحة بعضها ولكن ماذا يقولون في هذا النوع من التحريم (من الغنم والبقر شحومهما) ولليهود فقط؟ هل في شحومهما مرضٌ أم فيهما ميزة لا نعرفها؟ وفي كلا الحالتين لماذا شمل التحريم اليهود فقط؟ هل أن الله أراد أن يخلّص اليهود إذا كان في الشحوم مرض ونبتلي بها نحن المسلمون (لأن الشحوم حلال عندنا)؟ أم فيها ميزة ليتمتع بها المسلمون ويحرم منهما اليهود؟ إن هذا الطرح أبعد كثيرًا من صفات الله في الخلق. فليس من صفاته أن يفرق أو أن يميِّز بين الناس والشعوب، وليس من صفاته أن يحرِّم هنا ويحلِّل هناك.

هل يجهل الله محتويات الكتاب المقدّس؟

في سورة الأعراف مكية وهي السورة التاسعة والثلاثون من حيث النزول وفي الآية ١٥٧ يذكر ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾.

في هذه الآية ادِّعاءٌ بأنه مذكور في التوراة والإنجيل حكاية النبي الأمي الذي يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهذا غير صحيح لأنك لو تصفَّحت كل الأناجيل ولعدة مرات فإنك لن تجد ما يذكر عن مجيء نبي أمي! أو استقبال العالم لنبي جديد كما هو الشائع عند المسلمين بل هناك قول لمجيء مسيح دجال يدّعي النبوة، وأنبياء كذبة. أما في التوراة فإن ذكر النبي أو الرسول الآتي كان قولٌ في المسيح المخلّص للبشرية بدمه الذي يُسفَك من أجلهم. وهنا دليل على أن صانع القرآن لم يكن ملماً إلمامًا كاملًا بتفاصيل التوراة والإنجيل ولهذا تراه يخلط المعلومات المتوارثة عنهما والتهرب من تحديد المصدر الأصلي فيهما ويكرر دائماً بأن الحالة أو الذكر يعود للتوراة والإنجيل معًا.

خلق الكون

سورة «هود» المكيَّة وتسلسل نزولها الثاني والخمسين وبالآية رقم ٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي خلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

وفي هذه الآية وآيات كثيرة أخرى يذكر موضوع خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولكن الذي يلفت الانتباه هنا هو الاختلاف الواضح في عملية الخلق بين هذه الآية والآيات

الأخرى حيث يذكر هنا أن الخلق بدأ وعرش الله على الماء. أما في بقية الآيات فإن عملية الخلق تبدأ ومن ثم ينتهي بالاستواء على العرش وكما في الآيات أدناه:

الآية ٤ من سورة الحديد ﴿هُوَ الَّذِي خلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الآية ٥٤ من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

الآية ٤ من سورة السجدة ﴿اللهُ الَّذِي خلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سَتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل أن الله بدأ بالخلق وانتهى منه في ٦ أيام، وبعد ذلك استوى على العرش؟ أم أنه كان يخلق والعرش موجودًا فوق الماء؟ ومن ثم ما هو موضوع (ما بين السموات والأرض) المذكور في الآية ٤ من سورة السجدة؟ ولماذا لم يذكر بقية الآيات وتم الاكتفاء بذكر السموات والأرض فقط؟ مرة أخرى هل كان الله غافلًا بعملية الخلق ليطرح مثل هذه التعاريف المتناقضة؟

القَدَرِيَّة عدالة الله!

سورة النحل مكية وتسلسل نزولها السبعين، في الآية رقم ٢ ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

في هذه الآية وعشرات الآيات الأخرى المشابهة يذكر بأن الله يهدي من يشاء من الناس ومن الأمم في بعض الأحيان؟ فإذا

كانت الهداية أو الضلالة من عند الله فما هو إذًا ذنب الإنسان عندما يخطئ ليُحاسب؟! طالما أن الخطايا ليست تحت سيطرته وحتى إذا كان الشيطان هو السبب في ارتكابها (كما يتوضح ذلك من مضمون بعض الآيات الأخرى) أليس الله هو الذي سمح له بإغواء الإنسان؟ أليست القدرة في المقاومة معدومة لأن الله يُضل من يشاء؟ وفي كلا الحالتين فالإنسان مجرد من الإرادة الحرَّة وهو تحت السيطرة الكاملة، وبهذا فإن المحاسبة الإلهية كما أرادها محمد تصبح بدون طعم أو معنى. وهاك بعض من الآيات التي أكدت ما ذهبنا إليه في إهداء وإضلال الله لمن يشاء:

الآية ٢٨٤ من سورة البقرة «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ».

الآية ٤ من سورة إبراهيم «فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ».

الآية ٣١ من سورة الرعد «لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جمِيعًا».

سورة القصص «ولَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» ٥٦.

الآية ٢١ من سورة العنكبوت «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ».

وليس الهداية والضلالة تحت السيطرة بل وحتى الرزق أيضًا فهناك آيات كثيرة تصرِّح بأن الله يرزق من يشاء من العباد ويحرم من يشاء. مثل:

الآية ٣٠ من سورة الإسراء «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ».

الآية ٦٢ من سورة العنكبوت «اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ».

الآية ٣٦ و٣٩ من سورة سبأ «قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ».

الآية ٢٧ من سورة آل عمران «وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

بالاعتماد على نصوص تلك الآيات يعني أن على الإنسان أن ينتظر الهداية والرزق والملك والضلالة، ومتى ما شاء الله سيؤتيه ومهما كان وأينما كان، ومتى شاء سيسحب منه مهما كان وأينما كان!

مناورات محمد القرآنية

لقد قام محمد بترتيب القرآن على أكمل وجه في مجال المناورة بآياته، فلقد كان مناورًا بارعًا يسمح ويعطي عند الضعف ويكبت ويأخذ عند القوة. وهذه بعض من أشهر المجالات التي ناور بها:

في سورة الكافرون الآيات ٤ و٥ و٦ «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» وفي سورة البقرة الآية ٢٥٦ «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ».

في آيات سورة الكافرون يقول للمشركين بأن لكم دينكم ولي ديني، وبآية سورة البقرة يقول لأهل الكتاب بأنه لا إكراه في الدين وكانت هذه الطروحات قد قيلت عندما كان محمد يعاني من الوحدة والضعف وخاصة في قريش وعند بداية دعوته، وما أن أحسَّ ببعض الولاء له حتى جاء وفي سورة قريش بالآيات ٣ و٤ «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ...» وطالب بعبادة الله (رب مسجد الحرام) وأخيرًا لم يقبل بغير الإسلام دينًا كما جاء في سورة آل عمران الآية ٨٥ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

وكان الأمر محسوبًا على المشركين وأهل الكتاب أيضًا. إن المناورة التي قام بها محمد تجاه بقية الأديان تُعتبر فنًا من فنون القيادة

والسياسة وهذا حق مشروع إلى حد ما، ولكن أن يأتي ويطالب أهل الكتاب أن يدفعوا الجزية مقابل عدم دخولهم للإسلام؟ فهذه دعوة لا يجهر بها إلَّا القراصنة أو الطغاة كما أعلنها في سورة التوبة الآية ٢٩ ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُون دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ومن مناوراته الأخرى قيامه بتحريم الخمر وبالتسلسل ابتداءًا بالتذكير وانتهاءًا بالمنع البات فلقد ذكر في سورة البقرة الآية ٢١٩ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

وفي هذا التذكير تحديد بأن الإثم فيه أكبر من النفع وبعد هذا يطالب بعدم شربها وأثناء الصلاة فقط حيث قال وفي سورة النساء الآية ٤٣ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى...﴾ وأخيرًا جاء إلى المطالبة باجتنابه كما في سورة المائدة الآية ٩٠ ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ... رِجسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجتَنِبُوهُ﴾.

وبعد كل هذه الآيات، لا يتفق الفقهاء في شأن الخمر، فمنهم من قال إن الناهي عنه هو عُمر بن الخطاب، وتطاحنوا في تحديد موقف الإسلام من الخمر: هل هو محرَّم تحريم قطعي أم مأمور ومنصوح باجتنابه؟ وبين التحريم والنصح بالاجتناب تُكتَب مجلدات!

جنَّة محمد

يُذكر موضوع الجنَّة المثالية في أكثر من نصف سِوَر القرآن حيث أن قطوفها دانية وفيها أنهار من الخمر واللبن وغلمان حور

عين وسرر وأواني فضة وذهب وأزواج غير حائضات وغير ولودات ولحم طير إلى ما شابه الكثير من المواصفات العجيبة والمشهيَّة للمسلمين، إلَّا أنه في تسلسل ذكره الكثير يتبع في الاختلاف برقم الجنة! فيذكر مرة جنَّة واحدة ويذكر في أخرى جنَّتان أو جنَّات. ومن الآيات التي تذكرها بجنة واحدة:

الآية ١٠٨ من سورة هود ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ..﴾. الآية ١٢ من سورة الإنسان ﴿وَجزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جنَّةً وَحَرِيرًا﴾. الآية ٧٠ من سورة الزخرف ﴿ادْخلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجكُمْ...﴾. ويذكر بجنتان في الآية ٤٦ من سورة الرحمن ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جنَّتَانِ﴾. ويذكر بالجنات في كل من الآيات التالية وغيرها كثير: الآية ١٢ من سورة الواقعة ﴿فِي جنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. الآية ١٢ من سورة الحديد ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جنَّاتٌ تَجرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. الآية ٥٢ من سورة الدخان ﴿جنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

المعارضة

يظهر ومن خلال آيات كثيرة بأن المعارضة سواء أكانت من داخل الإسلام (المنافقين) أو من خارجه. كانت كبيرة ومؤذية لمحمد ولكنه استطاع باستعمال سلاح الآيات القرآنية السيطرة والتحكم في الوضع، ومن الآيات التي تشير إلى وجود المعارضين: الآية ٣٨ من سورة التوبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾. الآية ٥٤ من نفس السورة ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. الآية ١٢ من سورة الأحزاب ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا

غُرُورًا﴾. الآية ٩ من سورة المجادلة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾. وذكرنا المعارضة هو لتذكير المسلمين الذين يصورون محمد وأصحابه والمسلمين الأوائل وكأنهم البنيان المرصوص لا لغو فيهم ولا شجار ولا نفاق والآيات تشرح نفسها.

بتعليق بسيط

الآية ٢ من سورة الرعد ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ السموات واقفة ومثبته بعواميد لا نراها نحن؟!

الآية ٣ من نفس سورة الرعد ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ... وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جعَلَ فِيهَا زَوْجيْنِ﴾ لا ندري هل الأرض كروية أو مسطحة في الإسلام؟ وبخصوص الثمرات سمعت بأن للبطاطا أكثر من ٢٠٠ نوع وليس زوجين؟

الآية ٦٥ من سورة الحج ﴿وَيمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ...﴾ يجوز أن السماء في الإسلام (وهم أدرى حتماً) سقفٌ كبيرٌ وضخم ولكن لم يتوصل العلم إلى اكتشافه بعد؟

في الآية ٢٨ من سورة الشعراء ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾. وفي الآية ١٧ من سورة الرحمان ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾. ونريد أن نعرف أخيرًا هل هناك مشرق ومغرب واحد أم أنهما اثنين؟

الآية٥٠ من سورة الشورى ﴿وَيَجعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾. وماذا عن أطفال الأنابيب؟

وأريد أن أضيف لمعلومات المسلمين العلمية (وادعاءتهم

بأن اكتشافات العصر كلها كانت مذكورة في القرآن من الصواريخ إلى نور الكهرباء إلى اكتشافات أعماق البحار أيضًا) ما يفيدهم أو يذكرهم بأن القرآن قد ذكر وفي الآية ١٩ من سورة الانشقاق ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ موضوع الأطباق الطائرة أيضًا؟!

القسم الثالث

نتيجة المقابلة بين الكتابين

هذا القسم من تأليف
الدكتور القس منيس عبد النور

القسم الثالث

نتيجة المقابلة بين الكتابين

والآن، وقد وصَّلْنا إلى نهاية الكتاب، نقدِّم تقريرًا مختصرًا عن نتيجة المقابلة بين الكتاب المقدَّس والقرآن. ونُجملها في ثلاثة أجزاء:

١ـ الإسلام روح مناقض للكتاب المقدس

يؤمن المسلمون أنَّ التوراة والإنجيل والقرآن من وحي الله المعصوم (سورة المائدة ٥: ٤٤ - ٥٠)، ولكنَّهم يقولون أيضًا إنَّ اليهود أخفوا وحرَّفوا بعض كلمات التوراة (سورة البقرة ٢: ٤٠ - ٤٢ و٧٥ و٧٩ و١٤٠ و١٤١ وآل عمران ٣: ٧١ و٧٨ والنساء ٤: ٤٦ والمائدة ٥: ١٣). وقد جاءت كل الآيات عن تحريف الكتاب في الحقبة المدنية وليس المكية، ويقول مفسرو القرآن إنَّها تتحدث عن اليهود. ويتَّهم القرآن المسيحيين أنَّهم نسوا بعض ما أُوحي إليهم (سورة المائدة ٥: ١٤). واتَّهم المسلمون المسيحيين واليهود معًا أنَّهم حذفوا الآيات المتعلقة بمحمد في التوراة والإنجيل، وقالوا إنَّ كل تعارُض بين القرآن من جهة والتوراة والإنجيل من جهة أخرى يعني تحريفهما. لهذا لا يثق المسلمون في الكتاب المقدَّس، ويخشون أن يضللهم إن هم قرأوه، ويحزنون على اليهود والمسيحيين المخدوعين بكتابهم المحرَّف.

ويكشف شكُّ المسلمين في الكتاب المقدَّس كيف أن الخطأ

صار مقياسًا للحق، وكيف أنَّ الأكاذيب صارت حكَماً على الوحي الصادق! ولا يدرك المسلمون الجهد العلمي الذي بذلته أجيال من المؤمنين ليسجِّلوا الحق في الكتاب المقدَّس كما أعلنه الله (لوقا ١ : ١ - ٤)، وينسون أنَّ عندنا أكثر من ١٥٠٠ مخطوطة أصلية لسفر بكامله أو لأجزاء منه محفوظة في متاحف العالم، بينما أحرق الخليفة عثمان تسع مخطوطات أصلية للقرآن عام ٦٥١م، بسبب الاختلافات الواضحة بينها، والتي أدَّت في زمنه إلى وقوع الخلافات بين المسلمين. والقرآن الموجود اليوم هو الذي جمعه وأعدَّه الخليفة عثمان، وليس قرآن محمد.

ولا يملك الإسلام روح الحق الموجود في الإنجيل (يوحنا ١٤ : ١٧ و١٥ : ٢٦ و١٦ : ١٣). وتقول الشريعة الإسلامية إنَّ الكذب جائز في أربع حالات: في الحرب، وفي إصلاح ذات البين، وفي الرجل يكلِّم امرأته، والزوجة تكلِّم زوجها[١٠٠]. لهذا لا يثق كثيرون من المسلمين في بعضهم، لأنهم غير متأكدين من صدق الآخر. ولكنهم يمارسون الخداع بصورة أكبر مع غير المسلمين، وقد قال محمد مرات كثيرة إنَّ الحرب خدعة. وعلى كل من يشترك في حوار مع مسلم أن يعرف كيف يفكِّر المسلمون، لأن ما يقولونه يختلف عمّا يقصدونه. ويدرك فقهاء الإسلام ما يريد أهل الغرب أن يسمعوه منهم، فجعلوا يقولون إنَّ الإسلام دين السلام، مع أن نصف الحروب التي اندلعت في عالمنا في الـ١٤٥ سنة الماضية بدأت في أقطار إسلامية، كما أن الشريعة الإسلامية قسَّمت العالم إلى «دار حرب» و«دار إسلام». وحيثما يسود الإسلام يجب أن

---

١٠٠ كما جاء في الترمذي، بر ٢٦ وفي مسند أحمد بن حنبل ٦:٤٥٩ و٤٦١

يسود سلام إسلامي، وحيث لا تسود الشريعة الإسلامية يجب أن «تسلم» تلك البلد!

وقد أعلن بعض فقهاء الإسلام أنَّ الإسلام ينادي بالعدالة الاجتماعية. ولكننا نعلم أن أكثر الدول ثراءً هي الدول المنتجة للبترول، ولكن هناك عشر دول إسلامية هي الأفقر في العالم، بل إنَّ في السعودية الغنية بالبترول أشخاص لا يجدون قوت يومهم. فأين العدالة الاجتماعية؟

وعلينا أن نفحص كل التصريحات الإسلامية حتى لا ننخدع بها. صحيحٌ أنَّ المحبة تصدِّق كل شيء وترجو كل شيء وتحتمل كل شيء (١كورنثوس ١٣ : ٧)، ولكن المسيح نصحنا أيضًا أن نكون حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام (متى ١٠ : ١٦).

ويدعو القرآن الله مرتين أنه «خير الماكرين» (سورة آل عمران ٣: ٥٤ والأنفال ٨: ٣٠). فهل يمكن أن يكون شعبه أفضل منه؟ ذات مرة استعجل محمد ووعد زوجتيه حفصة وعائشة أنَّه سيهجر زوجته مارية القبطية، ثم ندم على وعده، فأعفاه الله منه بوحي قرآني في سورة التحريم ٦٦ : ١ و٢. إنَّ الوعد لم يلزم محمدًا. ويعلِّم القرآن والحديث أنَّ المسلم يمكن أن يحنث في حلفه. والحلف ثلاثة أنواع: (١) باطل (٢) ملزم (٣) كذب. فالحلف الباطل مثل قولك «لا والله» أو «إي والله» فهي تعبيرات لا تُحسب حلفًا ولا تترتب عليها نتائج. أما الملزم فهو ما يختص بشيء مستقبلي، كأن تقول «والله سأفعل كذا» أو «والله لن أفعل كيت» فإذا أحنث المسلم في حلفانه المستقبلي يجب أن يقدم كفَّارة. أما الحلف الكاذب فهو ما يختص بالماضي، كأن تقول «والله

ما فعلت كذا» أو «والله لقد فعلت كيت» ويقول معظم الفقهاء إنَّ مصير الحالف الكاذب هو جهنم، ولا تنفع فيه كفَّارة[١٠١]. ولكن يقول فقهاء آخرون إنَّ المسلم ينجو من النتائج السيئة للحلف الكاذب بتقديم كفَّارة. وفي حديثٍ لمحمد قال ما معناه «لو حلفت أن أفعل شيئًا ثم اكتشفتُ أن الأفضل أن أفعله بطريقة أخرى فإني أقدم كفَّارة عن الحنث». وذكرت سورة المائدة ٥: ٩١ الكفَّارة المطلوبة، وهي إطعام أو كسوة عشرة فقراء، أو تحرير عبد مؤمن، ولمن لا يملكون الأمرين السابقين فصوم ثلاثة أيام (انظر أيضًا سورة التحريم ٦٦: ٢). ويقول القرآن إنَّه إذا حلف شخص باستعجال فلا إلزام عليه.

وكل حلف بعمل شيء مناقض للشريعة، أو الامتناع عن عمل شيء مطلوب في الشريعة هو حلف باطل، كالامتناع عن طعام أو شراب حلال. فإذا نقض الحالف حلفانه هذا لا يحتاج أن يقدم كفَّارة. أما إن حلف إنسان أنَّه نوى على شيء ولا يفي بوعده فيجب أن يعطي كفَّارة، سواء كان ما نوى عليه مطلوب أو ممنوع أو مسموح به.

هذا هو روح الحق في الإسلام. فالأمر الأول هو أن يهزم المسلم أعداءه، وكل خداع يؤدي إلى هذه النتيجة حلال. وتجد في القرآن آيات منسوخة وآيات ناسخة، وقال محمد إنَّ الله نسخ ما سبق أن أوحى به لخير المسلمين. ويوجد بالقرآن ٢٤٠ آية منسوخة مع أنَّها موجودة بالقرآن، فقد نُسخ حكمها وبقي حرفها! وهناك ١٢٤ آية قرآنية في حُسن معاملة أهل الكتاب، نسختها كلها آية

---

١٠١ الصابوني، رواية البيان، ١: ٥٦٣

واحدة هي آية السيف الموجودة في سورة التوبة ٩ : ٢٩ (راجع أيضًا سورة البقرة ٢ : ١٩١ و١٩٣ والأنفال ٨ : ٣٩ والتوبة ٩ : ٣ و٤ و٢٨). ولقد بقي حرف الآيات التي تأمر بحُسن معاملة أهل الكتاب لأنها تفيد المسلمين المقيمين بين المسيحيين في البلاد غير الإسلامية. ويردد بعض رجال العلوم الإنسانية هذه الآيات وهم لا يعلمون أنَّها منسوخة وبلا فعالية، ولكن المسيحيين المقيمين في بلاد إسلامية يقاسون من آية السيف (سورة التوبة ٩ : ٢٩). وقد وقعت اضطهادات كثيرة على المسيحيين في البلاد الإسلامية خلال الـ ٤٥ سنة الماضية، فظهرت أنياب الإسلام ووجهه الحقيقي. إنَّ الإسلام خالٍ من الحق. وبالطبع لن تجد كل المسلمين ماكرين، فهناك متصوّفون مسالمون وهناك مهتمون بالعلوم الإنسانية، ولكن روح الإسلام تدفعهم نحو التعصُّب يؤيدهم إلههم بروح منه (سورة المجادلة ٥٨ : ٢٢).

٢ـ الإسلام روح مضادٌّ للمسيحية

عرَّف الرسول يوحنا محبة الله وشهد لها، كما شهد للحق، فالمحبة والحق صنوان لا يفترقان، فالمحبة بدون الحق كذب، والحق بدون محبة يوقع الضربات القاسية، ولذلك نرى أن روح الخدمة ليس «المحبة أو الحق» بل هو «الحق في المحبة» و«المحبة بالحق». وبهذا يجب أن تكون الكرازة للمسلمين. ويطالبنا الرسول يوحنا أن نميّز الأرواح، وقال: «**لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ، بَلْ لِأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ ٱلْحَقِّ. مَنْ هُوَ ٱلْكَذَّابُ، إِلَّا ٱلَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ**

ضِدُّ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي يُنْكِرُ ٱلآبَ وَٱلْٱبْنَ. كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ ٱلْٱبْنَ لَيسَ لَهُ ٱلْآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِٱلْٱبْنِ فَلَهُ ٱلْآبُ أَيْضًا» (١يوحنا ٢: ٢١-٢٣). ويوضح الرسول يوحنا كلامه أكثر فيقول: «**أَيُّهَا ٱلْأَحِبَّاءُ، لَا تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ ٱمْتَحِنُوا ٱلْأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ ٱللهِ؟ لِأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى ٱلْعَالَمِ. بِهٰذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ ٱللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي ٱلْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ ٱللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي ٱلْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ. وَهٰذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَٱلْآنَ هُوَ فِي ٱلْعَالَمِ. أَنْتُمْ مِنَ ٱللهِ أَيُّهَا ٱلْأَوْلَادُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لِأَنَّ ٱلَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ ٱلَّذِي فِي ٱلْعَالَمِ**» (١يوحنا ٤: ١ - ٤).

وعلى كل من يريد أن يخدم الله وسط المسلمين أن يحفظ هذين الشاهدين من رسالة يوحنا الأولى عن ظهر قلب، لأنهما يشرحان الإسلام ويوضحان روحانية المسلم. لقد جاء الإسلام بعد المسيحية، وصار ضدَّها. فلو أن محمدًا قبِل تاريخية صَلب ابن الله الوحيد لما كان هناك إسلام. ولكن محمدًا أراد أن يترك بصمته فرفض الحق وأغلق قلبه في وجه الإنجيل. وقبِل بعض ما جاء في الإنجيل ليُقنع معاصريه من المسيحيين ليعتنقوا ديانته، ولكنه لم يخضع للمسيح أبدًا، ولا قبِلهُ كمخلِّصٍ له، فقسَّى قلبه وقلوب تابعيه ضد روح المسيح، فصار الإسلام قوة معادية للمسيحية، تبدو تقويِّةً ومشابهة للمسيحية، ولكنها ترفض ابن الله المصلوب. لقد صار المسلمون في عبودية جماعية، يصلّون الفاتحة المضادَّة للمسيحية:

اهدنا الصراط المستقيم (سبيل الشريعة)

صراط الذين أنعمت عليهم (بالغِنى والنسل الكثير)
غير المغضوب عليهم (اليهود بوصاياهم العشر)
ولا الضالين (النصارى الذين يؤمنون بالتثليث).

وهنا يكمن سبب مناعة المسلمين ضد الإنجيل، فهم مستعبَدون لا يدرون أنَّهم في عبودية، ولا يريدون أن يقطعوا الخيوط التي تربطهم بعائلاتهم وثقافتهم. ولا يمكن أن يتحرر أحدٌ إلَّا إذا صلَّى «ٱلرَّبُّ هُوَ ٱلْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِي ٱلْأَشْرَارُ» (خروج ٩ : ٢٧). «وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ ٱلشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ ٱلشَّفَتَيْنِ، لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ رَأَتَا ٱلْمَلِكَ رَبَّ ٱلْجُنُودِ» (إشعياء ٦ : ٥). ولا يستطيع أحدٌ أن يخلِّص إلَّا المسيح الفادي الوحيد، بقوة عمل الروح القدس. فلنسمع مع بولس أمر المسيح: «أَنَا ٱلْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ سُلْطَانِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى ٱللهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِٱلْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ ٱلْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ ٱلْمُقَدَّسِينَ» (أعمال ٢٦ : ١٧ و١٨).

وبحسب أمر المسيح لبولس نرى أن المغفرة تجيء بعد التجديد وتحرير الناس من سلطان الشيطان. وهنا يكمن سر الكرازة الناجحة للمسلمين، فكلّهم يحتاجون إلى فداء المسيح الذي يحررهم من العبودية الجماعية. إننا مدعوّون لنعلن نصرة المسيح المطلقة على كل تعليم يناقض تعليمه، لأننا نؤمن أن المسيح المصلوب المقام يحرِّر الذين لا يؤمنون به من سجن مقاومتهم للمسيح.

٣ـ الإسلام روح ضد المجتمع المسيحي

أمر محمد وهو على فراش مرضه الذي مات به أن لا يكون على أرضه دينان. وكان مع نصارى وادي نجران (في شمال اليمن) وثيقة موقَّعة من محمد بالحماية ما داموا يدفعون الجزية. ولكن عمر بن الخطاب لم يحترم هذه الوثيقة، وطردهم إلى الأردن، لأنهم رفضوا أن يعتنقوا الإسلام.

وهناك أمر بالدعوة للإسلام ورد في القرآن مرتين في سورة البقرة ٢: ١٩٣ والأنفال ٨: ٣٩ «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله». وهي دعوة لسيادة الإسلام على العالم. لقد رأى محمد أن اليهود والنصارى كانوا أوفر من المسلمين عِلماً (سورة آل عمران ٣: ٥٥ والحديد ٥٧: ٢٧)، وكانوا يعيشون في حضرة إلههم ويسلكون بحسب كُتبهم، لا يكذبون ولا يسرقون ولا يتزوجون بأكثر من واحدة، أُمَنَاء يُعتَمَد عليهم، فرأى أن أهل الكتاب يفتنون المسلمين ليهجروا إسلامهم، فأمر بإذلال أهل الكتاب بحُجَّة أنهم:

لا يعتقدون في الله مثل اعتقاد المسلمين به،

وعندهم رجاء بالقيامة والنعيم يختلف عن المسلمين،

ولا يخضعون لأحكام شريعة محمد القاسية،

ولا يشاركون في حروب الجهاد،

ولا يؤمنون بما جاء به نبي الإسلام.

فكان يجب استعبادهم ليدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون

(سورة التوبة ٩ : ٢٨).

لقد عانى المسيحيون كأقلية باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية طيلة ١٤ قرنًا. وفي الصحوة الإسلامية طوَّر المسلمون ثلاثة أمور بحسب شريعتهم ليدافعوا عن الإسلام أمام التأثيرات المسيحية، بهدف التخلُّص من المسيحيين في البلاد الإسلامية:

☆ تمنع الدول الإسلامية أيَّة كرازة مسيحية[١٠٢] من هيئات تبشيرية، ففتنة المسلم عن دينه أكبر من القتل لأنها تضعف أمة الإسلام (سورة البقرة ٢ : ٢١٧). ويندر أن تمنح دولة إسلامية المرسَلين تأشيرات دخول. فإذا دخلوا بلدًا إسلاميًا كفنيين فإن السلطات تطالبهم بكتابة تعهد على أنفسهم بعدم التبشير بأي صورة. وحالما يُعرَف عن تنصير مسلم يُلقى القبض على المتنصِّر والمرسَل، ويُعاقب المرسَل بالسجن، وعادةً تتدخَّل سفارة بلاده لإطلاق سراحه بعد سجنه بوقت قليل، يتم بعده إبعاده من البلاد. ولا يستغرب الفنيون الذين يكرزون عندما تجيئهم رسائل تهديد بالقتل.

☆ يعتبر المسلمون وجود كنائس في مناطقهم إهانة لهم[١٠٣]. ويقول الشرع إن المسيحيين يمكن أن يمارسوا شعائرهم الدينية

---

١٠٢ مصنِّف هذا الكتاب متهم في قضية تبشير، ومطلوب لجهة أمن الدولة بمصر العربية

١٠٣ ففي أغسطس سنة ٢٠١٣ تم حرق أكثر من ٧٣ كنيسة في يوم واحد بجمهورية مصر العربية تحت حكم السيسي. وخلال عهده الأغبر تم إغلاق أكثر من ٣٠٠ كنيسة، كما تم حرق قرية بالكامل ونهب بيوت المسيحيين في سبتمبر ٢٠١٨ وذلك لأن المسيحيين اجتمعوا في بيت للصلاة، فتحرك الرعاع بأمر من الأمن المصري لإحراق الكنيسة المغلقة وقتل عدد من المسيحيين وإحراق بيوتهم عن بكرة أبيها ونهب جميع ما فيها حتى ملابس الأطفال والطعام وأبواب وشبابيك البيوت!

داخل كنائسهم، ويقول القرآن إنَّه لا إكراه في الدين (سورة المائدة ٥ : ٤٧ و٤٨)، ولكن الإذلال والجزية تضطر المسيحيين في البلاد الإسلامية أن يعتنقوا الإسلام. ومع ذلك فقد بقيت نسبة من السكان ما بين ٥ر و١٠٪ على دينهم المسيحي أمناء للمسيح بالرغم من موجات الاضطهاد المتكررة خلال الـ ١٣٧٦ سنة الماضية.

ولا يُسمَح للمسيحيين من أهل البلاد أن يبشروا المسلمين، فإذا قام أحد أعضاء الكنيسة بتبشير مسلم فإن كل الكنيسة تقع تحت العقاب، لهذا يرى بعض قادة الكنائس أنفسهم مضطرين أن يبلغوا السلطات بأسماء المسيحيين الغيورين على تبشير المسلمين، كما أنَّهم يؤدبون رجال الدين التابعين لهم إن هم بشَّروا المسلمين، أو ينقلونهم من أماكن خدمتهم، أو يرسلونهم للعمل خارج بلادهم.

ولما كانت وسائل الاتصال قد جعلت حظر التبشير مستحيلًا، كما أنها مكَّنت المهتمين بالكرازة من تخطي الحواجز الجغرافية، فإن عدد المسلمين الذي يقرأون الإنجيل هذه الأيام قد زاد. ولكن لا زال المسيحيون في البلاد الإسلامية يجدون صعوبة في بناء كنائس جديدة أو ترميم الكنائس القديمة.

ولم تلاحظ كنائس أوربا وأمريكا الضغوط الواقعة على المسيحيين في البلاد الإسلامية إلَّا نادرًا، فالمسيحيون مضطهَدون في شمال نيجيريا وجنوب السودان ومصر ولبنان وإيران وباكستان وإندونيسيا! ففي العقدين الماضيين دُمِّرت نوافذ وأثاثات ١٧٠٠ كنيسة في إندونيسيا، وأُحرقت مئات الكنائس. وفي السنوات

العشر الماضية قُتل خمسون ألف مسيحي في ١٣ موجة اضطهاد في نيجيريا، وأُحرقت مئتا كنيسة وقُتل عشرون مبشرًا وقسيسًا. وعلى كل من يتحدث عن سماحة الإسلام أن يزور هذه البلاد ويعيش مع المسيحيين فيها بضعة شهور، فينتهي حديثه عن هذه السماحة! وحيثما كان الإسلام أغلبية تجده يحارب المسيح وكنيسته.

☆ يقع الاضطهاد الأكبر على المسلمين الذين يتحولون إلى المسيحية، لأن الشريعة الإسلامية توجب قتل المرتد. فإذا لم تنفذ الدولة هذه الشريعة نفَّذتها القبيلة أو العائلة بحُجَّة تطهير صفوفها من الخائن. والحمد لله أن هذا لا يحدث اليوم على نطاق واسع لأن ٦٠ - ٧٠ % من المسلمين اليوم متحرِّرو الفكر، فلا يقتلون أقرباءهم، ولو أن آلام المتنصِّر وعائلته تفوق التصوُّر. وقليل من الكنائس تجد الشجاعة للترحيب بالمتنصرين لتعوِّضهم فقدان عائلاتهم، ولتصلي من أجلهم وهم في السجون. بل إن بعض معاهد الكتاب المقدَّس ترفض قبول المتنصرين ليدرسوا فيها، لتتحاشى المتاعب مع حكومات بلادها.

ومن المؤسف أنَّه في بعض البلاد يُتَّهم المتنصرون بأنَّهم جواسيس أو تجّار مخدرات أو خارجون على القانون لتكون هذه تكئة للسلطات لاعتقالهم. وفي بعض الأماكن يعذبونهم ليعترفوا بما لم يقترفوه، ويغتصبون النساء لتحطيم معنوياتهن. ويقول القرآن إن للمرتدين، الذين يكذِّبون القرآن ويثيرون الناس ضد محمد عذاب مهين (سورة المجادلة ٥٨ : ١٦). انظر سورة البقرة ٢ : ٩٠ وآل عمران ٣ : ١٧٨ والنساء ٤ : ١٤ و٣٧ و١٠٢ و١٥١ والحج ٢٢ : ٥٧ ولقمان ٣١ : ٦ والأحزاب ٣٣ : ٣٧ والجاثية ٤٥ : ٩

والمجادلة ٥٨ : ٥ و٦.

وقد قال الملك حسن الثاني، ملك المغرب لوفد من منظمة العفو الدولية جاءوا يسألون عن اضطهاد ٤٠٠ متنصِّر: «في بلدنا يسود قانون يقول الله، والملك، والوطن. فإن قال أحدٌ إنه يوجد دين أفضل من الإسلام فإننا نحيله إلى فريق من الأطباء ليفحصوا إن كان في كامل قواه العقلية. فإن كان عاقلًا واستمر في رأيه فإننا نعاقبه حسب القانون». وإنها معجزة من المسيح أنَّه بالرغم من الاضطهادات القاسية فإن آلاف المسلمين خلال السنوات العشرين الماضية قبلوا المسيح في إندونيسيا وبنجلاديش وكردستان وأذربيجان وسوريا ومصر وغانا والمغرب. وتجتمع جماعات منهم للعبادة المسيحية في بلاد لم يسبق لها أن شهدت كنائس، أو أن كنائسها لا تقبل المتنصرين.

واليوم بسبب وسائل الإعلام وتقدُّم التعليم يتطوَّر أسلوب جديد من التبشير، ولو أن الكنائس التقليدية غير مستعدة له، فعلى شبكة الإنترنت كتب إنجيلية ونشرات وترانيم يتلقاها أكثر من خمسة آلاف مسلم في البلاد الإسلامية كل شهر. وهذا يعني أن هناك جوعًا عظيماً لسلام المسيح وقوة الروح القدس، ولو أن عدد المسيحيين القادرين على تقديم ردود للمسلمين قليل. فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده (متى ٩ : ٣٨). ونحن محتاجون أن نصلي طالبين عاملين يطيعون تكليف المسيح مهما كانت التهديدات والصعوبات والاضطهادات من المسلمين المتعصبين.

قرارات مترتّبة على نتيجة المقابلة

أما وقد قارنّا بين الكتاب المقدَّس والقرآن، فنقترح أنه نتيجة لهذه المقابلة يجب ترك الأفكار الدينية القديمة، والاتجاه إلى فكر تبشيري جديد، لا أن نتعبد سويًّا.

١ـ هل الدين عند الله الإسلام (سورة آل عمران ٣: ١٩)؟

☆ يجب أن نعترف أن الإسلام ليس من عند الله الحقيقي، بل هو مجموعة نصوص مشوَّشة مقتبسة من العهد القديم، والقليل من الإنجيل مختلطًا بشرائع وعادات كانت سائدة في مكة والمدينة زمن محمد. وكان محمد حنيفًا (يفتش عن الحق) ولكنه لم يكن نبيًا. ولم يكن يقرأ العبرانية ولا اليونانية، ولم يكن الكتاب المقدَّس قد تُرجم إلى العربية، فلم يكن له سبيل مباشر لمعرفة كلمة الله. وكان كل ما سمعه تقاليد من التلمود اليهودي والمشنا، وبعض الخرافات المسيحية المأخوذة من الكتب المنحولة، والتي سمعها من العبيد المسيحيين السوريين والمصريين. ويمكن الوصول بسهولة إلى المصادر التي أخذ محمد منها[١٠٤].

☆ يجب أن نعزل أنفسنا من اللاهوتيين والمرنِّمين والفلاسفة الحالمين الذين عاشوا في عصر التنوير الأوربي، الذين ينادون بأفكار توفيقية ويقولون إنَّ اليهودية والمسيحية والإسلام هي الديانات التوحيدية الثلاث، فإن اليهود والمسلمين لا يعتبرون المسيحيين موحِّدين، لأننا نؤمن بوحدانية الله الجامعة للآب والابن والروح

١٠٤ يجدر بالقارئ أن يقتني كتاب «تنوير الأفهام في مصادر الإسلام» سنكلير تسدل. الكتاب موجود على الإنترنت بكل اللغات.

القدس، وهم يبتسمون عندما نقول لهم إنَّنا نعبد إلهًا واحدًا.

وتتَّضح وحدانية الله من الشهادة الإسلامية، أما في الواقع فإن محمدًا يلقى من التكريم ما يقرب من التكريم الذي يقدمه المسلمون لله، فمآذن مئات الآلاف من الجوامع تكرر تلاوة اسمه أربعين مرة يوميًا، لأن النصف الثاني من الشهادة هي له. بل إن بعض البلاد الإسلامية لا تعاقب من يتكلَّم ضد الله، بحُجَّة أن الله يدافع عن نفسه، لكنها تقتل من يقول كلمة ضد محمد. وهذا التوقير الزائد لمحمد يجعلنا نتساءل عن صحة التوحيد الإسلامي.

وعلينا أن ندفن خرافة وجود ثلاث ديانات توحيدية!

☆ وهناك غلطة أخرى تنادي بأن «الله» و«أبا ربنا يسوع المسيح» هما نفس الإله، بحجَّة أن كل الديانات تكرم الكائن الأعلى الواحد، ولو أنها تطلق عليه أسماء مختلفة. فالبعض يدعوه يهوه وآخرون الله وفريق ثالث يدعوه «أبا ربنا يسوع المسيح» ولكن الخالق والسيد والديان يقف وراء هذه التسميات جميعها. **وهذه غلطة مضلِّلة، فلا يوجد إله إلَّا الآب والابن والروح القدس، الواحد في ثالوث.**

ويؤمن المسلمون أنَّهم يسجدون للإله الواحد الحقيقي، ولكن الله في القرآن يختلف تمامًا عن أبي ربنا يسوع المسيح، فإله القرآن هو خير الماكرين، ويعِد من يعبدونه بممارسة الجنس في الجنة. وقد قال المسيح: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ ٱلِٱبْنَ إِلَّا ٱلْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ ٱلْآبَ إِلَّا ٱلِٱبْنُ وَمَنْ أَرَادَ ٱلِٱبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ» (متى ١١: ٢٧). ويقول الرسول يوحنا: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلِٱبْنُ ٱلْوَحِيدُ

ٱلَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ ٱلْآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١ : ١٨).

وكل من يساوي بين «إلٰه القرآن» والله في الإنجيل يعزل نفسه عن الإيمان المسيحي، فإلٰه الإسلام لا ابن له، ويرفض صليب المسيح، ويقول إن الروح القدس مخلوق، لا هو أزلي ولا هو قدوس. وليس هو الإلٰه الحقيقي بعيدًا عن الثالوث الأقدس.

☆ على أن اسم الجلالة «الله» الذي ينطقه ١٥ مليون مسيحي يتكلَّمون العربية هو نطق صحيح، فقد سبق أن كُتّاب رسائل العهد الجديد أخذوا الاسم «ثيوس» (وهو اسم إلٰه مجهول) وأطلقوه على الإلٰه الحقيقي، وقالوا: «مبارك ثيوس (الله) أبو ربنا يسوع المسيح» (٢كورنثوس ١:٣، وأفسس ١:٣ وكولوسي ١:٣ و١بطرس ١:٣). وبهذا لا يكون إلٰه القرآن هو الله في الإنجيل، وكل من يخلط بينهما يرتكب خطأً مميتًا. وكل من يُصرّ على أن «إلٰه القرآن» هو إلٰه حقيقي يجب أن يكمل ما قاله الرسول بولس: «إلٰه هٰذا الدهر (إلٰه القرآن) قد أعمى أذهان (المسلمين) غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح» (٢كورنثوس ٤ : ٤ ويوحنا ١٦ : ٨ - ١٢).

☆ يقول المسلمون إنَّ الملاك جبريل حفر كلمات القرآن في قلب محمد، وقال محمد إنه سمع أصواتًا، ولكننا يجب أن نلاحظ أن الروح الذي زار محمدًا ليس هو الملاك جبريل، ولم يرسل أبو ربنا يسوع المسيح الملاك جبرائيل لمحمد ليقول إنْ ليس لله ابنًا، ولكنه أرسله إلى عذراء في الناصرة ليخبرها أن المولود منها يُدعى ابن العلي، وابن الله (لوقا ١ : ٣٢ و٣٥). فلا يمكن أن يكون الروح الذي حدَّث محمدًا هو الملاك جبرائيل!

ويقول المسلمون إنَّ الروح الذي أوحى إلى محمد لم يعرِّفه باسمه، فعندما كان محمد في مكة لم يكن يعرف من هو الروح الذي أوحى إليه، فأطلق عليه ٢٩ اسماً. ولكنه عندما ذهب إلى المدينة سمع من اليهود أن اسم ملاك الوحي هو جبريل (جبرائيل) فتبنَّى هذا الاسم وأطلقه على الروح الذي لم يكن يعرف اسمه (سورة النجم ٥٣: ١ - ١٨).

ولم يوحِ أبو ربنا يسوع المسيح لمحمد أن المسيح لم يُصلب، لأن الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه (٢كورنثوس ٥: ١٨ - ٢١). فلا بد أن روحًا غير معروف هو الذي جاء بالوحي لمحمد. فمع أن المسلمين يقولون إنَّ محمدًا رسول الإله الحق، إلَّا أننا نقول إن روحًا نجسًا خدعه وأوحى إليه الضلال. وهذا ما قاله أهل مكة عنه (انظر سورة يونس ١٠: ٢ والحجر ١٥: ١٥ والإسراء ١٧: ٤٩ والفرقان ٢٥: ٨ والصافات ٣٧: ٣٦ وص ٣٨: ٤ والدخان ٤٤: ١٥ والطور ٥٢: ٢٩ و٣٠ والقلم ٦٨: ٢ والحاقة ٦٩: ٤٢ و٤٣ والتكوير ٨١: ٢٢ و٢٥).

ولقد كانت «الآيات الشيطانية» موجودة بالقرآن من قبل أن يكتب سلمان رشدي عنها (سورة النجم ٥٣: ١٠ - ٢٢)، فقد ألقى روح شرير هو الشيطان كلمات لمحمد أثناء تلقّيه الوحي الذي يقول إنَّه حقيقي (سورة الحج ٢٢: ٥٢ و٥٣)، فقال إنَّ الشيطان فعل هذا مع كل الأنبياء، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ويُحكِم الله آياته. ولو أن ما جرى لمحمد جرى لأحد أنبياء العهد القديم لقتلوه فورًا (لاويين ٢٠: ٢٧ وتثنية ١٨: ٩ و١٣ و٢٠ وإرميا ١٤: ١٥-١٣). وواضحٌ أنَّ محمدًا لم يقدر أن يفرِّق بين

صوت الله وصوت الشيطان، ويكون الاحتمال قائماً أنَّه لم يقدر أن يفرِّق بينهما في مناسبات أخرى، كلما ألقى الشيطان في أمنيته. وتقول سورة الجن (٧٢: ١ - ١٥ إنَّ الجن سمعوا القرآن فأسلموا، فالأرواح والبشر يمكن أن يكونوا مسلمين، يهدون أهل الأرض ليقبلوا الإسلام (سورة الأحقاف ٤٦: ٢٩ - ٣٢).

ويجب على كل كارز للمسلمين أن يفهم ما قاله بولس منذ ١٩٧٠ سنة لأهل أفسس: «أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي ٱلرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ... فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ ٱلرُّؤَسَاءِ، مَعَ ٱلسَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ ٱلْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هٰذَا ٱلدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ ٱلشَّرِّ ٱلرُّوحِيَّةِ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦: ١٠ و١٢). وكل من يأخذ هذه الكلمات مأخذ الجد عليه ألا يندهش عندما يقاسي هو وزملاؤه نفسيًا وبدنيًا وروحيًا.

والخلاصة: نشهد أن من يتبعون خرافات الماضي القائلة إن الإسلام دين حقيقي أو يمكن أن تكون هناك معهم عبادة مشتركة هم مخطئون، بل إنَّ الإسلام تجربة لكل واحد، وقوَّة شيطانية عالية المستوى لا يمكن هزيمتها بالعقل ولا بالتخطيط. وعلى المسيحيين أن يتوبوا عن خطية المحاولات التوفيقية، ويرجعوا إلى الحقائق الكتابية وقوتها.

وقد يقول قائل إنَّ الإسلام ديانة عالمية قوية يتبعها ١٫٣ بليون شخص، فنقول له: يتقوَّى الكذب كلما زادت حبّات الحق وسطه، ولكن أساسياته مخرِّبة. ويتكوَّن ثلثا القرآن من حقائق مقتبسة من التوراة والإنجيل، ولكن باقيه ينكر الآب والابن والروح القدس، وهذا يوقع الإسلام تحت الحكم البولسي: «إِنْ

بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَاكٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيما (واقع تحت لعنة)» (غلاطية ١ : ٨). وواضحٌ أن الوحي الذي جاء محمدًا بعد المسيح بـ ٦٠٠ سنة لا يطابق حق الإنجيل، ولا يخضع للمسيح الحي المقام، فقد جاء محمد بديانة تحت الناموس، مبنيَّة على التبرير بالأعمال، الأمر الذي يوقعها تحت دينونة الله. ولهذا فإن الإسلام أناثيما.

٢ ـ كيف نكرز اليوم للمسلمين؟

على كل من أدرك أنَّ الإسلام بدعة أن يضع نفسه وعائلته وفريقه تحت حماية دم المسيح.

ولا يوجد من يستحق أو يقدر أن يكرز للمسلمين بقوَّته الشخصية، فلسنا بطبيعتنا أفضل من المسلمين بأي حال، فلنضع نفوسنا في مستواهم، ونتوقَّف عن محاولة ربحهم لأننا في ذواتنا لسنا أفضل منهم، فنحن لسنا مصدر نعمة الله التي وُهبت لنا، ولسنا مستحقين أن نكرز للمسلمين إلَّا بتواضعنا وتوبتنا.

وعندما وقف خدام الرب أمام مسؤولية هذا العمل العظيم قالوا: «أيُّها الإخوة، دعونا أولًا نتوب ونعترف بكل خطايانا ونقائصنا للرب. ولنعوِّض بقدر الإمكان عن كل ما ارتكبناه من أخطاء». ثم لنصلِّ معًا يوميًا وكلما استطعنا، طالبين في اسم المسيح القوة والنُّصرة والثمر. وسيكون غفرانه لنا كمجموعة كارزين متناسبًا مع تواضع نفوسنا، ومصالحتنا بعضنا لبعض كخدام وكجماعة مؤمنين، ولنفعل كل ما في وسعنا، بمساعدة المسيح، ليكون فريقنا وعائلاتنا وكنيستنا في سلام. ولا يجب أن نبدأ العمل

بين المسلمين إلَّا بعد صلاتنا المستمرة أن يكسر الروح القدس كبرياءنا ويقدِّسنا. وليكن شعارنا قول مارتن لوثر إننا يجب أن نكون في توبة مستمرة، فلن يستخدمنا الرب إلَّا إذا انكسرنا أمامه. وعندما نمثُل أمام الله مصلّين كفريق يكون لنا شرف الطلب بتواضع أن يقود الروح القدس كل أفكارنا وخُططنا وعملنا (رومية ٨: ١٤ و١٥). ويجب أن ثقتنا في إرشاد الروح لنا تسبق أي تخطيط من جانبنا للوعظ أو الكتابة أو التبرع بالمال، فلن يكون العمل الكرازي بمجهودنا لأنه عمل الله، وما نحن إلَّا عاملون عنده.

وقد وجدنا معونةً من الرب لما طلبنا منه أن يرشدنا إلى المسلمين ذوي القلوب المفتوحة للإنجيل، فاكتشفنا أن ٥% من المسلمين غير مستريحين لعقيدتهم لأنهم يرون الفرق بين الكلام والفعل في من حولهم. وقد درس البعض القرآن ولاحظوا فيه التناقضات والتعاليم اللاإنسانية من نحو غير المسلمين، فبدأوا يبتعدون عنه. وقال كثيرون من المسلمين: «لو كان الإسلام مثل ما علَّم به الخميني ومارسه، أو مثل ما يجري من مذابح للمواطنين في الجزائر وللسياح والأقباط في مصر، فلا نريد أن نكون مسلمين!». والحقيقة هي أن الخميني كان أمينًا للقرآن وتعاليمه. وقد تنصَّر آلاف المسلمين داخل إيران وخارجها بسبب تعاليمه المحافظة على روح القرآن. فلنطلب من الله أن يرشدنا إلى المسلمين الذين يفتشون عن عقيدة أفضل من الإسلام.

ولا يجب أن نستعجل لنكسب المسلم، بل علينا أن نتعلم الإصغاء له لنعرف خلفيته وتفكيره ومشاعره وحالة قلبه. وليس صعبًا أن نكلِّم المسلم عن الله وعن السماء والجحيم وإبراهيم

وموسى والمسيح، إن كنا لا نحاول برهنة لاهوت المسيح أو صليبه. وبعد معرفة حالة قلب المسلم نطلب من الله أن يعطينا الكلمات التي تناسبه، دون أن نصبَّ في أذنيه ما نريد نحن أن نقوله، لأن الصلاة لطلب الكلمة المناسبة تعطينا سلطانًا وقوة وحكمة.

وسيكون الحديث عمّا فعله المسيح في حياتنا أساسًا لاستمرار المناقشة، ويقود مزمور ٥١ أحيانًا إلى معرفة أعمق بمشكلة الخطية، ويساعدنا إشعياء ٥٣ : ٤ - ١٢ لنوضِّح موت المسيح النيابي، دون أن نبدأ الحديث بذِكر المسيح «ابن الله» و«الصليب». ويمكن أن نشير إلى يوحنا ١ : ٢٩ عن حمل الله الذبيح الأعظم الذي يبدو واضحًا في خلفية سورة الصافات ٣٧: ١٠٧-١٠٣، عندما افتُدي ابن إبراهيم، حسب القول: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ (آية ١٠٧). ويمكن أن يوحنا ١٧ : ٣ تقرِّب للمسلم فكرة الثالوث، وفكرة سرّ الحصول على الحياة الأبدية، بينما ظهور المسيح ليوحنا في جزيرة بطمس يُظهر عظمة «ابن الإنسان» (رؤيا ١ : ١٨-١٢). ولما كان المسلم يفكر عمومًا داخل إطار الشريعة فإن قصة المسيح والمرأة الزانية قادت كثيرين للتوبة (يوحنا ٨: ١١-١). كما أن محبة العدو ومسامحته بدل الانتقام منه تسمو على ما تقوله الشريعة الإسلامية (متى ٥ : ٤٤)، بينما تقدم التطويبات طمأنينة وأملًا لمن يسمعها (متى ٥ : ١٢-٣).

ومن المهم أن نحفظ هذه الآيات الإنجيلية عن ظهر قلب، لأن معظم المسلمين يفكرون أولًا بقلوبهم ثم بعقولهم، فلنحوِّل طريقتنا الغربية إلى طريقتهم. وقد قال مارتن لوثر في شرحه للبند الثالث من قانون الإيمان الرسولي ما يساعدنا في الكرازة للمسلمين.

قال: «أومن أنه بعقلي وقوتي أعجز عن الإيمان بالمسيح ربي أو أن آتي إليه، ولكن الروح القدس الذي دعاني بواسطة الإنجيل ينوِّرني بمواهبه، ويقدِّسني ويحفظني في الإيمان الحقيقي..».

إن أي ضغط نضعه على المسلم الذي يسألنا لا ينفع. ولكن كما رفَّ الروح القدس على الأرض الخربة إلى أن قال الله: «ليكُنْ نُورٌ» لنطلب من الروح أن يرفَّ على المسلم في أول مراحل أسئلته، إلى أن يأمر الله: «ليكن نور» فيستنير القلب (تكوين ١: ٢ و٣ ويوحنا ١: ١٢ و٨: ٣٤ و٣٦ و١٠: ٢٧ - ٣٠).

وقد علَّم الاختبار كل كارز بين المسلمين أن يجاوب على ثلاثة اعتراضات بطريقة حكيمة:

١ - رفض فكرة التثليث لأنَّها تعني أن الله أب، له ابن.

٢ - إنكار تاريخية الصليب. وعلى كل كارز بين المسلمين أن يصلي ليعلمه الله طرقًا يوضِّح بها أن الكفَّارة هي الفكرة الرئيسية في كل أسفار العهد القديم.

٣ - اتِّهام المسلم لنا أن الكتاب المقدَّس محرَّف تحرم المسلم من تصديق أي شيء يقوله المسيحي عن الإنجيل. فيجب أن نوقظ ثقتهم في أسفار الكتاب المقدَّس إن أردنا أنهم يؤمنون بالمسيح.

على أن الفكرة الرئيسية التي يجب أن نعمل على توضيحها، ليست التثليث، ولا الصليب، ولا تحريف الكتاب، بل الاعتقاد في من هو الله، إذ يجب أن يفهم المسلم أن الله محبة، يحبه ويعرفه هو شخصيًا ، ويريد أن ينقذه من الدينونة والهلاك، فيغتسل عقله بفهم جديد لله.

وسيكتشف كل من يكرز للمسلمين أنه جاهل بثقافتهم وديانتهم. ومن الخطإ أن تكلِّم المسلم بما تكلِّم به الملحد أو المسيحي بالاسم، فإن أسلوب تفكير المسلم وقِيَمه مختلفان. وعليك أن تقول له بواسطة كرمك عندما تدعوه ليأكل ويتسامر معك مثلًا: «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مزمور ٣٤: ٩).

وعندما تهتم كنيسة أو فرد بالكرازة للمسلمين عليهم أن يحصلوا على كتب وكاسيتات وأشرطة فيديو بلغات مختلفة، ليقدر المسلم أن يقرأ عندهم الإنجيل والكتب الأخرى بلغته. ويوجد من هذه الكثير.

فإذا أرادت كنيسة أو مجموعة كنائس أن تطيع التكليف الإلهي وتبدأ الكرازة للمسلمين، عليهم أن يستخدموا أحد المتنصرين جزءًا من الوقت، أو كل الوقت، ليكون راعيًا أو مبشرًا. فإن لم يكن قد حصل على تدريب كافٍ فيجب إلحاقة بمعهد لدرس الكتاب المقدَّس، فإن الغربيين لن يفهموا المسلمين تمامًا حتى لو عاشوا بينهم سنوات طويلة واحترموهم وأحبوهم. ويجب على الهيئات الكنسية أن تخصص جزءًا من ميزانيتها للكرازة وسط المسلمين في منطقتهم، وهذا سيكون بركة روحية تنشِّط أعضاء الكنيسة الذين سيصلّون من أجل هذه الخدمة. وقد لاحظنا أن الكنائس التي تدفع ٥٠ - ٦٠ % من ميزانية العمل المرسلي لمرسَلين ترسلهم الكنائس (لا لهيئات مرسلية) تنمو وتنشط. وربما احتجنا أن نغيِّر توزيع ميزانياتنا تحت إرشاد الروح القدس.

٣ـ هل حقًا نريد أن نكرز للمسلمين؟

كرازة له ليس عبادة معه!

تفتر المشاعر بسرعة، والحماس لا يستمر طويلًا، ولكن عندما يدعو المسيح شخصًا يعبئ الروح القدس قلبه وإرادته فيطيع الدعوة. ومتى وُجدت الإرادة توجد الطريق. والسؤال هو: هل حقًا دعاك الله للكرازة للمسلمين؟ ضع هذا القرار في يد المسيح فيجيء الثمر ويرشدك من البدء إلى النهاية، فتحتل الانتكاسات والإحباطات والأخطاء والمقاومات مكانةً ثانية. إن أمر المسيح وحده هو الذي يستمر، إذ يقول لك: اذهب إلى جارك أو زميلك أو صديقك المسلم، وصلِّ لأجله وقدِّم له التحية، واطلب من الرب أن يرتب لك الفرص ويعطيك الحكمة. فتِّش عن مؤمنين يشاركونك الدعوة وكوِّنوا معًا مجموعة صلاة ترفعكم إلى أعلى. وكل كارز في بلده أو خارجها تسانده مجموعة صلاة مخْلِصة يستمر في كرازته أطول مدة، ويرى ثمرًا وينال الحكمة والرؤية.

إن كنا لا نكرز للمسلمين سيكرزون لنا، وقد عرف المسؤولون في المراكز الإسلامية في البلاد المسيحية أن أسهل هدف لهم هم المسيحيون الإنجيليون الذين لا يتمسكون بتعاليم إنجيلهم. كما أن الزيجات المختلطة وسيلة فعالة لجذب المسيحيين للإسلام، ففي بعض الدول وُجد أن ثلثي من اعتنقوا الإسلام أزواج أو زوجات لمسلمين، قبلوا عقيدتهم بسبب الحب. أليست هذه دعوة لقادة الكنائس ليتوبوا؟

يزيد عدد المسلمين في العالم بسبب زيادة المواليد. فبعد أن خسر محمد سبعين مسلماً ماتوا في معركة أُحُد اعتنى بأراملهم

وبالأيتام، وحثَّ المسلمين: ﴿وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ (سورة النساء ٤ : ٣)، فنفَّذ أتباعه بحماس ما جاءهم من «وحي» ولا يزالون ينفذونه.

وبسبب التقدم الطبي زادت نسبة السكان المسلمين حتى أن عددهم يتضاعف الآن كل ٢٧ سنة. أما المسيحيون، فبالرغم من الانتعاشات الروحية في الصين وإندونيسيا وشرق أفريقيا وغربها، سيتضاعف عددهم كل ٥٤ سنة، لأنهم لا يكثرون إنجاب الأطفال. ويبلغ عدد المسلمين في العالم اليوم ١٫٣ بليونًا، ويولد لهم سنويًا ٣٠ مليون طفل، وهم يهاجرون إلى الغرب بأعداد كبيرة تسبِّب المشاكل للغربيين. وعلى قادة الكنائس في البلاد المسيحية أن يستعدوا للصراعات اللاهوتية والاجتماعية مع الإسلام، والوقت يمضي بسرعة. وقد كتب أحد القسوس المشهورين في ألمانيا كتابًا عنوانه «الكرازة أو الموت» وقد يبدو عنوان الكتاب متطرفًا، لكنه يحوي حكمة وحقًا عظيمين.

في كاتدرائية براونشفيج بألمانيا يوجد شمعدان ضخم ذو سبع شعب يرجع عهده إلى زمن الأباطرة الأوربيين الأولين، منذ أكثر من ألف سنة. وقد بقي هذا الشمعدان ليرى حروبًا كثيرة وأيام سلام، وليعاصر أيام انتعاشات روحية وأيام فساد، وقد عبر الإصلاح البروتستانتي وأيام التقويين تحت شُعبه. وهو يرمز إلى صبر المسيح على مسيحيي أوربا لأنه لم يزحزح منارتهم من مكانها (رؤيا ٢ : ٤ و٥) ولكن الرب حذَّر الكنيسة الفتيَّة في أفسس أنه سيزحزح منارتها إن لم تتُب وترجع إلى محبتها الأولى.

لقد جاء حقل العمل الكرازي إلى بلادنا، وأصبح المسلمون وسطنا، فهل نصغي لدعوة المسيح ونكرز لهم، أو هل سندور حول أنفسنا؟ أم سنهرب من التكليف؟ أم سنخون سيدنا ونتنكر لصليبه وكفّارته ونحذف من ترانيمنا الروحية اسمه وعمله الكفاري ونتعبَّد معهم سويًا؟

أعدّوا طريق الرب

بين المسلمين في بلدكم

خاتمة

ها نحن عزيزي القارئ قد وصلنا إلى خاتمة الكتاب وقد رأينا أنَّ الكتاب المقدَّس والقرآن كتابان مختلفان لا يمكن لهما أن يتَّفقا أبدًا. وقد فضَّلتُ في هذا الكتاب أن أكتب عن مواضيع وقضايا إسلامية ذُكرت في القرآن فقط ولم أتعرَّض لمواضيع إسلامية مصدرها الحديث والسُّنَّة فقط مثل رضاع الكبير وعذاب القبر وغيرها مما لا سند لها في القرآن، ولا تطرّقتُ لمواضيع خلافية بين الفقهاء الأربعة مثل «حُكْم نكاح الأبنة من الزني» مثلًا أو جهاد النكاح، أو تاريخ الصحابة أو المسكوت عنه في تاريخ الخلافة الإسلامية.

أعترف للقارئ الكريم أيضًا بأنَّ هذا الكتاب ليس كلّه من تأليفي، بل هو تجميع لمجهود أعلام كبار في علم النقد القرآني منذ صدور كتاب «ميزان الحق» أول مرة سنة ١٨٣٦م، وكتاب «الهداية» سنة ١٨٩٩م حتى صدور كتاب «هل القرآن معصوم؟» في طبعته الجديدة سنة ١٩٩٥م. ففي هذا الكتاب تجد تواصلًا للأجيال في فكرهم المحافظ.

فبعد الاطلاع على هذا الكتاب ومعرفة محتويات القرآن هل يستطيع ماهر فايز أو أحد التابعين له أن يبيّنوا لنا -إن كان في استطاعتهم- كيف عرَّف اللوجوس بنفسه في القرآن؟ بل هناك أسئلة كثيرة جدًا مطروحة على شبكة التواصل الاجتماعي لم يتصدَّ لها فقيهٌ واحد منهم. بل والمصيبة هو ما حدث على أرض الواقع

فعلًا من جرّاء هذه الحفلات وهو ما صُدِمت عندما قرأته من شهود العيان:

■ الانشاد الديني المشترك والمبني على افتراض غير حقيقي إنَّنا كلُّنا نؤمن بنفس الإله المُعلن في كلمة الله الكتاب المقدَّس (يمكننا طبعًا أن نتأكد من فهم شركاء هذا الإنشاد عن طبيعة الله والخطية والخلاص لنعرف الفارق الواضح). وقد رأينا بأعيننا كم أصابت هذه الحفلات منذ عام ٢٠١٢ أفكار شباب وغير شباب نحو إيمانهم المسيحي ومساواته بأي إيمان آخر، مع احترامنا لأصحاب هذا الإيمان فهذا أمر آخر.

■ عندما تمَّت إقامة هذه الحفلات في أحدى الكنائس الانجيلية في سنة ٢٠١٢ (وكانت تُقام قبلها في مكان عام مثل مسرح الهوسابير) تم منع المسيحيين بوضوح من ذكر اسم المسيح أو توزيع الكتاب المقدَّس نهائيًا **داخل الكنيسة** (وليس في الشارع) أثناء هذه الحفلات.

إلى هذه الدرجة وصل بنا التهاون في عقيدتنا ومسيحيتنا إلى الحد الذي نكون فيه سببًا لمنع أنفسنا من ذكر اسم المسيح داخل كنائسنا لمجرد استقدام مسلمين داخل الكنيسة؟**!** فلِمَ كان حضورهم إذن؟

فالمُنشد الصوفي ماهر فايز قد حذف بكامل إرادته وحريته ورغبته اسم المسيح من أناشيده، في نفس الوقت الذي ينشد فيه المنشد المسلم علي الهلباوي «**اُحْضُن محمد وعيسى، واقتل الفتنة الخبيثة ، جُوَّه جامع أو كنيسة، ربنا شاهد علينا**»

هذا والمنشد المسيحي يمسك بعوده ويعزف لمحمد وعيسى!

استحى ماهر فايز من اسم يسوع ولم يخجل الهلباوي من ذكر اسم محمد، بل لم يخجل ماهر فايز من اسم عيسى الذي لا نعرفه! أليس هذا عارٌ علينا؟! ألا تخجلون معي من هذا التدني للحضيض الذي وصلنا إليه في الوقت الذي فيه يتم إبادة قرى مسيحية بأكملها في نيجريا لمجرد أنَّها لا تريد إنكار اسم المسيح ولو ظاهريًا؟

ففي كل مرة حاول أصحاب المدرسة الصوفية المسيحية إقناعنا بها، كان الباب الأساسي هو لهم تفسيرات واضحة جدًا في كلمة الله سواء تفسيريًا أو لغويًا أو حتى أخراجها من سياقها. هذه الاستهانة بعلم التفسير لا يمكن تقبُّلها تحت أي أدِّعاء. هناك من يقولون إنَّ هذا المفهوم راجع لعصر الآباء، والجميع يعلم أنَّنا في الكنيسة الانجيلية لا نضيف قداسة على أي شخص مهما كانت مكانته التاريخية و نمتحن كل الأفكار في ضوء كلمة الله.

وفي النهاية يبقى السؤال الذي يراود الجميع ونتمنى أن يكشف المستقبل عن إجابة له: ما هو الدافع وراء هذا الحرص المبالغ فيه من تسويق فكرة «الصوفية المسيحية» بكل غموضها ومشاكلها على حساب تقديم رسالة المسيح من خلال الفداء على الصليب بكل ببساطتها ووضوحها في كلمة الله؟